obeikandl.com

المَصُور

الكتاب :الهصور

المؤلف : إيهاب عصمت

تصميم الغلاف : إسلام علام

تدقيق لغوي : أحمد أسامه

رقم الإيداع : 2015/10023

الترقيم الدولي : 978-977-778-025-4

الطبعة الأولى :2015

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikandl.com

الهَصُور

رواية لـ

إيهاب عصمت

obeikandl.com

obeikandl.com

هذا العمل من وحى خيال المؤلف وأى تشابه فى الأسماء والأحداث يكون غير مقصود" وعلى مسئولية من فَهِمَ الأحداث من وجهة نظره الشخصية

المؤلف

obeikandl.com

obeikandl.com

(1)

الاسكندرية – خريف عام 2000 منطقة كورنيش سبورتنج

يقترب رجل نحيف البنيان أشعث الشعر ،بحذر من إحدى طاولات مقهى شهير على البحر يقف فى تحفز نِمر يستعد للانقضاض على فريسته . نظر يمينًا" ويسارًا" ثم اتجه ببصره ناحية طفل قد تجاوز العاشره من عمره بسنواتٍ قليله، يرتدى ملابس رثه، و حذاء رياضى رخيص الثمن مُعطيًا" له إشارة البدء لشيءٍ ما ، كان الطفل نحيلًا" جدًا" من كثرة ما تعرض له من عوامل سوء التغذيه والفقر ، لكنه كان سريع البديهة فنفذ أوامر الأشعث بسرعة، اقترب من الفريسه طالبًا" منه بعض النقود , لمح الطفل ضحيته يُخرج محفظته ويضعها على المنضده مُنشغلًا" بالحديث مع أحد أصدقائه ، يناول الطفل مبلغًا" بسيطًا" من المال ، وفى سرعةٍ خاطفه ينقض اللص النحيف على الطاوله ملتقطًا" المحفظه فى جزء من الثانيه مطلقًا" لساقيه العنان . بينما الطفل يجرى فى الاتجاه المعاكس فلقد كان مُدربًا" على عدم الجرى فى نفس اتجاه الرجل النحيف وعدم النظر خلفه مهما حدث . انطلق شباب المقهى خلف اللص النحيف ناطقين بالجمله المصريه الشهيره (امسك حرامى) . كانت الساعه تقترب من التاسعه مساءًا" حينما تمكن أحد الشباب من عرقلة اللص المنطلق كالسهم ليسقط على

الأرض ويهجم عليه الماره من كل اتجاه ،وكالعاده، فلقد انهالوا عليه ضربًا" ولكمًا" وهو فى حالة ذهول واستسلام وكأنه غائبْ جزئيًا" عن الوعى . ونعود إلى الصبى الصغير الذى جرى فى الاتجاه العكسى لفتره دون أن ينظر خلفه كما علمه ابوه، اللص الكبير , ولكنه سرعان ما أبطأ سرعته عندما اكتشف أنه لا أحد يركض خلفه ،وأن الناس قد تجمعوا على اللص الكبير وأوسعوه ضربًا" ، فنسى كل ما تعلمه و تحركت مشاعر الابن تجاه أبيه فعاد مُنكسرًا" والدموعُ فى عينيه وجلس قربًا" من الأب المُقيد الذى كادت معالم وجهه أن تختفى من كثرة الدماء التى سالت من أثر الضرب.

-اسمك ايه -- انطق يابن ال(-----) قالها أحدهم وهو يصفعه على وجهه ، ارتفع نشيج الطفل عندما شاهد أباه وهو يصفع على وجهه وقد تورم تمامًا" ، لاحظ أحدهم بكاء الطفل فقال له

- انت معاه ---- فهز الطفل رأسه بالايجاب

- يقرب لك ايه

- أبويا –قالها الطفل وهو يرتعد كعصفور وقع فى يد الصياد ، وهو ينظر للجميع نظره بها الكثير من الاستعطاف ، كانت لتلك النظره تأثيرًا" قويًا" فقد تعاطف عدد غير قليل مع الصبى على الرغم من علمهم باشتراكه فى السرقه، اقترب أحدهم من اللص مُدعيًا" خبره أمنيه مُصْطنعه ، وأخذ يقلب فى جيوبه ويخرج محتوياتها وعندما

رأى بطاقته الشخصيه ، لوح بها بخبره وكأنه رئيس مباحث العاصمه ناطقًا" اسمه أمام جموع الناس

- إبراهيم خليل السيد على ----- (أنت مسجل يلا) قالها الشاب ناظرًا" بطرف خفى للجمع وكأنه يقنعهم بأن الشرطه المصريه قد خسرت بعدم انضمام ذلك الفذ اليها . بدأت سخونه الحدث تبرد شيئًا" فشيئًا" مع مغادره عدد كبير من الناس مما أعطى فرصه للطفل المسكين للإرتماء فى أحضان أبيه ، ومن يدرى فلعله لن يتمكن من احتضانه لمدة طويله فهو لايعلم الآن مصيره ولا مصير الأب اللص . وهنا بكى الأب وسقطت دموعه فوق وجهه الملطخ بالدماء لتشكل لوحه تراجيديه تعبر عن المأساة , انقسم الجمع كالعاده فمجموعة ترى استدعاء الشرطه وتسليمها المُجرم عقابًا" له على فعلته ، ومجموعه أخرى تطلب العفو عنه وإعطائه فرصة" أخرى لا رحمة" به ولكن بالطفل المسكين الذى جبر على تلك الفعله ، طلب اللص كوبًا" من الماء فاحضره أحدهم بطيبة أبناء البلد

لكن ليس كل الناس هكذا فلقد تبرع أحدهم بتذكيره بسرقته

- دلوقتى بتعيط يابن ال(----) سبه بتهمه تتعلق بشرف أمه ---- وليه بتسرق من الأول ؟ ولأول مره يتكلم اللص فى وهن

- حاولت اشتغل يابيه مالقيتش والأرزاق يوم فيه-- وعشره لأ . يصمت اللص بعدها لعله يجد من يتعاطف معه

- كلكم بتقولوا كده يعنى لو سيبناك هاتبطل سرقه ؟ ----- أبدًا"

- لكن إبراهيم اللص لم يُجبه هذه المره وانما أجابته نظرات حزينه حائره من عين رجل ضل طريقه فى الحياه ، وفى خضم كل هذا الصراع ، ظهر (محمود السوهاجى) ، المُلقب(بالمستشار)، وكيل نيابه سابق و ابن مستشار جليل وهو صاحب الفندق الملاصق للمقهى وصاحب عدة مقاهى ومطاعم ، وهو رجل أنيق المظهر ناعم الشعر حليق الذقن ،لم تزل به مسحة من قوه ، يرتدى ملابس رسمية كاملة دون رابطة عنق ، وحذاءًا" انجليزيًا" لامعًا " ويضع على عينيه منظارًا" طبيًا" مذهبًا" ،كان المستشار دائمًا" ما يخفى رسغه ، بسبب وشم واضح لأسد موجود فوق ذراعه ، منذ الصغر ، وفشل فى إزالته بشتى الطرق ، وفشل فى معرفة كيفيه رسمه من والده المستشار ومن والدته ، على الرغم من خلفيتهما الثقافية والإجتماعية المرموقة حتى ملّ الأمر ونسيه وأخفاه بعيدًا" عن أعُين الفضوليين ، كان مظهر الرجل يتناقض مع طريقة حديثه التى توحى بأنه ابن بلد حتى النخاع ، كان المستشار محمود شجاعًا" وقويًا" كالأسد لا يخشى الصدام إن وجب ، ويفصل فى القول ، يُقال انه استقال من النيابة بسبب معارضته لأخطاء النظام السياسى ،كان سخيًا" مِعطاءًا" لا يتأخر عن مساعدة البسطاء شهمًا" مع موظفيه ، ومع ذلك فقد كان جهورى الصوت سليط اللسان فى بعض الأحيان حتى يتمكن من السيطره على أعماله فولّد ذلك نوعا" من الحب الشديد الممزوج بالاحترام

والرهبه فى نفوس الجميع صغارًا" كانوا أم كبارًا" ، وقف المُستشار محمود، بالقُرب من منطقة التزاحم على اللص ورفع صوته للجمع مُتسائلًا"

-فيه ايه ياولاد ؟

- مسكنا حرامى يا باشا رد أحد الشباب ، وهو يفسح مجال الرؤيه(للمستشار) ، ليرى اللص الذى تحول إلى فريسه، يقترب فى هدوء من إبراهيم ويلاحظ ذلك الطفل المُتكَور فى حضنه كقطه صغيره مُرتعده ، فينفطر قلبه دون أن يلاحظه أحد --- كان يبدو صلبًا" من الخارج لكنه كان لينًا" رقيق القلب من الداخل.

- فُكّوُه ---- نظر الجميع لبعضهم فى تردد فجاءهم صوته الجهورى للمره الثانية قاطعًا" الشك باليقين ومانعًا" أى فرصه للتردد

- فكوه ياولاد الكلب خلاص ودخلوه الكافتيريا جوا ---- أنا عاوزه ، فَكَ العمال وثاق إبراهيم وأدخلوه الكافتيريا الموجوده تحت الفندق والتى يملكها المستشار . وتركوه جالسا" فى حراسة أحد العمال انتظارًا" لتنفيذ ما يستجد من أوامره بشأن اللص . دخل المستشار بعد عدة دقائق ليقف إبراهيم احترامًا" على الرغم من آلام جسده الرهيبه . ينطق االرجل فى حزم وهو ينظر فى بطاقة إبراهيم -- كان العنوان هو 2 حارة الصيادين – القبارى ساله المستشار فى هدوء

- انت ساكن فى العنوان ده ؟

- أيوه يا بيه --- يرد إبراهيم فى انكسار ---- يكمل المستشار

- أنا هاسيبك المره دى علشان خاطرالولد الصغير ،لكن لو شفتك تانى بتسرق مش هارحمك ولوعاوزتشتغل وتبقى بنى ادم تعإلى بعد بكره الساعه تسعه الصبح وأنا هاشوفلك شغلانة ،قالها وهو ينظر إلى الطفل الباكى فى خوف نظرة شفقه . ووجه كلامه إلى الطفل ---- خلاص ما تعيطش أنا فكيته علشانك ثم نادى بصوته الجهورى على أحد السقاه فى المقهى

- يا فتحى ، هات اتنين حاجة ساقعه -- ووديهم الحمام علشان يغسلوا وشهم ، لأول مره يشعر الرجل وأبنه بقليل من الراحة فى ذلك اليوم العصيب ، دخل إبراهيم فغسل وجهه من الدماء وغسل وجه الصبى ثُم عاد إلى الرجل الذى كان ينتظرهما على مكتبه فى الكافتيريا ، ناولهما علبتين من المياه الغازيه المثلجه ، و بينما الطفل يشرب فى تلذذ وإبراهيم يتجرع علبته فى عطشٍ ، دس المُستشار يده فى جيبه لتخرج بمبلغ من المال ، أعطاه لإبراهيم هامسًا" فى عتابٍ أبوى بالرغم من أن إبراهيم يبدوهو الأكبر سنًا"

- الفرصه بتيجى للانسان مره واحده بس وانت النهارده ، خدت فرصه تانيه ، فياريت تبقى بنى ادم علشان ابنك الظريف ده اللى انت بتعلمه السرقه وعاوز تضيعه ولوعاوز شغل تعالى يوم السبت وانا هاشغلك ، خلاص روح بيتك ،إقتربت الساعه من منتصف الليل ، كانت الدنيا قد هدأت قليلًا" وانفض الجمع ، وخرج إبراهيم من المقهى مُقوس الظهر متالمًا" من أثر الضرب المبرح وبيده ابنه (كريم)

وهوغيرمصدق أنه سوف يبيت تلك الليله فى بيته ،كان رغم كل ذلك الألم المبرح يشعر بأنه ممتن، يشعربحُزنٍ دفين ، كانت هذه السرقه غير كل مره وغير كل السرقات فلقد كانت أول سرقه يعاونه فيها ابنه كريم. سارَ قليلًا" على الكورنيش يتنسم الهواءالبارد المحمل برائحة اليود وفرحة الأطفال المصيفين ، وعبق الحياه ، سار قليلًا" رغم الألم ثم انتبه على صوت كريم وهو يهز يده بقوه ويشير إلى بائع الذره المشوى ،طالبًا" منه شراء كوز ذره ليسد به جوعه ،وقف إبراهيم أمام البائع واشترى لكريم طلبه ثم سار هادئًا" مره أخرى بينما الصغير يفترس كوز الذره بتلذذ ويلوك حباته فى فمه . لأول مره لا يجادل إبراهيم ابنه أو يثور عليه عندما يطلب منه شيئًا" ، لقد ظهرت عليه بوادر انسانية غريبة لم يكن يعرف مصدرها ، لكن فى تلك الليله الغريبة شعر أن هناك شيئًا" قد زلزل كيانه ، أشار إلى أتوبيس النقل العام المتجه إلى القبارى حيث يسكن، كان الأوتوبيس محملًا" بالعائدين من سهرات السمر الصيفيه الجميله أومن الذين سيذهبون للعجمى لتكملة ليلة الخميس مع الأصدقاء ، كان الليل ساحرًا" والهواء مُنعش ، لمحه أحد الشباب ،فأشفق عليه وهو يقف محنى الظهر مستندًا" على كتف ابنه الصغير ،وترك الكرسى لهما ليجلسان عليه ،إبتسم إبراهيم للشاب الشهم وفى عينيه نظرة امتنان ، ليس كل ما فى الدنيا سىء وليس كُل البشر وحوش ،على قدر ما عانى فى تلك الليله القاسية إلا أنه قد ذاق فيها جرعات من الرحمه متمثله ، فى المستشار محمود وشباب المقهى الذين ضربوه ثم عفوا عنه

وقاموا بمساعدته ثم ذلك الشاب الشهم الذى رأف بحاله فى الأوتوبيس ، إذًا" لماذا اختلّت الرؤيه لديه فى تلك السنوات الماضيه ، لقد تحول فى الخمس سنوات الماضيه إلى حيوان مسعور يعيش فى غابه تمتلئ بالحيوانات المفترسة ، شريط سينما دار فى رأس إبراهيم منذ أن فقد ابنته الرضيعة منذ عشر سنوات ثُمَ تسريحه من العمل وإدمانه للمخدرات ثم احترافه للسرقه ، يقترب الأوتوبيس من منطقته ، يوقظ كريم الذى أرهقه التعب ولعب نسيم الهواء المنعش برأسه فنام مُسترخيًا" فى حضن أبيه ،ينزل الرجل وابنه من الأوتوبيس ، ويدخلان الحاره بحذر ، حرصًا" أن لايراهما أحد فى مثل هذه الحاله ، كانت الساعة قد شارفت على الثانيه صباحًا" ، لكن الحاره كانت تُشعُ بهجة" ، احتفالًا" بزفاف (ممدوح) ابن (عطيه السباك)على(نوال) ابنة(صالح الصعيدى)النقاش وهما من ميسورى الحال نسبيًا" فى تلك المنطقة الفقيرة ، كانت تلك الليالى المُبهجه بالنسبه لأهل الحاره الفقراء ، مثل ألف ليله وليله فهم يحصلون من خلالها على طعامٍ مجانى متمثل فى صوانى اللحم و الفته والفواكه والمشروبات البريئه والغير بريئه ، كما يحصلون على سهرة مجانية بها وصلات من الغناء والرقص الشعبى العشوائى الذى يعشقونه ،كان الزحام شديدًا" والموائد عليها ما لذ وطاب من زجاجات البيرة الخضراء ، وأطباق الفاكهه والحلوى الملفوفه فى ورق فضى اللون وأطباق تحوى سجائر الحشيش الملفوفه سابقة التجهيز ، كان العُرسُ على أشده والكل منهمك بمتعته ، وبالطبع لم تكن تلك الليلة الماجنة

لتفوت إبراهيم فى الأيام العاديه ، فلقد صار نجمًا" لتلك الليالى يرقص ويشرب ويضحك حتى يسقط مغشيًا" عليه ويحمله أصدقائه إلى المنزل ،لكن إبراهيم عزف عن تلك الليله ، هو نفسه يندهش لذلك السلوك الغريب عنه ، فلقد حرص على عدم رؤيته وهو مضروب وممزق الثياب على الرغم أن كل الحاره تعلم أنه قد تحول إلى لص مدمن يمكنه أن يسرق أى شىء من أجل المخدرات ، ولم يعد محط إحترام من أحد ، لكنه وبالرغم من كل ذلك تخفى من خلف الشادر المقام حتى دخل إلى منزله وصَعدَ إلى الطابق الثانى حيث يقطن ، جلس على كرسى موجود فى الصاله بينما نام كريم على أريكته , دافئًا" وجهه فى وسادته من التعب والألم وربما هروبًا" من شىءٍ ما ، بحث عن زوجته توحه وطفله الصغير (سيد) ، كان يعلم استحالة وجودها بالمنزل مادام هناك مناسبة فى الحارة فهى رمانة ميزان تلك الحاره اللعينه التى يكرهها ، كانت (تحيه عبد المجيد البيلى)و الشهيره ب(توحه) . مُلخصًا" لما يُعرف بنموذج الست المصريه الجدعه ،سيده بيضاء متوسطةَ الجمال تميل قليلًا" للإمتلاء ، تقترب من منتصف الثلاثينات ،تَرجِع أُصولها إلى مركز بيلا التابع لمحافظة كفر الشيخ ، لكنها ولدت بالإسكندرية لأبٍ صياد ،وعاشت مع أسرتها فى حى الجمرك ، تعمل تحيه ممرضة فى المستشفى الجامعى بالاسكندرية الشهير بالمستشفى (الميرى) ،لكنها كانت تتحايل على ضعف راتبها بالقيام بالكثير من الأعمال الإضافية ، مثل تمريض المسنين ،وإعطاء الحقن ، ثم تزيين نساء الحى وتجهيز العرائس ، حتى تجهيز الموتى

كانت تقوم به تحيه عن طيب خاطر ودون مغالاة فى شىء ، ولذلك كانت شخصية محبوبة للغاية فى تلك المنطقه الوعره الخالية من المشاعر ، على عكس زوجها إبراهيم اللص مُنعدم الضمير ،قاسى القلب ، كانت تحيه تجاهد لإعادة إبراهيم إلى طريقه مرة أخرى ، واستخدمت معه كل الطرق ، فحرَّمَت نفسها عليه ، ثم حرَّمَت أمواله التى يكسبها من السرقه ، ثم هددته فى صباح ذلك اليوم بترك المنزل ، وتركته ورحلت إلى منزل جارتها حاملة ابنها الصغير (سيد) ، وتظاهرت بالغضب لعله يرتدع ويعود إلى رشده ، نعود إلى إبراهيم الذى جلس على كرسى فى الصاله أمام منضده مستطيلة عليها مفرش بلاستيكى مرسوم عليه ثمار فاكهه ،وهو يتأمل كريم النائم فى هدوء ملائكى ، نظر إبراهيم اليه مليًا" وهو لا ينسى أبدًا" مشهد بكائه واستعطافه للناس حتى يتركوا والده اللص ،ينظر إبراهيم إلى صغيره نظرة انكسار واعتذار ،لم تكن تلك أول مره، لكنها كانت أول مره يشعر فيها بالخزى والمهانه فقد تم سحله وضربه أمام ابنه ، كما كانت أول مرهٍ ، يُشرك فيها ابنه فى عملية سرقه ، كان يكلمه ويعتذر له وهو نائم أمامه ، أنت لا تعرف كم أحبك – فأنت سندى والأمل الذى اتعلق به فى تلك الحياه الصعبه ، وبعد نصف ساعه تقريبًا" دخلت توحه وعلى كتفها الأيمن ينام الصغير (سيد) ، أضاءت المنزل ففزعت لوجوده جالسًا" فى الظلام يدخن بينما الولد لايزال يغط فى نوم عميق على الأريكة المواجهه للمنضده ، حاول هو أن يُخفى وجهه حتى لا تلاحظ تورمه من أثر اللكمات ،

- ايه اللى مقعدك فى الضلمه كده؟ --- وايه اللى فى وشك ده؟ ، يستدير إبراهيم ويرد عليها فى حده

- سيبينى دلوقتى ---- مالكيش دعوه تكمل هى ولا تتوقف

- أكيد عملت مصيبه أنت مش هاتسكت الا ماتضيع وتضيعنا ، بدأ الشرر يتطاير من عينيه وقرر أن يُفرغ هَمّ تلك الليله فيها

فقام من مكانه مُسرعًا" ليضربها ولكنها استدارت فى استكانه ، وتكورت حاضنه صغيرها فى إنكسار ،حتى لايُصيبه الضرب ، بدت توحه كمن تدرب على تلقى الضربَات ، فهى بالطبع ليست المرة الأولى التى تتعرض فيها للضرب من هذا اللص البلطجى ، لكنه لم يضربها بالفعل فقد تراجع سريعًا" مُشفقًا" عليها وعلى الصغير ، ضاربًا" يده على الطاوله بعصبيه ،ثم آثر الصمت ودخل إلى غرفة صغيرة بها سرير قديم بعمدان وبجواره دولاب قديم وفوق السرير ،إطار قديم به صورة شيخ جليل، أبيض الوجه مُشرب بالحمره له ذقن بيضاء مُشذبة بعناية عليه علامات الوقار ، يرتدى عباءه رُمادية اللون موشاه بالقصب ويضع فوق رأسه غطاءًا" ابيض يسمى الطيلسان ، كانت هيئة الشيخ الوقور توحى بالمهابة والاحترام ، وكان وجود صورته فى بيت هذا اللص شيئًا" يبعث على الدهشة حقًا" ، لقد كان ذلك الشيخ الوقور هو الشيخ(سيد العابد)، جد إبراهيم وأحب الناس إلى قلبه ومبعث فخره بين زملائه اللصوص أو رواد جلسة الحشيش فى وكالة الليمون

- أنا ابن أصل وجَدّى كان حافظ كتاب الله وأكبر عطار ومداوى فى البلد بس الظرووف بنت ال ----- يبدأ بعدها إبراهيم بإطلاق الكثير مِنَ الشتائم الفلكولوريه التى تلعن الدنيا والحظ ، حيث يلعب الحشيش برأسه ،مُستمعًا" لخلفيه غنائيه تصدح من مسجل الغرزه المربوط بخيط دوباره ، والذى يُذيع أُغنيات من نوعية(راحوا الحبايب) و (أنا الزمان هدّنى ولا حد بيودّنى) ، تكوم إبراهيم فوق السرير لكنه لم يتمكن من النوم من شدة الألم فأبقى عينيه مفتوحتين مُحملقًا" فى سقف الغرفة ، يشعر فجاه بألم شديد فى صدره ، يتبعه تسارع شديد فى دقات القلب مع ألم غير محتمل بدأ ينتقل إلى ذراعه اليسرى التى أصابها الخدر فلم يتمكن من تحريكها، وازداد الألم بصورة دفعته للصراخ لكنّ صوته لم يخرج ، ثُمَ بدأ الألم ينقشع تدريجيًا" ، وبدأ إبراهيم يشعر براحة عجيبة مع اختفاء الضوءرويدًا"رويدا ، حاول أن يفتح عينيه ،أويصرخ لكنه فشل فى ذلك ، وبعدها سكن كل شىء .

***

(2)

تستيقظ تحيه على صوت القرآن الكريم المُنبعث من مئذنة المسجد القريب من المنزل ، استعدادًا" لصلاة الجمعة ، تضع (إيشاربًا") فوق رأسها إستعدادًا" لمعركة تنظيف المنزل الأسبوعية بعد خروج إبراهيم وكريم إلى الصلاة ، كانت لإبراهيم طقوس مُحدده فى هذا اليوم فهو يُصلى الجُمعه بَعدَ إلحاحٍ منها ، ثم يذهب إلى المقهى مع شلة الأصدقاء ثم يعود ليتناول طعام الغذاء فى الرابعة عصرًا"، بدأت فى اخراج الفرش للتهوية، ثم الكنس عندما تذكرت إبراهيم فقررت إيقاظه لصلاة الجمعه لعل حاله ينصلح

قوم يا إبراهيم --- قوم علشان تلحق صلاة الجمعه، لكن إبراهيم لم يستجب ، قررت توحه أن توقظه بطريقه أكثر حزمًا"

- قوم بقى ياإبراهيم ، تهزه بعنف لكنه لم يتحرك ، جحظت عيناها من الرعب وحاولت أن تهزه بشكل أكبر وعندما فشلت ، صرخت

(الحقونى يا ناس) ---- كانت الصرخه كافيه لأن تجمع كل أهالى الحى تقريبًا" ، وبخبرتها كممرضه وضعت رأسها فوق صدره لتستشعر نبضات قلبه -----

- الحمد لله فيه نبض بس ضعيف ---- الحقونى نوديه المستشفى بسرعه رد أحد الجيران بأنه اتصل بالاسعاف وهى على وصول،

وبعد دقائق وصلت سيارة الإسعاف تعوى ليرشدها الناس سريعًا" إلى البيت .وبمساعدة هذا الجمع الغفير تم وضع إبراهيم فى سيارة الإسعاف .تركت توحه طفلها عند جارتها (أم أشرف) لتركب معهم إلى المستشفى حيث تعرفها عن ظهر قلب ، وسيسهل وجودها الكثير من الأمور ، انطلقت السياره فى طرقات المدينه الخاليه وقت صلاة الجمعه لتقطع الطريق من القبارى إلى محطة الرمل فى زمنٍ قياسى

وتم نقل إبراهيم إلى غرفة العنايه المركزه .قامت تحيه وزميلاتها بمساعدة الطبيب فى وضعه على الأجهزه ، ثُم عادت إلى موظف الاستقبال لتسجيل بيانات إبراهيم ، سألها موظف الإستقبال بصوت معدنى خالى من المشاعر

- إسم المريض إيه --- أخرجت بطاقته وأعطتها للموظف الذى انهمك فى ملئ البيانات

- إبراهيم خليل سيد على العابد ، السن 50 عامًا" ،

***

obeikandl.com

(3)

الاسكندرية- عام 1957 - محطة الرمل

يجلس رجل وقور أبيض البشرة ،يرتدى جلبابًا" ناصع البياض ويضع على أنفه مِنظارًا" طبيا" فرنسى الصنع على مكتب أنيق مُطّعَّمْ بالأرابيسك داخل أحد محلات العطارة الكبيرة مكتوب على واجهته من الخارج (عطارة العابد)، المحل يمتلئ بالزبائن بينما يجلس الشيخ خلف المكتب مُمسكًا" بقلمه يكتب فى الأوراق التى أمامه و على المكتب عشرات اللفائف الورقيه التى تحوى وصفات علاجيه أعدها الشيخ مسبقًا" لزبائنه، الذين كانوا يأتون اليه من كل مكان داخل وخارج القُطر ، فلقد ذاعت شُهرتهُ وبلغت الافاق لما يتميز به من علم ومعرفه بالطب القديم فلقد كان أحد أجدًاده نطاسيًا" (طبيبًا") للسلطان الفاتح ،وعمل معه لسنوات ثم عاد محملًا" بأسرار وكنوز إلى مصرويقال أن الشيخ قد ورث عنه كل ذلك العلم والحكمه ، نحن نعرف ذلك الشيخ جيدًا فلقد كان هو نفس الرجل المعلقه صورته فوق سرير إبراهيم ، إنه الشيخ(سيد العابد) جد إبراهيم اللص ،وعلى عكس إبراهيم فقد كان موضع إجلال من كُلْ المحيطين ، كانت حياة الشيخ الغامضه تضفى عليه الرهبه، وتعطيه مسحه اسطوريه يُبدع الخيال الشعبى فى نسجها ، فكانوا يتحدثون عن(وصوله) أى قربه من الله وعن انتمائه للنسب

الشريف الطاهر ، يتحدثون عن سيطرته على الجان ، وقدرته على تخطى الحواجز الزمنية والمكانية ، أو كما يقول الموروث الشعبى انه من(أهل الخطوة)، كانوا يطلقون الأساطير عن ظهوره المفاجئ واختفاؤه وعن ذلك الضوء الأخضر الذى ينبعث من منزله فى بعض الليالى القمريه ، وعن كنوزه التى يخفيها فى مكان ما وعن ثراءه والخيرالذى لا ينقطع من داره ، وعن الذبائح التى تذبح أول كل شهر عربى وموائد الطعام الممدوده للفقراء وعن حياته وحيدًا" فى قصرٍ منيف ،بينما يسكن ابنه خليل وحفيده إبراهيم ،منطقه شعبيه بسيطه --- لكن فى النهايه لم يتمكن أحد من الرد على كل تلك الأسئله وظل الشيخ بالنسبه لأغلبية البسطاء ،رمزًا" للحُب والعطاء فى تلك البقعه من الأرض ، اقتربت سيده شعبية ترتدى (ملاية لف) ومعها طفلة يبدو الهُزال واضحًا" على جسدها ووجها ،سلمت على الشيخ فى إحترام ثم أشارت ،إلى ابنتها

- والنبى يا شيخ سيد تشوفلها حاجة تقويها شويه لحسن ضعفانه قوى ---- ينظر الشيخ بقوه فى عين الطفله ، ثم يتبعها بعدة نظرات فى وجهها وعنقها ، تتغير ملامح وجهه ويصيبه الضيق -- يتمتم

- لا حول ولا قوة إلا بالله --- مين عمل كده ، تسمعه السيده البسيطه فتهتف فى جزع

- خير ياسيدنا --- فيه ايه ؟؟، يطمئنها الشيخ

- خير ان شاء الله – هى بس محتاجه رُقيه شرعيه ، يُشير اليها ان تدخل إلى غرفه صغيره مجاوره لمكتبه ، يقوم فيها الشيخ بتحضير أعشابه الطبيه ، كما يقوم فيها بعمل جلسات رقيه شرعية ،والعلاج من المس

- يدخل الشيخ إلى الحجره الضيقة حيث الفتاة الهزيلة وأمها المسكينه تجلسان على أريكة خشبية ، بينما جلس الشيخ أمامهما على أريكة مقابله ، بدأ بالحوقله والبسمله ، ثم أمسك برأس الفتاة ، وأخذ يتمتم بالكثير من الأيات القرآنية ، حتى بدأ جسد الفتاة يرتعش ، و الشيخ يصفع وجهها بقوة ، بدت الطفله أكثر صلابة ومقاومة على الرغم من جسدها الهزيل ،كما صار الشيخ عنيفًا" وهو يتكلم أمام وجه الفتاة

- إسمك ايه ، لم ترد الفتاة --- يصفع وجهها بقوه فتشهق الأم فى فزع ولكن الشيخ أرسل لها نظره ثاقبه من عينيه أخرستها تمامًا"

- إسمك ايه ، يخرج من فم الفتاة صوت أجش وكانه لرجل قوى

- إسمى داسم ، يتمتم الشيخ ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ثلاثًا")، فيرتعد جسد الفتاة ويتخشب ، فيهجم الشيخ على رأسها مُحدثًا" (داسم)

- من أرسلك ، يرد الصوت فى تحدى

- أرسلنى الملك الأعظم (ميطرون) ، يغضب الشيخ

- اللعين --- ماذا يريد ؟؟

- يخبرك بأنك هُزمت ، وانتهى أمرك ، يضغط الشيخ على راس الطفلة بقوه ويرد مُستنكِرا"

- لا ----- المعركة مستمرة ، وسننتصر بإذن الله

- خليفتك ضعيف وأنت صِرتَ مُسنًا" ، انتهت اللعبه أيها الشيخ الأحمق ، جُن جنون الشيخ ، فبدأ فى التمتمة والتعويذ وقراءة القرآن ،ثم خاطبه بلهجة آمرة

- أخرج يا داسم الملعون بأمر الله من هذا الجسد ولا تعود إليه أبدًا" --- اخرج دون أذى --- كررها اخرج ، اخرج ،وهو يحوقل ويقرأ آيات من القرآن ، لتصرخ الفتاة بقوة وتسقط على الأرض فى تشنجات مستمرة يتبعها خروج دم أسود يشبه الحبر من أحد اظافر قدميها ، وسط ذهول الأم التى كاد قلبها يتوقف من الفزع ولكنها تماسكت لإحساسها بخطورة الأمر ، تنهد الشيخ بارتياح عندما رأى الدم الفاسد يخرج ، كانت تلك العلامه دالة على خروج ذلك اللعين من جسد الفتاة البريئة ، أخذ الشيخ كوبًا" ووضع به خليط من الأعشاب ثم صب ماءًا" ساخنًا" عليه ، أخذ الشيخ يتمتم فى الكوب ويقرأ ، ثم أعطاه للفتاه لتشرب ، أخذت الفتاة رشفات وبدت حالتها فى تحسن ، وصار الشيخ يكتب بعض التركيبات لاستكمال علاج الفتاة فى المنزل ، حاولت الأم الاستفسار

- هى كانت مسحورة ولا إيه يا سيدنا ، يرد الشيخ علىها فى دبلوماسية مُريحة

- هى بخير الحمدلله ، وياريت تجيلى كمان شهر ان شاء الله ، عرضت عليه مبلغًا" من المال ، فرفض فى حزم ، فهو لا يتقاضى أجرًا" عن علاج الناس ،إنه فقط يتقاضى ثمن العطارة والأعشاب

- خلاص هى بقت كويسه الحمدلله ، بس ما تخليهاش تبات عند حد من قرايبك تانى ،

فتحت السيده فمها ببلاهه ، كيف عرف ذلك العجوز أن ابنتها ، قد باتت عند إحدى قريباتها ليلة واحدة فقط ، لكن بعد كل ما رأته، اقتنعت أن الشيخ يتمتع بُقدراتٍ إضافية مما دفعها لمحاولة تقبيل يديه قبل خروجها من الباب ،إلا أنه سحبها بسرعة وهو يستغفر الله من جهل البشر، خرجت السيدة المذعورة ،واضعة ابنتها تحت ملائتها كطائرٍ يحمى فرخه من الخطر ،بينما جلس الشيخ على كرسى أمام الدكان ، ليستنشق بعض الهواء ، كانت علامات الإجهاد تبدو عليه، كمن خرج لتوه من معركة حامية الوطيس ، طلب من (بندق) صبى المقهى فنجانًا" من القهوه الساده ، ليجرى بندق صارخًا"

- واحده سكيتو عثمانلى لعم الشيخ ، يتذكر الشيخ فى ألم ذلك الحوار الذى دار بينه وبين داسم اللعين رسول ميطرون الشيطان له ،

(خليفتك ضعيف وأنت صِرتَ كبيرًا" فى السن) ، ينظر الشيخ نظرة شاردة محمله بالشجون محدثًا" نفسه

- للأسف هذا اللعين محق هذه المره ، فذريتى ضعيفة لا يمكنها قتاله على الأقل فى الوقت الحالى ، أخرجه من تأمله صوت جرس دراجة نصر قديمه يركبها رجل سمين يتصبب عرقًا" يرتدى بدله صفراء رسمية ويتدلى من فوق صدره حزام جلدى عريض ينتهى بحقيبه خطابات صفراء متوسطة الحجم ، ويحمل أمامه طفلًا " أبيض الوجه نحيف الجسم رقيق الملامح ، لمح الشيخ ساعى البريد وهو يركب الدراجه بصعوبة حاملًا" ذلك الطفل أمامه ، فابتسم فى اشفاق وألم عندما تذكر كلمة داسم اللعين خليفتك ضعيف ، لقد كان ساعى البريد السمين هو ذلك الخليفه الضعيف إنه (خليل ابن الشيخ) ومعه حفيده إبراهيم ، لقد كان (خليل الدُهّلْ) هو ايقونه لضعف الشخصيه والبلاهه وسوء التصرف ولذلك أُطلق عليه فى محيطه لقب(الدُهّلْ) وهى كلمه عامية يطلقها المصريون على الشخص ضعيف الشخصية سىء التصرف أو الشخص الذى لا يُعتَمدْ عليه ، حزن الشيخ كثيرًا" عندما عرف ذلك الاسم ، لم يتمنى أبدًا" أن يُصبُح إبنه (دُهْلا") فى يوم من الأيام لقد حاول تربيته على القوه وتحمل المسئولية ، الا إنه كان وحيدًا" على بنتين فأفرطت زوجته الحاجة (دُرية) رحمها الله فى تدليله ، فكانت تُفِرط له فى الطعام وتعطيه النقود من خلف الشيخ ، وكانت تتستر على فشله فى الدراسة ، حتى حصل بالكاد

على دبلوم مدرسة البريد ، التى أهلته للعمل فى هيئة البريد . ثم سعت لتزويجه(بسميرة الحلوة) ابنة بائعة الخضار ، التى تسكن منزلها المِلْك فى شارع الحجارى بمنطقة بحرى ، على الرغم من اعتراض الشيخ عليها وعلى سمعة أهلها فى المنطقة وتهديده له بالطرد ، لكنه أصرعلى سميرة كطفل يرغب فى امتلاك دمية جميلة ، مما أثار غضب الشيخ وطَرده من المنزل ، ثم أخرجه من باقى حساباته ، وصار خليل إبنًا" شَكْليًا" للشيخ ،لكن حياة الشيخ الحقيقيه تكاد تخلو من وجوده وكان خليل الدهل لا يعبأ كثيرًا" بالحياه ، ولا يهتم كثيرًا" بالشيخ ولا بتجارته ولم يتمنى أبدًا" أن يصبح خليفة للشيخ فى علمه وماله ، فهو له فلسفته الخاصه التى كانت على النقيض من فلسفة والده الشيخ ، فهو يرى أن الحياه قصيره وعليه أن يستمتع بها حتى أطرافها ، أو كما يقول هو

- الحياه عباره عن (أكله حلوة وضحكه حلوة وست حلوة و قعده حلوة) ، ولنضع خطًا" أحمر تحت كلمتى(ست حلوة) وهى تتمثل له فى زوجته(سميرة الحلوة) كما يُطلقون عليها فى الحاره --- التى سلبت عقله وجعلته أسيرًا" لهواها ، ونجحت فى صنع حاجزًا" منيعًا" بينه وبين والده الشيخ ، أما (القعده الحلوة) فتتمثل فى جلسات الحشيش التى يحضرها بانتظام فى(غُرزةَ النونو) بوكالة الليمون مع صديقه (مرزوق البنبوطى) و(شوقى السريح) ، نعود إلى الشيخ مرة أخرى ونتابعه يراقب ابنه الدُهُل وحفيده المسكين بنظرات هى مزيج عجيب من الحب والإشفاق والحسرة ،

يقترب خليل من مجلس ابيه أمام المحل ، وينزل من فوق الدراجه ملقيًا" السلام بطريقه مضحكه

- سلام عليكم يا حاج ، يقترب من الشيخ مُسْلِمًا" ، يرد الشيخ

- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ،ازيك ياخليل يحتضن ابنه ثم يقترب من حفيده إبراهيم ويضمه بقوه فى صدره

- أهلًا" أهلًا" برهومه --- ماشاء الله كبرت وبقيت راجل يبتسم إبراهيم لجده إبتسامة رِضا ، يخرج الشيخ من جيبه بِضعْ حَبَاتٍ من الحلوى ويقدمها للطفل الذى يلتقط واحده ملونة ، ويضعها فى فمه بسرعة . ينظر الشيخ إلى إبراهيم ويتكلم مع ولده كلامًا" مُعلبًا" كمن لا يجد كلامًا" حقيقيًا" يقوله

- أنا إديت لصاحبك العطاره اللى كان عاوزها – وأكرمته فى السعر علشان خاطرك ، يهز خليل رأسه فى رضا

- ربنا يخليك لينا يا حاج ، أهو برضه بيسترزق منها ، يهز الشيخ رأسه ويسأله فى قلق

- هو صاحبك ده بيشتغل ايه؟

- ده تاجر سريح على باب الله اللى بييجى فى ايده بيتاجر فيه ، يهز الشيخ رأسه فى أسى استعدادًا" لإلقاء السؤال التالى الذى يعرف إجابته مُسبقًا"

- ده من شلة الغرزه --- مش كده ؟ يصمت خليل ،فى خجل ويهرب بنظراتهِ بعيدًا " فيهز الشيخ رأسه فى حزن للمرة الثانية .

- ربنا يتوب عليك يا بنى من الهم ده ، يُغَيِر الشيخ مجرى الحديث حتى لا يحزن أكثر من ذلك فسأله سؤالًا" أكثر مرحًا" وهو يضحك مواريًا" أحزانه

- ايه مش ناوى تخاوى الولد ده بقى ؟ يتنهد خليل فى أسى وهو يحاول إبعاد إبراهيم

- والله كده كفايه ياحاج ----- أنا تعبت ، خَجَلْ من أن يقول أنه قَدْ فَقَدَ السيطره على سميرة وأنها صارت لا تُعيره اهتمامًا"

لكن الشيخ بقلب الأب يُشفِق على ذلك الانسان المسكين فهو مهما كان، جزءٌ منه ،ولذلك حاول أن يقدم له نصيحة لعلها تُنقذه من براثن تلك الحية.

- هى لسه مزعلاك ؟ .يرد خليل فى أسى وهو يشرب كوب الشاى

- دى مَرَه نكديه ويتفاتلها بلاد ---بس خلاص ، نصيب بقى ،يحاول الشيخ أن يعطيه النصيحه مغلفة فى مُزْحه لكى لا يحزن فيضحك قائلًا " له

- يا ولا انت اللى خيخه ومش عارف تشكمها-- إديها على دماغها ،يُحرك عصاه فى الهواء بطريقه مسرحية ثم يهوى بها على المنضده

التى أمامه ، فتُحدث جلبة ، يضحك خليل ضحكه طفوليه يرتج معها جسده السمين، لكنه كان يعرف أن أباه على حق فصمت بعدها.

- طيب أنا ماشى رايح شغلى وهاسيبلك إبراهيم ، يهز الشيخ رأسه فى هدوء بينما يُسلِم خليل ويركب دراجته التى صرصرت بمجرد ركوبه فوقها ،وأخذت تترنح يمينًا" ويسارًا" فى البدايه إلى أن استقرت ، ثم رحل راكبها تصحبه نظرات الشيخ الحزينة داعيًا" له بالهدايه وصلاح الحال ، كانت ليلة الخميس من أول كل شهر بالنسبه لإبراهيم هى مكافأته الشهريه ورحلته الممتعة ، حيث يلهو أمام وكالة الشيخ ، ويتمتع بكم كبير من الهدايا والحلوى التى يبتاعها زملاء وجيران الشيخ له إرضاءًا" وتقربًا" لرجل يحبه الجميع ، وبعد ذلك يركب حنطور(منصور الحوذى) ،الراعى الرسمى لجميع تنقلات الشيخ سيد ، على الرغم من امتلاكه سيارة شيفرولية ، لكن حنطور منصور كان المفضل بالنسبه له ، وبالنسبه للطفل إبراهيم الذى كان يرى الدنيا من فوق الكرسى العالى للعربه بجوار منصور ، ثم يتجهون إلى المسجد القريب من بيت جده ، لصلاة المغرب والعشاء ، ثُم الحضرة الأسبوعية التى يقيمها الشيخ بعد صلاة العشاء ، ثم جلسة السمر والمداحين فى المندرة الكبيرة المطلة على حديقة وارفة وما يتبعها من عشاء لذيذ به أطباق الأرز واللحم ، ثم الفواكه والحلويات الشهية حتى منتصف الليل ، يقترب المغرب ، فيغلق معاونوا الشيخ المحل بينما يسمع صوت

جرس حنطور منصور المحبب إلى قلب إبراهيم وطقطقات أقدام حصانه على أرضيه الشارع حتى يقف تمامًا" أمام المحل ، ملقيًا" السلام فى مرح على الجميع

- سلام عليكم --- ليلتنا هنا بإذن الله ، كان منصور نفسه يشعر بالبهجه فى ذلك اليوم فهو يناله من الخير الكثير فى تك الليلة الرحيمة ، يستمتع بالذكر وأصوات المداحين ويرحل بعشاء دسم وخير وفير لأسرته الفقيرة . يقفز إبراهيم فى سعادة إلى الحنطور وكأى طفل يصعد إلى المنطقه المحببة إلى قلوب الأطفال حيث يجلس سائق الحنطور ، حيث الرؤيه الواضحه دون قيود ، يهلل منصور العربجى لرؤية إبراهيم حفيد سيده الشيخ ،

- أهلًا" أهلًا" ازيك يا برهومه --- يداعبه ويعطيه مقود الحصان --- خد سوق (جلجل) وجلجل هو حصان بُنىّ اللون ودود ، جميل الطلعة قوى البنية ، حلو القسمات ، يتميز بجمال أهدابه ، له ذيل أسود غزير الشعر، تحسده عليه الحسناوات ، كما أن شعر رقبته له نفس اللون والغزاره ، مما أضفى عليه شهرة فى المنطقة تكاد تعادل شهرة صاحبه منصور " وجعلت الجميع يحبونه ، يدخل الشيخ إلى عربة منصور فى حزم يتبعه معاونه (عم رجب) وهو رجل نوبى عجوز شديد السمرة تربى مع الشيخ فى البيت الكبير وهو مساعد الشيخ وكاتم أسراره ، يلقيان السلام على منصور وكالعاده يدخل منصور وعم رجب فى وصله من المزاح اللفظى اعتاد عليها الشيخ

عم رجب-ازيك ياولا يا منصور وازاى (جلجل) الحصان يقولها ضاحكًا" فيرد عليه منصور فى مرح

- ازيك يا عم رجب -- طب ماتدّور لنا على عروسه حلوة كده لجلجل بس تكون مأصلة -- يبتسم الشيخ ويرد عم رجب فى ضحك

- عاوزنى اشْتغل خاطبه للحصان بتاعك --- امشى الله يلعنك يضحك الجميع ويتحرك الموكب إلى المسجد بإيقاعٍ هادئ وممتع حيث نسمات الصيف الجميلة ورائحة الزهور المنبعثه من حدائق المنازل وحديقة الشلالات حيث يقطن الشيخ فى المنزل الكبير ، يرتفع صوت آذان المغرب قويًا" رنانًا" فى الأفق بينما تتوقف عربة منصور أمام المسجد ، فينزل الشيخ من العربة فى خشوع ، ويدخل الجميع ، إلى باحة المسجد المُلاصق لبيت الشيخ (سيد العابد)

***

obeikandl.com

(4)

أنهى الشيخ صلاة العشاء ، واقترب منه أحد المصلين يستشيره فى أحد الأمور الخاصة ، فانتحى به الشيخ جانبًا" مُتحدثًا" اليه ، ثم انهى حديثه بمسح يده على قلبه قائلًا" للرجل . وهو يضرب بقوة على صَدرهُ

- صفى ده يصفى كل شىء ، ثم يصفق الشيخ ايذانًا" ببدء الحضرة فينتقل الجميع من المسجد إلى المندرة الكبيرة داخل حديقة قصر الشيخ ،يصْطَف الجميع فى صفين متقابلين ، ويبقى الشيخ واقفًا" فى منتصف الصفين تمامًا" ، حيث ينطلق المنشد و معه اثنين من عازفى الدفوف فى النشيد مدحًا" وحبًا" لله ورسوله ،و أهل البيت ، بينما تتمايل جموع الحضرة بشكل منتظم إلى اليمين ثم إلى اليسار , مرددين لفظ (الله) بعد كل تصفيقة من يد الشيخ ، كان الشيخ بمثابة قائد الاوركسترا فى هذا الحفل المهيب ، فالحركة منه تعنى شيئًا" , ورويدًا"رويدًا" تتصاعد حدة الدفوف وتلهج الألسنة بالذكر ، ويتصبب العرق من الرجال ،حتى تتخيل أن روؤسهم سوف تسقط من فوق رقابهم من كثرة الحركه والاهتزاز , كان ذلك دليلًا" على وصول الرجال إلى مرحلة الانتشاء حيث يمكنك أن تقتل أحدهم فى ذلك الوقت دون أن يتألم ، ثم تهدأ الأصوات تدريجيًا" حتى يعلن

الشيخ إنتهاءها ،حيث يجلس رجال الحضرة يقرأون القرآن و يتسامرون ، إلى أن يوضع لهم العشاء الذى يشمل ما لذ وطاب من لحوم ودواجن وفاكهه أعدها لهم خدم الشيخ . ثم يشربون الشاى وبعدها يودعون الشيخ ، بينما يقف الشيخ مودعًا" اياهم ومعه حفيده إبراهيم ، ينتقل الشيخ ومعه الحفيد إلى (البيت الكبير) لقد كان قصر الشيخ أُسطوريًا" بالفعل فلقد كان يشبه القلاع الأسطوريه فى القُرون الوسطى ، فعندما تدخل من الباب الكبير فسوف تجد حديقة وارفة بها أحواض رائعة من الزهور وألأشجار المثمره كالمشمش والموز والمانجو ، وإذا نظرنا إلى الناحية اليمنى قليلًا" سنجد مبنى المندرة الذى يستقبل فيه الشيخ ضيوفه رجال الحضرة ويقوم بتحفيظ القران الكريم فيه . والمندرة لها باب منفصل على الشارع ، ليُسهل دخول وخروج الضيوف ، بينما البيت الكبير يقبع كالأسد فى وسط الحديقه بتصميم أسطورى غريب ، كان يبدو من بعيد كوجه أسد ، فاتحًا" فمه مُكشرًا" عن أنيابه ، وبالرغم من عدم ارتفاعه لكنه كان عريضًا" جدًا ، وعلى بعد مسافه غير كبيرة يوجد مبنى صغير يحتوى على ست غرف يسكنها خدم المنزل . أما المنزل من الداخل فيبدو وكأنه أحد المتاحف ، فلقد كان يمتلئ بالتحف والمقتنيات الأثريه بالإضافه إلى تحفة المعمار ، يدخل إبراهيم مع جده إلى باحة المنزل الكبير التى تبدأ بنزول درجتى سلم خشبى لتجد فى الهو الرئيسى أريكة كبيرة الحجم ،هى تحفة

فنية رائعة بها نقوش بارزة ،لمجموعة من الأسود فى وضع الهجوم على فريسة بينما يُحلق نسرُ قوىُ فوقها ، كما توجد العديد من زخارف الآيات القرآنية التى نقشت بعنايه مذهله والتى تحتوى على آياتٍ تبشر بالنصر بسم الله الرحمن الرحيم (وما النصر الا من عند الله) صدق الله العظيم .ويحيط بالأريكة الضخمة ثلاث كراسى كبيرة ، منقوشه أيضًا" بطريقه مسلسله كقطع البازل كل نقشٍ يُكمل الأخر وكأنه يحكى قصة ملحمه لشخص يمتطى حصانًا" ويطعن مسخًا" له جسد رجل ورأس أفعى فى رقبته ، وعلى الكرسى الاخر صراع بين الفارس والمسخ ، أما الثالث فهو للفارس وهو ساقط على الأرض ، بينما يهم المسخ بغرس سيفه فى رقبته ، يتوسط هذه التحف الفنية الرائعة منضدة عريضه من الخشب الفاتح عليها نقوشات زاهيه موضوع فوقها مفرشًا" من قماش (التللي) وهو نسيج مصرى أصيل يُطعَّم فيه القماش بخيوط من المعادن النفيسة كالذهب والفضة، ويستخدم فى ملابس ومفروشات العرائس فى صعيد مصر ، ثم نجتاز الباحة لنجد ساحة اخرى بها نافورة جميلة من الفُسيفساء يتوسطها تمثال طاووس أزرق، بديع النحت يُخرج الماء من منقاره ، عندما تعمل النافوره .كانت النافورة مريحة للعين ، ومحاطة بالكثير من الأعمدة الخشبية المزركشة ، فوقها تحف وأباريق وأطباق مشغولة من النحاس والذهب والفضه وفى نهاية ساحة النافورة نجد راية خضراء كبيرة

منقوش عليها أسد ضخم لعينيه بريق مخيف ومكتوب أعلاها (لا إله إلا الله محمدا" رسول الله) وأسفل الأسد مكتوب (جيش الملك المنصور) ،كانت الراية المهيبة معلقه على الحائط . وبجوار الحائط تجد سلمًا" خشبيًا" يهبط بك إلى المطبخ وغرفة الغسيل فى أسفل المنزل أو يصعد بك إلى أعلى البيت حيث غرف النوم ، التى كانت تخص الأسرة فى ما مضى ، والأن لا ينام فى هذا المنزل الضخم سوى الشيخ ومساعده ،كان الطابق العلوى يتكون من أربع غرف كبيرة ، أكبرهم هى غرفة نوم الشيخ التى يتوسطها سرير ذو عمدان عتيقة وبجوار السرير يوجد صوان عتيق يضع الشيخ منظاره الإنجليزى فوقه ، وعلى الحائط توجد صورة قديمة لزفاف الشيخ سيد وزوجته المرحومه(الحاجة درية) جدة إبراهيم كما توجد قصيدة كبيرة معلقة فى إطار خشبى بها ابيات من العشق الالهى (للحلاج) ، ننتقل إلى الغرفة الملاصقة لغرفة الشيخ وبها باب يفتح بينهما ، وهى غرفة (الخلوه ،) والتى يقضى بها الشيخ وعم رجب جزءًا" من الليل للصلاة والتعبد ، ثم غرفة خليل ابنه قبل أن يترك المنزل والتى ينام فيها رجب الان ، كما تتبقى غرفة البنات(سيده) و (فاطمه) عمات إبراهيم اللاَّتِي تزوجن وسافرن مع ازواجهن ف (سيده) زوجها يعمل موظفًا" بمصلحة الأشغال فى المنيا وقد توفيت منذ عشرة أعوام بينما الأخرى قد هاجرت مع زوجها إلى الحبشه حيث يعمل تاجرًا" هناك وقد منَّ الله عليهم بالثراء

وانقطعت اخبارها ولم تعد تصل الشيخ أى معلومات عنها ، وحزن الشيخ على الفتاتين كثيرًا" لكنه قرر أن يتناسى ويكمل حياته ، ينسج العامه الكثير من الأساطير حول البيت ،فمنهم من يرجع بناءه إلى أحد الأمراء المماليك ، والبعض يؤكد أنه كان قصرًا" لثرى يونانى أهداه إلى الجد الأكبر ورحل عن مصر مع رحيل الجاليات الأجنبية ، وأصحاب الخيال العالى يؤكدون ،أن هذا القصر مسحور ، بناه أحد ملوك الجان فى يوم واحد ، لكن الشيخ استولى عليه وسكنه ، نظرًا" لقدراته الخاصة فى تسخيرهم ، لكن الحقيقه تقول أنه لا أحد يعرف تاريخ تلك المجموعه ولا متى بُنىّ ذلك القصر، السر عند الشيخ وهو لن يبوح به لأحد وإن تحرك الجبل من مكانه . لكن ظل لغز هذا البيت وصاحبه محيرًا" ،لكن الشيخ لم يكن مهتمًا" لأمر البيت وكنوزه بالقدر الذى كانت تهمه المسئولية الملقاة على عاتقه . ونعود إلى الشيخ وحفيده حيث صعد الشيخ إلى غرفته ومعه حفيده الذى ألّحَ عليه أن ينام معه فى نفس الغرفة ، رفض الشيخ قليلًا" ، لكنه وافق ليبيت إبراهيم فى حضن جده . لكن إبراهيم كان على موعد مع شىء غريب فقد استيقظ قبيل الفجر ولم يجد الشيخ نائمًا" فى فراشه ، لكنه سمع أصواتًا" قويه رائعه تبتهل آتيه من جهات الغرفة الأربع ، ثم شاهد ضوءًا" أخضر يغمر المكان ، اكتشف أن الضوء ينتشر فى كل أرجاء المنزل وينعكس على الحديقه والمنطقه المحيطه بالمنزل ،

شعر إبراهيم بالخوف فقرر النهوض ، وقبل أن ينهض وجد يدًا" حانيه تربت عليه ووجها" يشع نورا" ، كان وجه جده لكنه كان مختلفًا" هذه المره حاول إبراهيم أن يتحدث مع جده ، لكنه بدأ مشغولًا" بشيء أهم ، فجلس أمام إبراهيم ووضع يده فوق جبينه ، وأخذ يتمتم بآياتٍ كثيره ، جعلت النوم يزور إبراهيم مرة أخرى.

***

opeikandl.com

(5)

استيقظ إبراهيم على يد عم رجب توقظه فى العاشرة صباحًا" قائلًا" له

- قوم يا إبراهيم عشان تفطر مع سيدك وتروح ، كان الشيخ منتظرًا" بالأسفل على مائدة الافطار ، بينما منصور الحوذى ينقل الكثير من الأقفاص واللفائف إلى حنطوره ، أقفاص فاكهه ومواد تموينية من زيت وسكر وسمن ولفائف بها لحوم و قفص به دواجن ، كان ذلك هو الإمداد الشهرى الذى يرسله الشيخ إلى منزل ابنه مع إبراهيم ، هبط الولد إلى الطابق السفلى وسلم على جده ، وجلس بجواره يتناول طعام الافطار بينما منصور مستمر فى نقل التموين إلى العربة ، كان إبراهيم يُحب جده كثيرًا" ، لكنه لم يكن يزوره بانتظام ، كان يتمنى أن يقيم مع جده أو أن يذهب الشيخ للإقامةِ معهم ، يبادره إبراهيم فى براءة طفوليه بهذا السؤال

- ليه يا جدى مش بتيجى عندنا فى بحرى؟ ---- نفسى أقعد معاك كتير ، صمت الشيخ فى ألم ورد بكلمات مختصرة

- معلش يابنى ان شاء الله تيجى كتيير وتقعد معايا زى ما تحب ، كان الشيخ غيرراضٍ عن تصرفات ابنه وزوجته التى كانت بدورها تكرهه، وتحرض زوجها خليل باستمرار عليه ، و تحثه على ابتزازه

ماديًا" ، من خلال الطفل وهى تعلم أن الشيخ يُكِنُ له محبة خاصة ، قد تزيد عن محبته لإبنه ، فكانت تجيد لعبة إظهاره وإخفاءه، حسب حاجتها ، مما زاد من بُغض الشيخ لها ، لا ينسى ابدًا" أنها الإنسانه الوحيدة فى هذه الدنيا ، التى سبته بألفاظ نابية ، عندما وجدته ينصح ابنه بأن يسيطر على بيته ، ويتوقف عن الاستجابة لكل رغباتها، كانت هى بالقرب تتنصت عليهما وعندما سمعت ذلك الكلام الذى لايصُب فى صالحها بالطبع ، خرجت للشيخ وتشاجرت معه واتهمته برغبته فى خراب البيت وسبته ، ومنذ ذلك اليوم حَرّم الشيخ على نفسه دخول منزلهما ، وحرم على ابنه دخول البيت مادامت تلك الحية الرقطاء على ذمته، لكن خليل لم يتمكن من تطليقها لأنه لا يتمكن من العيش بدونها ، فغضب الشيخ ونشأ حاجزٌ نفسىّ بين الأب وابنه ، لكن حفيده إبراهيم كان إستثناءًا" من كل ذلك ، وكان الشيخ يحتمل كل شىء من أجله. انتهى الطفلُ من إفطارهُ ، وودّع جده الذى أوصله إلى الباب الخارجى المُطل على الحديقة، وهو يوصيه على دراسته وعلى ما علمه له .

- ماتنساش يا إبراهيم اللى قُلتلك عليه وخليك شاطر وحافظ على نفسك ، يومئ إبراهيم برأسه مبديًا" حماسة لتنفيذ تعليمات الجد ، ثم ينطلق عندما رأى عربة (منصور) ورأى الحصان (جلجل) ، فهو سيستمتع بفسحة رائقه فى عربة عم منصور من محطة الرمل إلى بحرى وهى مسافة كافية للإستمتاع بالهواء

الجميل ومناظر كورنيش الاسكندرية الخلابة ، وَدّعَ الشيخ حفيده بإشارة من عصاه وهو يقول فى شجن.

- فى أمان الله يابنى --- خلى بالك منه يا منصور ، الذى يرد عليه بدوره مطمئنًا"

- ماتقلقش يا سيدنا الشيخ --- كله على الله ده برهومه فى عينيا ، يقولها وينطلق ساحبًا" كرباجه الشهير مفرقعًا" به فى الهواء ، فتزداد سرعة الحصان ، مُحدثًا" غبارًا" فى الأرض ، حتى يخرج من باب الحديقه المؤدى إلى الشارع ويختفى عن انظار الشيخ ، الذى يقف دقيقه مُحملقًا" فى بوابة المنزل المفتوحة ، متأثرًا" لفراق حفيده ، قبل أن يغلقها البواب فيعود الشيخ إلى الداخل ليستعد لصلاة الجمعة ، بينما ينطلق إبراهيم بجوار منصور العربجى فى سعادة ، كان الطقس لا يزال بِكرًا" لم تنل منه حرارة الجو والنسيم رائقًا" ومعبئًا" بروائح زهور الياسمين والفُل وأشجار البرتقال والجوافه المنبعثه من حدائق المنازل القريبة ، مما أشعر الطفل إبراهيم بسعادة ونشوة زادت عندما وصلت العربه إلى الكورنيش حيث مراكب الصيد النائمة فى أحضان البحر الهادئ ونسيم البحر البارد المعطر برائحة اليود التى تشفى العليل ، كان إبراهيم يراقب النوارس الطائرة التى تبحث عن رزقها ، والصياد الذى فاز بسمكة كبيرة فوقف يرقص طربًا" على حافة الكورنيش ، نعم لقد تربى إبراهيم فى هذه المنطقه مع والديه ، لكنه أبدًا لا يستمتع بتلك المناظر الرائعة الا من فوق عربة حنطور عم (منصور) حيث يشعر بأنه ملك متوج ،الكُل فى خدمته والكل يحبه ، شعر بِغُصّه

افسدت عليه الفرحة عندما شعر باقتراب العربه من المنزل ، فهو يفتقد هذا الإحساس الجميل فى ذلك المنزل الذى توجد به أم ساخطة مجنونة تصرخ طوال الوقت وتلعن حظها ، و أب يُسقط الطعام على ملابسه ، ويعود قبيل الفجر كل ليله مترنحًا" أو محمولًا" ، نصف مجنون ، فتارة" يصرخ وتارة" أخرى يغنى ، محطمًا" الأوانى الزجاجية وبعض أثاث المنزل ، ويتقبل السب والإهانه من أمه ومن أهل المنطقة دون أن يثأر لكرامته ، كما أن الناس يعايرونه بابن (الدهل) التى لا يفهم معناها لكنه متأكد بأنها نوع من السباب ، كان إبراهيم يتمنى أن يترك تلك المنطقه التى لا يحبها ليعيش مع الشيخ الوقور الذى يبجله الجميع ،كان إبراهيم يتمنى أن يكون الشيخ والده الحقيقى ، توقفت العربه أمام المنزل رقم 5 بشارع الحجارى حيث يقطن خليل الدهل وحرمه فى الدور الأرضى ، ينزل منصور من العربه ويطرق بقوة على الباب

- يا استاذ خليل --- يا خليل أفندى ينادى منصور بصوت جهورى ، أقوى من صوت (عوض) مسحراتى المنطقة ، قالها مرتين وفى المرة الثالثه ، استجاب خليل وأطل من شباك فى الدور الثانى مُسيّخ بالحديد ،

- أيوه يا عم منصور أنا نازل أفتح أهو ، ينزل خليل فى رشاقة تتنافى مع تكوين جسده السمين ، فيحتضن إبراهيم ويساعد منصور فى ادخال تموين الشهر إلى البيت ، كان فى قرارة نفسه يشعر بالسعادة والفخر أمام جيرانه الذين بدأوا فى الاستيقاظ والنزول إلى صلاة الجمعة بينما بدأت الجارات فى إخراج فرش المنزل للتهوية ،

استعدادًا" للحفل الشهير الذى لا يخلو منه أى بيت مصرى، فى أى زمانٍ ومكان حفل تنظيف المنزل يوم الجمعه وما يتبعه ذلك من طقوس كنس ومسح وما إلى ذلك ، تنهض سميرة وتضع المنديل على رأسها ، تلمع عيناها فى طمع وهى تقلب فى هدايا الشيخ ، تلمح منصور وهو يدخل الأشياء فلا تكترث بوجودها أمامه بملابس شفافة ، فقد كانت تفتح ألأشياء ، فخجل هو وتنحنح قائلًا

- لامؤاخذه ياستنا،يخرج منصور منهيًا" مهمته لكن خليل يحاول إثناءه مُجاملة "

- ماتقعد يا عم منصور اشرب شاى

- شكرا" يا أستاذ خليل -- عندى مشاوير مع سيدنا الشيخ

- طيب سلم لى عليه وقوله شكرًا" ، يهز منصور رأسه مطمئنًا" ويغادر المنزل ، تقلب سميرة فى الأشياء وهى ترفع حاجبًا" وتُمصمص فى شفتيها وهى حركه تُعبِر عن الامتعاض فى التراث الشعبى المصرى ، ترد فى حقدٍ واضح.

- هو ده اللى بعته ده انت ابنه الوحيد ده المفروض كان غرقنا فى العز مش يبعت لنا حسنه اول كل شهر، قالتها فى كره واضح للشيخ، كانت سميرة على الرغم من جمالها الفتان ووجها البرىء الا أنها كانت تصلح للعب دور أنثى الشيطان فى الأفلام بجدارة، صوتها المبحوح الذى يقترب من فحيح الأفعى وحركاتها المريبه التى تَحملُ أكثر من معنى ،والتى جعلتها مطمعًا" لكل رجال الحى ، خاصة"

وهى زوجة (الدهل) ، لكن سميرة لم تكن بالصيد السهل بل كانت تعرف طريقها جيدًا" وتعشق ذاتها إلى حد مخيف ، حتى ابنها إبراهيم لم تكن تكترث لأمرهِ كثيرًا" ، كان بريق الذهب فى يديها والمال أحب اليها من أى شىء ، كانت تشعر أنها قد تزوجت الرجل الخطأ فلقد ألقت شباكها على خليل ،طمعًا" فى مال أبيه الرجل المقتدر وذهب وميراث والدته الحاجة درية صاحبة المنزل التى كانت تسكن فيه هى وأمها (حميده) بائعة الخضار ، لكنها لم تكن تعلم أنه بزواجها منه قد أغضبت الشيخ ،وجعلته يطردهم من نعيمه ، لتجد نفسها تعيش مع ساعى بريد بسيط فى ذلك الجحر الحقير، نعود إلى خليل الذى لم يندهش من فعل امرأته النكديه ، التى بدأت تَعدُ العُدّةَ لشجار عائلى . فرد عليها برفق

- يعنى كل اللى باعته ده ومش عاجبك؟!!

- وده ييجى ايه فى اللى عنده ، يرد خليل فى طيبه

- ربنا يزيده يا ستى ، ترد فى سخرية وغضب

- ليه هوا أنت مش معاه ولا أيه ؟؟!!--- يبتسم خليل فى ألم

- أنا خلاص مش عايز حاجة يقولها وهو يشعر باليأس

- لكن أنا وإبنك عايزين --- بس أبوك ظالم ومفترى ، يشتد غضب خليل ويحاول أن ينهى ذلك الشجار

- اتقى الله – أبويا طول عمره راجل تقى وبتاع ربنا والناس كلها بتحبه ، ترد سميرة فى غموض وفى عينيها خوف

- أو بتخاف منه!!!! --- أبوك ده وراه سر غريب وهوا ده اللى مخليه مش عاوزنا نقعد معاه فى البيت المسكون ده ينهرها خليل

- ده كلام الناس الفارغ ---- أنا متربى فى البيت ده ومفيش حاجة من الكلام اللى بيقولوه بتحصل ، لكنها ردت عليه باستنكار بعدما رفعت حاجبها ووضعت يدها فوق خدها

- انت هتكدب عليّا !! إنت قلتلى قبل كده عن حاجات غريبة بتحصل فى البيت ده !! ينتبه خليل أنها قد دخلت فى منطقه محظورة فنهرها بشدة ، لكنها استرسلت ولم تتوقف

- أنت بنفسك قلتلى على الكنبة و التلات كرا---- ، وضع خليل يده على فمها فى ذُعرٍ ناهرًا" اياها

- هُسس------- اخرسى أوعى أسمع صوتك تانى ، بدا عنيفًا" فخافت منه وصمتت ، شعر باختناق فخرج من المنزل غاضبًا" صافقًا" الباب خلف ظهره صاببًا" لعنته على تلك المرأه اللعينه قرر أن يصلى الجمعه وأن يتناول طعام الغداء فى أى مكان بعيدًا" عن المنزل ، ثم يتجه فى المساء إلى قهوة عنبه حيث ينتظره أصدقائه ،

***

(6)

انطلق خليل فى السابعه مساءا"إلى قهوة (عنبه) الواقعه على مدخل الحاره ، حيث اعتاد الجلوس هناك مع صديقيه (شوقى السريح) ، و (مرزوق البمبوطى) ، لقد كان شوقى السريح رجلًا" أسمر البشرة نحيف الجسم ، له أنفٌ طويل، وشعرٌ مجعد ويضع فى يده اليمنى خاتمًا" فضيًا" له رأس فيروزى من العقيق الأحمر ،كان شوقى يتاجر فى أى شىء يدر ربحًا" ويمكنه أن يتحول إلى نقود ، كما كان سمسارًا" يقدم الخدمات لهذا وذاك ، أما مرزوق البنبوطى فلقد كان بورسعيدى الأصل يبيع بضاعته للبحارة الذين يمرون فى القناة من تحف وانتيكات مقابل نقود ،أو بالمقايضة على مواد غذائية أو سجائر مستوردة وخمور وأصل كلمة البمبوطى هى بالانجليزيه (مان) وتعنى الرجل و (بوط) يعنى مركب أى رجل القارب لتتحول مع التعريب لكلمة مامبوط ، لكنه بعد التهجير انتقل إلى الاسكندرية واشترى قاربًا" وعمل بنفس المهنه فى الميناء ، فكان يتنقل بقاربه بين المراكب الرابضة فى الميناء ، ليبيع للبحارة أى شىء يريدونه من تحف مقلدة وبرديات وبعض التوابل والعطارة النادر وجودها فى بلادهم الباردة ،وأحيانًا" كان يُرسل اليهم فتيات فى زى بمبوطية فى مقابل الحصول على نقود كثيره أوكميات جيدة من الخمور والسجائر ،كان القاسم المشترك

بين صديقى خليل الدهل هو أنهما بلا مبادئ ويمكنهما عمل أى شىء من أجل الحصول على النقود ،كما كان يجمع الثلاثه إدمان الحشيش فى غرزة (النونو) بوكالة الليمون ، لكن خليل لم يكن يعتبرهم أصدقاءًا" مخلصين له ، فهم أشخاص تجمعهم به قعدة الأنفاس وحسب ، لكنه كان يعتبر نفسه ،أعلى شأنًا" منهم ، فهم ليسوا أولا د أصول مثله ، لم يكن لخليل صديق حقيقى يشكو له همه سوى (عبد الحميد أفندى الطيب) زميله بمصلحة البريد وصديقه من أيام مدرسة البريد ،الذى لقى حتفه العام الماضى إثر حادث أليم ، فصار خليل حزينًا" وازداد إحساسه بالوحدة . دخل خليل قهوة (عنبه)

- مساء الفل عليكم

- مساء الفل يا خليل أفندى ، جلس البعض يتغمز على خليل الذى احمر وجهه وبدا وكأنه مضروبٌ عليه من شدة إحمراره --- بدأ الغمز واللّمْز عليه

- هات لى شاى وواحد شيشه ، يبدأ أحدهم فى السخريه منه

- انت هاتبتديها بدرى كده دا باين العلقه كانت سخنه فى البيت ----- يضحك الجميع ، فهم يعتبرون وجود خليل الدهل بينهم فرصه لاتعوض لإطلاق النكات والقفشات دون مشاكل ، فهو يتألم ويصمت على أى حال وهو أضعف من أن يرد على تلك الوحوش الآدميه التى تجلس بالمقهى

أنقذه من هذا التحرش اللفظى ، ظهور (شوقى) و (مرزوق) ، اللذان أشارا اليه بيدهما ليغادر المقهى ،

- يالا بينا مفيش وقت --- يقولها مرزوق فى عجل ، فلم يجادله خليل الذى كان يرغب فى مغادرة القهوه سريعًا" ، انطلق الثلاثى إلى وكالة الليمون حيث تقبع غرزة (النونو) وهى عبارة عن غرفتين سفليتين يطلق عليهما(البدروم) بمبنى ضخم ذو تخطيط غريب ،كان يستخدم كثكنه عسكريه للقوات البريطانيه أثناء الإحتلال البريطانى لمصر ،وهو مبنى ضخم به ساحة كبيرة فى المنتصف تسمح لاصطفاف عدد كبير من الجنود ، و مُقام على عشرات الأعمدة الضخمة و به سلالم تأخذك إلى الأدوارالعليا ، وكل دور به أربع ممرات متفرعة بشكل صليبى ، وكل ممر يحتوى على غرف متقابلة يمينًا" ويسارًا" وفى نهاية كل ممر يوجد حمام ومطبخ مشترك لكل مجموعة غرف ، وبعد جلاء القوات البريطانية عن مصر آلت هذه الثكنات إلى الدولة ، وتم تخصيصها كغرف مستقلة للعمال والطبقات الفقيرة ،ثم تحولت الغرف شيئًا" فشيئًا" إلى أوكار للدعارة وتناول المخدرات ، وصل الثلاثى إلى غُرزَة النونو ، وطرق شوقى الباب بحذر ، بينما فى الناحية الأخرى ينظر أحدهم فى العين السحريه بحذرٍ شديد ، وسرعان ما فتح الباب فى ترحاب بعدما تعرف على هوية القادمين ،

- يا أهلًا" بالهوات

- ازيك يانونو

- الله يسلمكم يا بهوات ---- ولا يا بطه ، هات جوزه للرجالة ودخلهم (القعده الشرقية لوحدهم) ، بدأ بطه بتزويد الرجال بالجوزه ، مع إطلاق كلمات الترحيب ، وبطه هو كائن غريب كان ينتمى فى ما مضى إلى السلالة الإنسانيه لكنه تحول بفعل عوامل التعرية والمخدرات والقذارة إلى شىء يشبه قطعة الفحم المحترقة ،ولقد اطلق عليه هذا الاسم ، بسبب حادث سياره قديم ،أصابه بإعاقة فى إحدى قدميه وأثر ذلك على طريقة مشيه فكان يسير مُتمايلًا" على الجانبين كالبطة فى سيرها ، ولذلك سمى بهذا الاسم، ونسى الناس اسمه الحقيقى ، بدأ خليل ورفيقيه عملية تبادل الأنفاس على الجوزه ، وتبعها عملية إطلاق النكات والسباب والضحك بطريقة هستيرية ،كان خليل قد أفرط فى تدخين الجوزه حتى استكان تمامًا" وبدا غائبًا" عن الوعى . لكنه أخذ يهذى بكلمات غير مفهومة ،كان شوقى الاكثر دهاءًا" يحاول أن يثير خليل قليلًا" ليعرف منه أسراره التى يخفيها وهو فى كامل وعيه

- أنا عديت على عطارة الحاج والدك فى العطارين ، وأكرمنى بصراحه --- يصمت خليل ، فيسترسل شوقى فى خبث

- بس قولى يا خليل أفندى – أنت ليه ساكن فى الحته المعفنة بتاعتنا دى ومش عايش مع الحاج ده بسم الله ماشاء الله – باين عليه من الأعيان ،

- يرد خليل بعفوية رجل ذهب عقله ---- ربنا ينتقم منها ، قالها وهو مغمض العينين مستلقيًا" فوق أرضية (القعدة العربية) ورأسه مستند إلى وساده ناعمة بعض الشيء ،

- هى اللى خرجتنى زى ما (حوا) خرجت (آدم) من الجنة. أخذ نفسًا" عميقًا" آخر ايذانًا" بفتح هويس الأسرار المغلق ،

أنا كنت ساكن فى قصر مش بيت فيه من كل خيرات ربنا ، وأبويا عايش فيه لغاية دلوقتى ،كل حته فيه تحفه واللى يدخله كأنه دخل التاريخ ، وانطلق (الدهل) يصف البيت بما فيه من تحف و أنتيكات ، وسجاد عجمى وأثاث ، كان خليل مسترسلًا" وكان هناك شخص اخر ينصت بعنايه ، حتى بدأ الكلام يخف تدريجيًا" إلى أن استسلم خليل للنوم ،فجرجره الرجلان إلى الخارج ووضعاه فى عربة حنطور وانطلقا إلى منزله ،طرقا الباب وتركاه مستندًا" على الباب ، بعد قليل فتحت سميرة الباب ليسقط عليها خليل كجوال البطاطس – فساعدته فى لامبالاة من اعتاد مثل هذا الأمر وهى تندب حظها العاثر الذى أوقعها فى ذلك الرجل الضعيف ، وفى اليوم التالى لتلك السهرة الزرقاء ، تقابل (شوقى السريح) و(مرزوق البمبوطى) على قهوة عنبه كالمعتاد.

- ازيك يا شوقى ؟– قالها مرزوق وهو يمسك رأسه من آثار ليلة الأمس

شوقى:-زفت يامرزوق يا اخويا – الحال ما يسُرِشْ

مرزوق :- ليه بس خير ان شاء الله؟

شوقى:- الراجل اليهودى ----- عاوز فلوسه تلاتين جنيه

مرزوق :- يادين النبى ---- تلاتين جنيه ، أنا قلتلك بلاش تستلف بالفايظ من (باخوم) اليهودى ---- ده ابن حرام

شوقى :- اللى حصل بقى كنت عاوز أشترى بضاعه ، ولسه ما اتحصلتش على الربح ومش عارف اعمل ايه دلوقتى ؟

مرزوق :- ومين سمعك ، أنا كمان بقالى أسبوع مش عارف أنط على أى مركب

شوقى : ليه

مرزوق :- علشان عاوز فلوس أجيب بضاعه عليها القيمه ، البحاره مش عاوزين ولاعات سجاير ودلايات وكلام فارغ ، الخواجات بيحبوا الحاجة النضيفة ، تحف وأنتيكات أصلى ، حاجات شغل زمان وكل ده عاوز فلوس كتير ، تلمع عين شوقى السريح وكأنه تذكر شيئًا" بالأمس

شوقى :- إستنى ----- إستنى ، أنا عندى الحل اللى هايخلص مشاكلنا دى كلها

مرزوق:_ قول يا سيدى

شوقى :- منجم التحف والأنتيكات اللى قال عليه صاحبك امبارح وهو مسطول

مرزوق :- قصدك

شوقى: ايوه ندخل بيت أبو خليل وناخد اللى فيه

مرزوق :- لا – لا – بلاش

شوقى : يا عبيط دى عمليه مضمونه والراجل عايش لوحده ومعاه راجل عجوز -- هو قال كده

مرزوق : أنا قلبى مش مطمن

شوقى : ماتقلقش انت بس ، أنا هاخطط لكل حاجة

****

obeikandl.com

(7)

بعد شهرين --- الساعه الثالثه صباحًا"

يقف شبحان يستتران بظلام الليل ، أمام قصر الشيخ ، كل منهما يحمل حقيبة كتف من القماش تشبه(المخلة) التى يستخدمها الجنود ، يقتربان فى حذر من سور البيت من الناحية الخلفية ، حيث المنطقة المنخفضة الضعيفة من السور ، واذا كنت قد خمنت من الشخصين فأنت على صواب ، هما شوقى ومرزوق أصدقاء خليل ، يتهامسان فى خسة

شوقى:- ها --- جاهز ؟

مرزوق :- أنا خايف يا شوقى

شوقى هامسًا" :- ماتخافش زى ماقلتلك ، أنا درست البيت كويس ، مفيش غير الشيخ ، والراجل العجوز التانى الأسمر والبواب كشكه فى أول الجنينه وزمانه نايم فى سابع نومه ، والخدامة والطباخ مشيوا بعد صلاة العشاء ،وبيرجعوا الصبح الساعة سته ، احنا ها ننط السور على الجنينة وندخل على مبنى الخدم ومنه هانطلع السلم على صحن الدار ، هانلم اللى نقدر عليه ونرجع تانى ، ولا من شاف ولا من درى ---- دى أقل من ساعه زمن

مرزوق وبدا وجهه شاحبًا" ومرتعشًا" :-

ربنا يستر أنا خايف ، يلكزه شوقى فى كتفه بقوة

- ماتوديناش فى داهيه بجُبنك ده ، اقترب شوقى من الجزء الأضعف من السور ، وأخرج حبلًا" متينًا" فى نهاية طرفه كلابه تشبه (هلب)المراكب ، ليرفعها فى الهواء وتستقر فى أعلى السور منغرزه فى قطعه من الحجر الجيرى ، يجربها شوقى ثلاث مرات ، وبرشاقه من تدرب على ذلك الأمر ، يمسك بقوة ويسند قدميه على جدًار السور متسلقًا" إياه ،أنهى الأمر فى ثوانٍ معدودة ووقف يلتقط الانفاس ، محاولًا" مساعدة ذلك المسكين المرتعش الذى بالأسفل ، ندم شوقى على أنه أحضر مرزوق معه ، لأنه جبان وغير مُتزن عصبيًا" ، لكن الأمر قد حسم ويجب عليهما اتمام المهمة ، فى النهاية تسلق مرزوق بشق الأنفُس معتمدًا" على جذب شوقى له ، وهبطا بعدها إلى حديقة القصر ، ورقدا على الحشائش لدقيقتين يلتقطا الأنفاس ، كانت الليله حالكة الظلام والمنطقه كلها تغُط فى سُباتٍ عميق ، اقترب اللصان فى حذرٍ من مبنى الخدم، ووجدا الباب الخشبى المهترئ مغلق بقفل كبير ، فأخرج شوقى (كماشه) من الحقيبة ونزع رزة القفل من الباب القديم ، فى هدوء حتى لا يُحدِث صوتًا" ، ثم فتحا الباب ودخلا مبنى الخدم الذى يحوى المطبخ وغرفة الغسيل ، حيث تحركا بخفة فى الممر الموجود بين الغرف حتى وصلا إلى السلم الخشبى الذى يصعد على صحن الدار الكبيرة ، ويستخدمه الخدم بشكل يومى لتلبية احتياجات سادة المنزل ، اخرج شوقى (مصباح كلوب بريموس) خفيف الإضاءه وأشعل فتيله ليضئ له ذلك الظلام الحالك ، صعدا السلم

الخشبى ، الذى أصَدرَ طقطقات تُعّبرُ عن عمره ومدى تهالكه ، حبس شوقى ومرزوق انفاسهما حتى لا يفضحهما ذلك السلم اللعين . إلى أن وصلا إلى باحة الدار بسلام ، كان شوقى قائد المجموعه يسير فى المقدمة على أطراف اصابعه بينما مرزوق المرتعد يسير ممسكًا" بملابسه كطفل يخشى أن يفقد أمه فى الزحام ، حبس اللصان أنفاسهما لما شاهداه من جمال ، هو أكثر بكثير من الوصف الذى وصفه خليل ، وقفا يشاهدان البهو فى انبهار سائح يقف فى بهو المتحف المصرى ، لقد نسيا لبُرهه أنهُما هنا للسرقة ، أشار شوقى لمرزوق أن يتجه إلى الناحيه اليُمنى ليجمع ما خَفّ حمله وغلا ثمنه ، وقف شوقى أمام بُرده حريرية سوداء مُعَلَّقَة منقوشٌ عليها بالذهب أبيات من الشعر ، اقترب بالمصباح قليلًا" ليقرأ الكلمات المنقوشة بالذهب ، وضع يده على البرده بإعجاب ، وهو يشعر أنه قد وقع على كنز

بَدا لَكَ سِرٌّ طالَ عَنكَ اِكتِتامُهُ

وَلاحَ صَباحٌ كُنتَ أَنتَ ظَلامَهُ

وَأَنتَ حِجابُ القَلبِ عَن سِرِّ غَيبِهِ

وَلَولاكَ لَم يَطبَع عَلَيهِ خِتامَهُ

حاول مرزوق نزع البردة من على الحائط إلا أنها ، بدت ثقيلة وملتصقة بالحائط بشكل غريب ، أما الآخر،فكان يحاول نزع

النقوش البارزة من على الأريكة والكراسى ، وبينما هما منهمكين فى السرقة ، حدث شىء غريب

- بسم الله الرحمن الرحيم ، ايه ده !!!!!!----- صرخ شوقى فى فزع

كان المصباح قد تحول لونه إلى الأخضر ، ثم بدا الضوء الأخضر يسطع ليغمر المكان ،وصوتٌ جهورى،عذبٌ ينشد نفس الكلام الموجود على البردة ،

بَدا لَكَ سِرٌّ طالَ عَنكَ اِكتِتامُهُ

وَلاحَ صَباحٌ كُنتَ أَنتَ ظَلامَهُ

وَأَنتَ حِجابُ القَلبِ عَن سِرِّ غَيبِهِ

وَلَولاكَ لَم يَطبَع عَلَيهِ خِتامَهُ

ترنح شوقى و مرزوق من الذعر وحاولا الهرب ،إلا انهما وجدا نافورة الطاووس التى كانت متوقفة تعمل وتطلق ماءًا" أخضر اللون ،له خرير قوى، ثم سمعا زئيرًا" رهيبا" ياتى من عند السلالم المؤدية إلى الطابق الثانى ، كان صوت الزئير وكأنه يهبط بسرعة ، إلى أن شاهدا أسدين كبيرين يقفزان من على السلم ويجريان فى اتجاههما و قد توهج لون عينيهما إلى الأحمر ، سقط مرزوق مغشيًا" عليه ، بعدما بال على نفسه ، بينما أخذ شوقى يجرى فى كل اتجاه ويصرخ لكن لم يسمعه أحد

***

(8)

الاسكندرية عام2000- آخر ليله فى شهر رمضان المعظم

تجلس توحه بجوار زوجها إبراهيم الراقد فى غيبوبة تامة منذ شَهرٍ تقريبًا" ، وحوله أسلاك وأنابيب ، متصله بأجهزه لها شاشات ، أخبرها الأطباء أن إبراهيم قد أصيب بهبوط حاد فى عضلة القلب مع وجود جلطه ، أدت إلى الغيبوبة وأن مصيره بيد الله ، لكنها وبخبرتها كممرضة تعمل فى نفس المستشفى منذ مدة طويله ، تعلم أن من يصل إلى هذه الغرفة قد حُسم أمرهُ وأن الموضوع هو مُجرد مسألة وقت ، لكنها لم تفقِد الأمل فى الله ، كانت الغرفة تتسع لعشرة أسّره وكل سرير مُحاطٌ بستائرٍ خضراء لتفصله عن باقى الأسرة ، جَلسَت (توحه) فى انكسار تتأمل زوجها الموجود بين الأحياء حتى الآن اسمًا" فقط ، لقد شحب وجهه شحوب الموتى وذبل جسده وأصبح كورقة الشجر الصفراء التى توشك أن تنفصل عن فرعها فى أى لحظة ، أخرجها من صمتها الحزين اقتراب فتاتى التَمريض (شريفه) و (ليلى) ، المُناوباتْ على غُرفةَ العِناية المُرَكزة ، ابتسمت (توحه) رُغمًا" عنها عندما رأتهما معًا" و لا تملك سوى الابتسام فأنت أمام نموذج مصرى مؤنث من شخصيتى(لوريل وهاردى) فشريفه فتاة صغيرة الحجم جميلة الوجه ، تتميز بالدلال والدهاء ، جميلة الهندام ، جريئة ، تلبس

ملابس أنيقة دائمًا" لعلها تنجح فى اصطياد عريس وسيم ومُتعلم من أحد أبناء المرضى ، أو من شباب الأطباء النواب ، فهى شخصية طموحة جدًا ، أما ليلى فكانت ضخمة كمصارع ، ملائكية الوجه ، أكثر طيبه وبساطة وخجلًا"من شريفه ، كانت تمثل البنت المصرية الغلبانة التى لا تبغى سوى الستر ، بدت الفتاتان رمزًا" للحياه وسط هذا الكم من المرض والفناء ، بجمالهما الظاهر وابتسامتهما المتفائلة ورعونتهما التى تعكس صغر سنهما ، والجرأة وسرعة التصرف التى تميز فتيات المناطق الشعبية

- كل سنه وانتِ طيبة يا مس (توحه) –التليفزيون بيقول إن العيد بكره ، تنتبه تحيه كمن تذكر شيئًا" مهمًا"

- كل سنه وانتم طيبين يا بنات -- والسنه الجاية تبقوا فى بيوتكم .

عاوزه حاجة يا مس تحيه ، قالتها ليلى فى طيبة وهى تحتضن (توحه) بينما ، قدمت لها شريفه كوبًا" من الشاى وطبق به بعض مخبوزات العيد من كعك وبسكويت وضعته على المنضدة المجاورة لسرير إبراهيم وهى تتلفت يمينًا" ويسارًا"

- اتفضلى دى حاجات العيد كل سنه وانتى طيبة – عاملينهم بالسمنة البلدى والله ، تشكرها توحه فى امتنان

- احنا والله واخدين بالنا من عم (إبراهيم) ومش بنسيبه تصمت شريفه قليلًا" ---- ربنا يشفيهولك ، ترد توحه بصوت حزين

- ربنا يخليكو يا بنات ، وأخدمكم فى أفراحكم ان شاء الله

- عمومًا" لو احتاجتى حاجة نادى على حد فينا ، تُغادرالفتاتان وتجلسان على كرسيين بجوار دولاب الأدويه ، تُخرج إحداهما مُلقاطًا" ومرآه من الحقيبه لزوم الزينة بينما تخرج الأخرى علبة مكياج للتجميل ، وهما يتضاحكان فى همس، احترامًا" لتلك المسكينه المُرابضة بجوار زوجها منذ شهرٍ تقريبًا" دون أكل أو نوم ، أخرجت (توحه) مُصحفًا" من حقيبتها وضعته على المنضدة ، ثم رشفت قليلًا من كوب الشاى ، تتذكر أنها لم تذق الطعام ،وفطرت على تمر باللبن فقط ، فوضعت قطعة من الكعك فى فمها، لاكتها فى حُزنٍ مع كوب الشاى ، كان الجو هادئًا" ورحيما" واحتفاليًا" فى المستشفى على غير المعتاد وخاصة فى هذا القسم الحزين الذى يرقُد مرضاه بين يدى الله ، ومعظمهم لا يشعرون بمن حولهم ولا تسمع فيه إلا أصوات الرنين البغيضة المتقطعة الخاصة بالأجهزه والتى تقيس الوظائف الحيوية لكل مريض ، جلست تقرأ فى المصحف كالمعتاد ، وتبتسم من آنٍ إلى آخر على قفشات البنات ، إنهن يُذّكِرنها بِشبابها ، كم كانت مرِحة وجميلة فى ما مضى ، لكنها الظروف ، تمنت لهن ولأولادها مستقبلًا" أفضل ، ظلت جالسه تقرأ حتى الواحدة صباحًا" ، بدأت تسمع أصوات الشارع بعدما هدأت المستشفى ، أبواق السيارات ، الألعاب النارية ، أصوات التليفزيونات القريبة القادمة من غرف المرضى والأطباء المناوبين (هَلّ البدرى بدرى --- والأيام بتجرى) ،

شعرت بشيء من الترويح ، تذكرت أولادها الأطفال (كريم) و(سيد) ، المقيمين عند والدتها ، شعرت باشتياقٍ لهما ، وتمنت أن تُحضر لهما ملابس عيد جديدة ، لكن لعن الله الفقر والمرض ، شعرت بجفافٍ فى حلقها فقامت لتشرب ، لتجد (ليلى)، وقد نامت فى استكانة على كرسيها الجلد ورأسها مستند إلى المنضدة ، أما(شريفه)الأكثر جرأه فقد تخففت من طرحتها و نامت على كرسى وفردت ساقيها على كرسى الطبيب المناوب ، الذى ينام فى السكن ، مستعدًا" لانذار الطوارئ من إحداهما ، توقفت أمامهما وابتسمت فى حنان ثم تناولت زجاجة المياه الموضوعة على المنضدة وشربت ، ثم عادت إلى مكانها ، حاولت القراءة مرة أخرى الا أنها بدأت تشعر بالخدر يسرى فى جسدها ، تتثاقل رأسها شيئًا" فشيئًا" وتغشاها سنة من النوم ، ترى نفسها وقد عادت خمسة عشرة عاما" إلى الخلف ، رشيقة الجسد جميلة الوجه ناعمة الشعر(كشريفه) الممرضه ، وترى إبراهيم حبيبها ينتظرها على باب مدرسة التمريض ليخبرها بتعيينه فنيًا" فى أحد مصانع الحديد ، تشعر يومها بسعادة غامرة وهما يتناولان طعام الغذاء فى محطة الرمل ويدخلان سينما (أمير) حفلة ثلاثة إلى ستة فيلم (الكيف)

، تتذكر وقوفها فى السابعة صباحًا" فى شرفتها التى تواجه شرفته ، تنتظره ليلقى عليها تحية الصباح فى الخفاء ويتناولان كوب الشاى بالحليب تزامنًا" فى نفس الوقت ، تتذكر أنه برع فى تطوير أنظمة الإشاره بينهما حتى لا يضبطهما شقيقها بدوى فيؤذيهما ، من

إشارات اليّد الخَفيه إلى عاكس المرآة إلى الطقطقات بأدواتٍ خشبيه ، تتذكر رفض أسرتها له أكثر من مرة بسبب أمه (سميرة) المجنونة التى تعيش معه فى نفس المنزل بعدما طُرِدت من مُسْتشفى الأمراض العقلية ، وبعد إلحاحها وتهديدها بالانتحار أكثر من مره وافقت الأسرة على مضض ، تزوجا وذاقت الأمرَّين من أمه المجنونة التى كادت تقتلها والتى كانت تصمت أيامًا" ثم ينتابها هياج رهيب و كأنها ترى شيئًا" تخاف منه ، فتحمى وجهها بكفها وتصرخ(حوشوه عنى)، تتذكر تلك الجروح الغائرة الرهيبه التى رأتها فى جسد (سميرة) وهى تساعدها على الاستحمام ، جروحًا" لم ترى مثلها فلقد رأت فى عملها كممرضه بقسم الجراحة آلا ف الجروح لكنها أبدًا" لم تر مثل تلك الجروح التى تبدو وكأنها مخالب قط كبير ، وعندما سألت إبراهيم عنها ذات مرة ، ردّ عليها فى اقتضاب أنه لا يعلم مصدرها ، تتذكر ذلك الصباح المشؤوم الذى أشعلت فيه (سميرة) النار فى المنزل وهم نيام ، فاحترقت سميرة وماتت ابنتهما الأولى (نجوى) مختنقة ونقلت هى إلى المستشفى تعالج من اثار الحادث ومن آثار الصدمة العصبية بينما كان إبراهيم فى عمله ، ما حذرت منه أسرتها قد حدث ، وتسبب ذلك الحادث فى تدهور حالة إبراهيم ، وازداد شعوره بالذنب ، ثم تحول إلى نصف عاقل ونصف مجنون ، فقرر ترك الحى والمنطقة إلى عزبة الصيادين الأكثر عشوائية ، وأصبح غير منتظم فى العمل ، وأدمن المخدرات حتى فصلته الشركة ، وانطلق إلى الشارع ، يعمل فى أى شىء ،

يغطى تكاليف إدمانه و يلقى بعض الفتات لأسرته ، لقد انجبت منه كريم بعد الحادثة بعام وبعد فتره طويله رزقت بسيد ،ورويدًا "رويدًا" تحول إبراهيم إلى مجرم وبلطجى انتخابات ولص ، يعيش من السرقه والمخدرات والمشاجرات ،بل وقرر تعليم ابنه كريم ابن الثلاثة عشر عامًا" السرقه ، تتذكر حزنه وانكساره فى تلك الليلة قبل الغيبوبة وعودته مضروبًا" هو وابنه وبعدها نام ---- ، يُزعج مناماها صوت صافرات قوية آتية من مكان بعيد ولكنها عندما استيقظت وجدت الغرفة قد انقلبت رأسًا" على عقب ، فلقد كانت الصافرات البغيضة الثابتة تأتى من أجهزة إبراهيم ، تُلملِم أشيائها فى عجل ، بينما تجرى شريفه وليلى فى كل اتجاه ، واحده تتصل بالدكتور (أمجد) طبيب الطوارئ فورًا" بينما الأخرى تجهز جهاز الصدمات الكهربائيه ، تعلم بحكم عملها كممرضه ، أن إبراهيم --- يموت الآن

***

(9)

الاسكندرية عام 1957

إشاره من عسكرى الدورية إلى قسم شرطة باب شرقى تُفيد بمصرع شخص وإصابة آخر بجروحٍ خطيرة ، بمنطقة حدائق الشلالات ، وفى تمام التاسعة صباحا" اقتربت سياره (بيك أب) تابعة للبوليس المصرى تحمل (محمد بك السوهاجى) وكيل نيابة وسط ومعه معاون دائرة القسم ، كان هناك أحد الأشخاص مُمَددًا" على الأرض ومُغطى بالجرائد وحوله دائرة بشريه وبجواره سيارة اإسعاف مفتوحة الباب (وبها شخص فاقد الوعى) به جروح خطيرة ، وحوله اثنين من المسعفين ، قبل أن ينزل الرجلان من سيارة الشرطة سأل وكيل النيابة معاون المباحث

- هو ايه اللى حصل ؟

الضابط:- دى غالبًا" مشاجره يافندم ، يقترب وكيل النيابة ويأمر الجنود بعمل كردون وبرفع الجرائد ، تصيب الجميع حاله من الاشمئزاز والفزع ، على الرغم من اعتيادهم على مثل تلك المواقف ، لقد كانت الجثه ممزقة تمامًا" ومبقورة البطن بشكل مخيف وبها ثقوب غائره فى منطقة الرقبه والكتف مع اختفاء كامل لمعالم

الوجه ،و على الظهر توجد خدوش طولية دموية ، وكانها أخاديد حُفرت فى الأرض ،

- ايه ده !! --يهمس وكيل النيابة فى حيره وامتعاض

- دى لايمكن تكون آثار مشاجرة أبدًا" ، يؤمّن معاون القسم على كلامه وهو فى حالة اندهاش

الضابط :- يعنى هيكون ايه؟؟! ، يهز وكيل النيابة رأسه

- الأتنين دول تم نهشهم بواسطة حيوان مفترس ، أنا شفت حاجة زى كده لما كنت باخدم فى الصعيد ناحية الجبل

الضابط :- ايوه يافندم فى الصعيد ممكن ومنطقى أن يكون فى ديب أو كلب مسعور لكن هنا ، وفى محطة الرمل ازاى؟ ، يهز محمد بك رأسه فى حيره وهو يؤشرعلى أوراق المحضر

- تحول الجثه إلى خبير الطب الشرعى ، يقترب وكيل النيابة والضابط من سيارة الاسعاف ، حيث يتم اسعاف الرجل الآخر ، ليشاهدا خدوشًا" طوليه وندبات أقل حدة من الآخر لذا لم تتسبب فى موته ولكنه كان يهذى وفى حاله غير طبيعيه ويصرخ واضعًا" يده أمام وجهه (الحقونى --- حوشوه عنى) ، يكتشف الرجلان أن المُصاب فى حاله هستيرية ولا يمكن استجوابه ،

تزامنًا"

يخرج الشيخ ورجب من البيت بعربة منصور الا أن الجمع الغفير وسيارات البوليس والاسعاف قد لفتت انتباههم ، ينتبه الشيخ فيخاطب منصور

- وقف يا منصور ، انزل يارجب شوف فيه ايه ، اقترب رجب من بعيد ليشاهد القتيل وذلك الذى فى سيارة الاسعاف ، ويعود إلى االشيخ مفزوعًا"

- تعال يا سيدنا --- لازم تشوف حاجة ، الموضوع شكله خطير

- فيه ايه يا رجب ؟، يهمس رجب فى ذعر مع دهشة منصور الذى بدت البلاهة ظاهرة على وجهه ، فهو يعرف أن الشيخ لا يتدخل أبدًا" فى شىء لا يعنيه

رجب:- تعالى شوف الراجل ده

يقترب الشيخ قليلًا" من الكردون المحيط ، ويطلق نظرة ثاقبة إلى الجثة التى يعاينها وكيل النيابة ، يلاحظ ذلك الخاتم الفيروزى الأحمر ،الموجود بإصبع (البنصر) فى اليد اليمنى للقتيل--- تذكر شيئًا" ، فعاد خطوتين إلى الوراء ونظر إلى رجب نظرة ثاقبة وعاد أدراجه حيث عربة منصور ، لتنطلق بهم العربة من جديد ، جلس الشيخ ورجب يتبادلان النظرات فى صمت بينما تملك الرعب من رجب ، عنده آلاف الأسئلة لكنه لم يجرؤ على الكلام فى وجود منصور الحوذى ، يصلان إلى الوكالة فيغلق الشيخ ورجب باب المعمل عليهما

ويسأله رجب

- تفتكر الاتنين دول كانوا ضيوف عندنا امبارح ؟، فينظر له الشيخ نظرة ثاقبة مع ابتسامة نصر قائلًا" فى غموض

- أكيد ، يبتلع رجب لُعابه فى رعب ويستفسر مرة أخرى

- والحيوانات المفترسة اللى وكيل النيابة كان بيتكلم عنها دول ؟؟ -- يقاطعه الشيخ مرة أخرى بثقة

- نعم ---- هم يارجب ، يكاد رجب يُجن ويرد قائلًا" وأنفاسه تتهدج

-أنا كنت بسمع الكلام ده من أبويا وأبوك !! وكنت فاكر أن الموضوع ده ، كان حصل مره زمان وخلاص ،يرد عليه الشيخ

- لاحظ أنه لم يعتدى على البيت أحد منذ ذلك التاريخ القديم ، لكن يبدو أنه تكرر اليوم ، يهذى رجب مرة أخرى يعنى دول ؟؟!!

- أيوه يارجب دول(أولاد الهصور) ، يهتف رجب فى فرحة

- الله أكبر ، الله اكبر ، دى علامات نصر مبين ، بينما يغمم الشيخ فى رضا

- الحمدلله ، الذى رد عنا الأعداء --- ألا إن نصر الله قريب

***

(10)

بعد الحادث بسبعة أيام

يطرق جُندى باب مكتب (محمد بك السوهاجى) وكيل نيابة وسط ، ومعه مظروف مغلق وعليه أختام مصلحة الطب الشرعى ، ينادى محمد بك من الداخل

-ادخل ، يدخُل الجُندى فى انضباط ملقيًا" التحيه العسكريه ، بينما يطالع وكيل النيابة بعض الأوراق التى أمامه ، يرفع عينه بسرعه للجُندى الذى مدّ يدهُ بالمظروف .

- يافندم ده تقرير الطب الشرعى اللى حضرتك استعجلته . فتح محمد بك التقرير باهتمام ،وبدأ فى القراءة

(الجثه بها تهتكات شديدة بمنطقة البطن مع تمزق فى المعدة والأمعاء الدقيقة نتيجه بقر البطن بمخالب حادة ، كما أن بها عضات نافذه فى منطقة الرأس والرقبة ، مع تشوه فى معالم الوجه ، ويرجح التقرير تعرُض الجُثه للنَهش بواسطة حيوان مفترس ، وبمراجعة خبير الطب البيطرى ، أكد أن المخالب المذكوره هى ل ----- !!!!!!!!! ، يقطب محمد بك حاجبيه ويشعل سيجاره ، وهو فى غاية التعجب ، ثم يكمل القراءة ---- ان المخالب المذكوره لأسد أفريقى ضخم ذَكر ،وزنه يتراوح بين المائتين إلى المائتين وخمسين

كيلوجرامًا" عمره ما بين العامين والأربعة أعوام والجريمة حدثت ما بين الساعة الثالثة والرابعة صباحًا" . ينهى محمد بك التقرير وهو يفكر

- أسد !!! وجه منين الأسد ده بس ، كانت الجثة لا تحمل إثبات هوية ، لكنهم عثروا على فاتورة مشتريات بإسم (شوقى عبد الحميد السيد) ، وبالتحرى والبحث اتضح أن الجثه هى للمذكور صاحب الفاتوره شوقى عبد الحميد السيد المقيم بدائرة قسم الجمرك – شارع الحجارى ، كما تم تأكيد هوية الجثه بواسطة الأهل ، أنهى محمد بك التقرير ، وجلس واضعًا" رأسه بين يديه ، مستغرقًا" فى التفكير ، دارت فى خلده ،عشرات الأسئلة ، التى لم يجد لها إجابة شافية ، من أين جاء هذا الأسد ؟! ، وكيف هاجم هذا الرجل فى الشارع ؟! و إلى أين هرب ،شعر برغبته فى معرفة تفاصيل أكثر ،فرفع السماعه وطلب من عامل التحويلة اتصالا" بمدير حديقة الحيوان ، وبعد فتره يتصل به جندى التحويلة

- حديقة الحيوان معاك يافندم ، يضع محمد بك السماعه ، بينما يرد على الطرف الأخر صوت هادئ وقور ، يعرف محمد بك نفسه

- مساء الخير يا فندم --- مع سيادتك (محمد السوهاجى) ، وكيل نيابة وسط ، صمت الطرف الثانى لثوانى وكأنه شعر بصدمة أو خوف ، لكنه تدارك الموقف سريعًا" ، واستعاد هدوءه مرة أخرى

- أهلًا" وسهلًا" يا فندم ، الدكتورمحمد الشحات مدير الحديقة مع سعادتك ---- خير؟ قالها وهو يتمناها فى قرارة نفسه فالدكتور محمد رجل مسالم جدًا" وملتزم

- وكيل النيابة :- خير هو بس استفسار --- يمكن يكون غريب شوية

مدير الحديقة :_ لا أبدًا" اتفضل!!

وكيل النيابة :- هل فى أسد هرب من الحديقه الفترة اللى فاتت دى ؟؟؟؟ ، يرد الدكتور محمد هذه المرة بسرعه وبدون تفكير، ولِكنه تحمل الكثير من الإستنكار والتعجب

- ياخبر !!! لأطبعًا" ---- دى عمرها ما حصلت ، ولو كانت حصلت كانت الدنيا انقلبت . يصمت وكيل النيابة قليلًا" ثم يرد

- طيب ممكن سيادتك تشرفنى فى مكتبى علشان استفيد من خبرتك فى الموضوع ده ، حاول طمأنته بجملة ، وعلى فكره ده مش تحقيق من أى نوع --- دى مجرد دردشة ونحاول نستفيد من خبرة سعادتك فى حل قضية صعبة ، ممكن النهاردة ، يفكر مدير الحديقة قليلًا" ثم يرد فى هدوء كمن يريد أن ينهى موضوعًا" ثقيلًا".

- ممكن آجى لحضرتك النهارده الساعة الخامسة مساءًا" ، يرد وكيل النيابة فى ارتياح

- خلاص --- ان شاء الله أنا فى انتظارك ، وفى تمام الخامسة يصل الدكتور محمد الشحات إلى مبنى نيابة وسط ، الدور الثانى حيث

مكتب (محمد بك) ، يخبر جُندى الحراسه الواقف على الباب بميعاده مع (محمد بك) ، فيدخُل الجندى طارقًا" الباب ملقيًا"التحية العسكرية على وكيل النيابة

- مساء الخير يا فندم

- مساء النور --- في ايه ، قالها وهو يطالع الأوراق التى أمامه فى اهتمام

- فى واحد بره بيقول انه عنده ميعاد مع سيادتك اسمه ---- الدكتور محمد ، ظهرت علامات الإهتمام على وجه وكيل النيابة ،وطوى الأوراق بسرعة ، آمرًا" الجندى

-خليه يتفضل

- دخل الدكتور محمد الشحات مُسلِّمًا" على وكيل النيابة ، الذى أشار إليه بالجلوس

- اتفضل حضرتك ، كان الدكتور محمد يبدو متوسط القامة أقرب إلى الأجانب ، بشعره البنى الفاتح الناعم و بلحيته البنية المائلة للحمرة المُشّذبة بعناية على الطريقة الأوروبية والتى يطلق عليها العوام لَقبْ (سكسوكة) ، وببشرته البيضاء ، بدا أنيقًا" ووسيمًا" رغم عمره الذى تجاوز الخمسين ، بِحُلته الكاملة ذات القماش الانجليزى ، وحذاءه الانجليزى (الكلاركس) ، ومنظاره الفرنسى الصنع ، والعطر الفرنسى الفواح الذى يضعه ، والذى جعل وكيل

النيابة فى قرارة نفسه معجبًا" بأناقته . والذى بادره بكلمات الترحيب

- متأسف يا دكتور ، أزعجتك وأنت لسه مخلص شغل ، قالها وهو يضغط الزر الذى أمامه ،

- قهوة حضرتك ايه ، رَدَ الدُكتور مُحمد فى امتنان

- عالريحه ، يبلغ الجندى الذى أمامه

- هات قهوه عالريحه وواحده مظبوط ، يومئ له الجندى المسكين فى استسلام ، ويخرج مسرعًا" بينما يعزم وكيل النيابة على الدكتور محمد بسيجاره ، ايذانًا" ببدء عملية كسر الجليد بينهما ، يُخرج وكيل النيابة تقرير الطب الشرعى من أحدِ الأدراج ليضعه أمام الدكتور محمد وهو يضع خطوطًا" على تقرير خبير الطب البيطرى ، محاولًا" الشرح للرجل

- باختصار دى حادثة واحد لقيناه مرمى فى الشارع ، عاوز حضرتك تقرأ تقرير الطب الشرعى وتقول ايه رأيك ، يتناول الدكتور محمد التقرير ويقرأه فى هدوء بينما الصمت يُخيم على المكان ، لم يقطعه سوى صوت دخول الجندى المسكين بصينية القهوه

، تبدو علامات الحيره والتعجب على وجه الدكتور محمد كُلما تَوغل فى القراءة حتى انتهى ، وخلع منظاره ثم تناول رشفة" مِنَ القهوة التى أمامه ، مُعلقًا"

- أيوه يا فندم ---- بس إحنا معندناش أُسودْ هربانه

- طيب بصفتك خبير فى المجال ده ، مُمكن يكون فى حدْ مربى أسد فى البيوت القريبة من الحادث ، يرُد مدير الحديقه فى لهجة من يلقى محاضرة على طلبه

- علميًا" لأ ، لأن صوتها بيكون مُزعج جدًا" خاصة" فى موسم التزاوج ، وصعب يربى أسد فردى لازم اتنين على الأقل ، لأنها حيوانات اجتماعية وبتعيش حياة أسرية ، وكمان بيكون رائحتها قوية ---- لكن فيه حاجة غريبة ، يظهر الاهتمام على وكيل النيابة ويسأله

-حضرتك شاكك فى ايه ، يلقى الدكتور محمد بكلماته على وكيل النيابة التى نَزَلت عليه كالصاعقة ، من المواصفات المكتوبه فى التقرير دى لو مظبوطه تعنى ان الأسد ده مش فى الأسر !!!، يرد وكيل النيابة فى حيره وقد عجز عن الفهم

-يعنى ايه

- يعنى باختصار أسد بالحجم ده ، ما اترباش فى سيرك أو جنينة أو حتى بيت علشان يوصل للقوة والحجم ده ، لازم يكون اتربى فى بيئته الطبيعيه ، بينما يبتلع محمد بك الكلمات بصعوبة ، دخل الجندى مرة أخرى وهو يحمل ورقة إشارة من المستشفى الميرى حيث كان يُعالج الضلع الثانى فى هذه الجريمة الغامضة (مرزوق البمبوطى) ، تلقى وكيل النيابة الإشارة من الجندى وفتحها فى تلهف ، وبرقت عيناه فى استنكار ، شكر الدكتور محمد على عجل

واعتذر له لضرورة خروجه إلى مهمة عاجلة ، انتقل بعدها (محمد بك) ومعه ضابط القسم ، إلى المستشفى العام ، حيث تلقى محمد بك إشارة من المستشفى أن مرزوق البمبوطى قد تحسن بعض الشىء ،وحالته قد تسمح باستجوابه ، دخل وكيل النيابة

على مرزوق الضحية الثانية فى حادثة الأسد ، كان مرزوق نائمًا" ، وملفوف بعشرات الضمادات من رأسه وحتى قدميه ،كأنه إحدى المومياوات من عصر الأسره التاسعة ، كان نائمًا" فى سريره بلا حراك ، ناظرًا"إلى سقف الغرفة باستمرار ، يبادره وكيل النيابة

- إزيك يا مرزوق ؟ --- بدا مرزوق غير مستجيب تمامًا" ، وبدت فى يده رعشه خفيفة ، بادره وكيل النيابة بسؤال اخر

-ايه اللى حصل يا مرزوق ؟--- لم يستجب للمرة الثانية فقرر وكيل النيابة أن يُباغت الجميع بما فيهم مرزوق نفسه بسؤال كان له فعل الصدمة ، وفى صوتٍ قوى قال له

- الأسد هجم عليك إزاى يا مرزوق ؟؟ وطِلعلك منين ، بدا السؤال غريبًا" للجميع ، حتى مرزوق لم يتخيل أنهم قد عرفوا ، نظر مرزوق إلى الجميع ، وازدادت رعشة جسده ، ونهض على الرغم من جراحه جالسًا" وهو يخفى وجهه بين يديه ، كمن يحمى وجهه من شىء تَبِعَهُ بصراخٍ هيستيرى لجملة واحده تتكرر (الحقونى ---- - حوشوه عنى) ، تحولت الرعشة إلى تَشَنُجات مُخيفة ، جعلت الأطباء يطلبون من وكيل النيابة إنهاء التحقيق حتى يتمكنون من

السيطرة عليه ، أصاب هذا المشهد وكيل النيابة بالإحباط. وعندما تأكد أن نوبات الهياج تأتى لمرزوق متكررة ، قرر تحويله إلى مستشفى الأمراض العقلية لفحص حالته خلال أسبوعين .

وبعد أسبوعين من هذا التاريخ ، وصل إلى محمد بك تقرير مستشفى الأمراض العقلية ، تناول الرجل التقرير وعيناه تجرى بلهفه فوق السطور ، لكن سرعان ما تغيرت ملامح وجه واكتست بالإحباط التام ، وأطاح بالتقرير فوق المكتب ثم أشعل سيجارة فى عصبية واضحة

المريض قد تعرض لظروف غير عادية فى الحادث مما أصابه بصدمة نفسية وعصبية حاده وهو الآن يعانى

traumatic stress disorder Post

أعراض ما بعد الصدمه والتى تتمثل فى اضطرابات نفسية ثانوية (اكتئاب جزئى - رهاب الاختلاء مع وجود هلاوس سمعية وبصرية ، مما يصعب معه استجواب الشخص أو الإعتماد على شهادته) . وبُناءا" على ذلك التقرير كان أمام محمد بك السوهاجى وكيل نيابة أن يأمر بالبحث فى الفيلات والقصورالمحيطه بالحادث عن ذلك الأسد المجهول أو نِسيان الأمر برُمَته.

***

(11)

تزامنًا" وفى نفس الأسبوع جلس (خليل أفندى العابد) ، الشهير (بخليل الدهل) كعادته كل يوم جمعة بعد الصلاه فى مقهى (عنبه) ، يبحثُ عن صديقيه (شوقى) و (مرزوق) ، لكنهما لم يظهرا على غير المعتاد ، ولم يسمع عنهما خليل شيئًا" ، يقترب حوده صبى قهوة عنبه من (خليل) أفندى ويساله عن طلبه فيجيب

- عاوز قهوه ساده يا حوده ، يبتسم حوده فى ودٍ مُصْطَنعْ

- من عنيّا يا خليل أفندى ، يتذكر خليل شيئًا" فيسأله بسرعه قبل أن يرحل كمكوك الفضاء ، لتلبية طلبه

- ما شوفتش (شوقى) و(مرزوق) ؟؟ ، يندهش حوده من ذلك المُغّيب الذى لا يدرى بأى شىء يدورُ حوله ، ولا يعرِف أخبار أصدقائه ، فيرد سؤاله بسؤال

- ليه هوا انت مادرتش باللى حصل لهم ؟ ينزعج خليل أو تظاهر بذلك

- خير ؟؟!!، فيعاجله حوده .

- لأ مش خير --- يلتفت حوده يمينًا" ويسارًا" ثم يقترب كمن سيخبره بسرٍ عسكرى

- شوقى مات فى حادثه و مرزوق مِتعور جامد فى المستشفى ، ناس زاروه من عندنا وبيقولوا إنه ، اللهم احفظنا اتجنن !! ، يندهش خليل !! ، وهو يسمع الخبر ، ويفتح فمه فى بلاهة واضحة --- مما جعل حوده يبتسم رُغمًا" عنه ، لكن خليل سأله بسرعه

- يعنى دى حادثة عربية ولا (عَرْكه) ولا ايه ؟ (والعَرْكه هى المشاجرة باللهجة السكندرية)

- والله ما حد عارف ، لقوهم مرمِيين عند الشلالات كده من أسبوع وخلصانين ، تنتبه كل حواس خليل إلى المنطقه التى ذكرها (حوده) الآن ، هل من المعقول أن يكون ذلك الحادث بسببه ؟؟--- لا يدرى !! ، ولكنه لم يكن مرتاحًا" ، شعر خليل بارتكابه جُرْمًا" لا يتذكر منه الكثير ، لكنه خشى أن يكون الحشيش قد لعب برأسه فباح بالسر ، وإن حدث هذا --- فالمصيبة قد حَلّت ، وفى اليوم التالى قرر خليل زيارة الشيخ بعد استلامه الخطابات من مكتب البريد ، وبالفعل تسلم خليل الخطابات فى اليوم التالى ووضعها فى حقيبته الصفراء الشهيرة والمكتوب عليها من الخارج شعار البريد المصرى ، يجرى خليل إلى الشيخ وفى رأسه عشرات السيناريوهات التى سيحاول بها استدراجه لمعرفة ما حدث ، تمنى من الله أن لا يعرف الشيخ شيئًا" ،وأن يكون وجود شوقى ومرزوق فى منطقة المنزل مَحْضْ صُدفه لا أكثر ، يقترب بدراجته من باب الوكاله ،

ويطلق جرس دراجته الشهير إيذانًا" بُقدومه ينتبه اليه الشيخ الجالس على مكتبه وفى يده كوب الشاى بالنعناع ، ، كانت الساعة الحادية عشرة صباحًا" والجو لا يزال هادئًا" ، يقترب خليل فى توتر واضح ، ويُقبِل يد والده فى تَملُق لعله يرضى ، لكن الشيخ نظر اليه نظرة ضاعفت الخوف والقلق فى أعماقه ، أمر الشيخ ابنه بالجلوس ، وطلب من أحد العاملين إحضار عناب بارد من المقهى القريب . شعر خليل أن الشيخ ينتظره فزاده ذلك ارتباكًا"

- اقعد يا خليل ، وللمره الثانيه ينظر الشيخ إلى ابنه نظرة عتاب وحزن ، جعلت خليل يَتَصَبَبُ عَرَقًا" ، حاول أن يبدو طبيعيًا" فساله عن أحواله

- عامل ايه يابا وازاى صحتك ؟ --- يصمت الشيخ فى هدوء مخيف ويغرس سكينًا" فى قلب خليل بنظرة ثالثة ، كاد بعدها أن يسقط مغشيًا" عليه ، وعاجله بسؤال سريع

- انت قلت لحد على السر ؟، يتلعثم خليل ويخرج منديلًا" محلاويًا" من جيب سترته الأيسر ، فى محاولة يائسه لتجفيف عرقه ، الذى انساب كالشلال فوق جبينه ووجنتيه محاولًا" الرد بكلام جاهز

- أأ--- أنا أبدًا" --- ازاى مش ممكن !!، لكن الشيخ يباغته فى هدوء لكى لايلفت انتباه أحد من الموجودين بالوكاله

- وكمان بقيت كداب ، يصمت خليل . صمت مُتهَم فى جريمة ينتظر حُكم القاضى ، يُلقى الشيخ على ابنه بِضعَ كلماتٍ كمن يودع محكومًا" عليه بالإعدام

- انت من العيله دى وعارف اللى بيفشى السر بيحصله ايه ، ويستطرد الشيخ فى حزن

- أنا ياما نصحتك يابنى ، وكنت خايف عليك من المصير ده ،أنا حاولت معاك كتيير ، لكن نزواتك، وفجرك ، وقعدة الحشيش ضيعوك ، وكنت بقول يمكن ييجى يوم ، وينصلح حالك ، لكن خلاص ما عادش ينفع ، يخفض خليل صوته مُتوسلًا" محاولًا" تقبيل يد الشيخ طالبًا" السماح

- طيب يابا سامحنى ، انا كنت مش فى وعيى ، آخر مره ،لكن الشيخ ينظر له نظرة مخيفة ويباغته مرة أخرى

- (الهصور) قطع صاحبك ، وانت عارف مصير التانى ، حاول خليل أن يَلتقِط أنفاسه بصعوبة عندما سمع ذلك الإسم الذى تحكى عنه جدَّات الأسرة من عشرات السنين ، ورد فى يأس

- صاحبى مين ،؟؟ يَرُد الشيخ فى غضب

- صاحبك شوقى اللى انت بتسهر معاه فى الغرزه على طول أنا شوفته ، يرد خليل

- إزاى عرفت انه هو ؟! يجيب الشيخ

- من الخاتم الفيروز الأحمر اللى كان فى صُباعُه ، وإيده السمرا ، يَصمُت خليل تمامًا" مُعلِنًا" استسلامه ، مُنتظرًا" الحُكم النهائى ، لكن الشيخ يستطرد،

- ده كان جُزء بسيط من السر ومعرفتش تِحفَظُه ، إنت مش مؤتمن -- عليه العوض ومنه العَوَضْ ، ربنا يعوضنى فى ابنك إبراهيم ، كان خليل يرتعد بصدق لأنه يعلم أنه قد أصيب !! ----- أصيب بسهم اللعنة ، لكن الشيخ يُربِتْ على كتفه فى رحمة ويقول

- أنا هدعيلك يابنى--- انك ترتاح وتهدى ، قالها الشيخ ودموعه تتساقط حزنًا" على وحيده الذى ضيّع كل شىء ، خرج خليل من وكالة الشيخ مودِعًا" ، ليُكمِل عمله فى توزيع الخطابات على الجمهور ، يسير حزينًا" فى محاذاة شريط الترام الذى يتقاطع عند ضريح سيدى(أبو الدرداء)، يظهر له الضريح على بُعد ، فجأه يشعُر خليل بأن الإضاءة قد خفتت فى الشارع بشكلٍ واضح على غير المعتاد ، وأن الشارع قد اتسع ، واختفى ما به من ناس ودراجات وعربات ، حتى شريط الترام الأصفر قد اختفى ، وانفتح باب الضريح عن آخره وخرج منه جيش جرار من الجنود والفرسان الأقويَاء يتقدمهم ثلاثة فرسان من حملة البيارق (السوداء والخضراء) ، الفارس الأيمن كان يحمل بيرقًا" أسودًا" كبير الحجم يبدو لامعًا" فى الضوء ، ومكتوب عليه

بَدا لَكَ سِرٌّ طالَ عَنكَ اِكتِتامُهُ

وَلاحَ صَباحٌ كُنتَ أَنتَ ظَلامَهُ

وَأَنتَ حِجابُ القَلبِ عَن سِرِّ غَيبِهِ

وَلَولاكَ لَم يَطبَع عَلَيهِ خِتامَهُ

،بينما البيرق الأيسر كان أخضرًا" ومكتوبًا عليه (لا اله الا الله محمد رسول الله) ، أما الفارس الأوسط فكان يحمل بيرقًا" أخضرًا" ضخمًا" يتوسطه أسد هائل الحجم ينظر اليه ، شعر خليل ، أنه قد رأى ذلك الأسد قبل ذلك فى مكانٍ ما ، بل رأى ايضًا" تلك البيارق ، نعم لقد رآها فى منزلهم ، ورأى الأسد المنقوش على الأريكة الأثرية ، تذكر كلام والده الشيخ عن الأسد (الهصور) ، الذى مزق صديقه ، فشعر بفزع ، بدأ خليل يشعر أنه قد دخل فى حلم مزعج حيث رأى خلف الفارس الأوسط ، رجل قوى الجسد مفتول العضلات ، وجهه أبيض البشرة مشرب بالحمرة ،له شارب بنى كث ، وفوق رأسه خوذة كبيرة ، ويرتدى سترة جلدية بنية ،وفى نظرته قوة رهيبة ،تخطف قلوب الأعداء ،ويحمل سيفًا" بتارًا" يضوى فى أشعة الشمس ، لقد كان الجيش يجرى بسرعه رهيبة فى اتجاهه محدثًا" عاصفة من الغبار ،متزامنة مع صياح الجنود ، الذى تحول إلى زئير أسود رهيب ، زلزل كيانه وأفقده القدرة على الحركه ،حاول أن ينزل من فوق دراجته لكنه لم يتمكن ، وفى لمح البصر ، تحول الجيش إلى ترامٍ أصفر يجرى فى اتجاهه ويطلق صافرة تحذيرية ، متأخرة ، ليصدمه هو ودراجته ويحولهما إلى قطعه واحده.

***

(12)

فى اليوم التالى ، يجلس الشيخ فى الوكاله كالمعتاد ، على مكتبه يرتدى نظاره طبيه ويقرأ فى كتاب كبير الحجم يبدو عليه القدم ، من شدة ما تحولت أوراقه للون الأصفر ، عنوانه هو (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) لابن البيطار ، يخرجه من تركيزه ، جلبة شديدة فى الشارع يرتفع صوتها تدريجيًا" ويبدو أنها تتجه ناحية وكالته ، مما جعلته يتوقف عن القراءة ، ويُتابع الموقف فى توجس من يشعر أن هناك خطرًا" قادمًا ، وبالفعل بدأت الجلبه تقترب أكثر إلى أن وصلت إلى باب الوكالة ، كان هناك عسكرى من النقطة يحمل حقيبة جلدية صفراء كبيرة مميزة ، عرفها الشيخ سريعًا" فلقد كانت حقيبة ولده(خليل) يحيط به عدد كبير من أهالى المنطقه الذين يحبون الشيخ ، بينما دخل الجندى فى صرامة إلى مكتب الشيخ ، الذى تطلع اليه فى وجل ، و إلى الحقيبة الصفراء التى بدت ملوثة بآثار دِماء ، فشل مَن مَسَحَهَا فى إزالتها كُليًا" من على الحقيبة ، شحب وجه الشيخ تمامًا" وهو يحوقل ، لكنه تماسك إستعدادًا" لما سوف يسمعه.

- حضرتك الشيخ (سيد العابد)، يَرُدْ الشيخ فى لهفة

- أيوه يابنى خير ؟ ----حصل ايه ؟ يخفض الجندى رأسه فى أسف ، وتبدو عليه المُهمة ثقيلة. ثم يرفع رأسه ويحرك فمه ببطء كمن يختبر كلماته.

- للأسف يا سيدنا الشيخ --- إبنك . توقفت الكلمة عاجزة فى فمه ، لكنه تصرف ومد الحقيبه الصفراء إلى الشيخ الذى تناولها بيدٍ مُرتعشة وسقطت دموعًا" حاره على وجنتيه ولحيته ، وهو يرى دماء ابنه بوضوح فوق الحقيبة . وهو يحوقل

- لا حول ولا قوة الا بالله ---- هو فين دلوقتى ؟؟ يرد الجندى فى أسف

- فى مشرحة كوم الدكه ، تناول الشيخ كوب الماء الذى أمامه ، ثم نهض مُرتعشًا" ومعه أصحاب المحلات المجاورة وأبناء الحى ، لينهوا تلك الإجراءات البغيضة ، ويُسدَل الستار على حياة (خليل الدهل) الذى غلبت صفته على حياته ، وأوردته موارد التهلكة .

فى المساء انتهت مراسم العزاء فى مبنى المندرة الكبيرة فى منزل الشيخ ، ورحل المعزون واحدًا" تِلو الآخر حتى انتهى العزاء وانتقل الشيخ وبعض خاصته إلى باحة البيت الكبير ، حيث يقرأون القرآن ، كان حفيده إبراهيم واقفًا" بجواره فى بكاءٍ مستمر وانكسار ، أدمى قلب الشيخ وجميع الحضور ، كان الشيخ حزينًا" لكنه كان مستسلمًا" هادئًا" صافى الذهن ، كان يفكر فى حفيده ، كيف سَيُعِدَّهُ إلى ما هو قادم ، كيف سيصنع منه رجلًا" يتحمل مسئولية القياده فى الحرب القادمة ، لقد فشل مرة وليس على استعداد أن يفشل مرة

أخرى ، لن يشمت فيه (ميطرون) اللعين مرة أخرى . سأعده من اليوم مهما كلفنى ذلك ، يرحل الرجال تاركين الشيخ ومساعده رجب وإبراهيم وبعض الخدم الذين لم يرحلوا مواساة" للشيخ

- جلس الشيخ و بجواره رجب الذى كان يواسى إبراهيم ،قائلًا" له

- تاكل يإبراهيم -- انت ما أكلتش حاجة من الصبح ، هز إبراهيم رأسه مشيرًا" بعدم رغبته ، لكن رجب نادى على الطباخ

- يا (على) هات الأكل ، قالها وهو يوجه كلامه هذه المره للشيخ ، لازم تاكل ياشيخنا بقالك يوم ما أكلت ، لكن الشيخ ينهض ويرد عليه فى تعب

- لا مش قادر كلوا انتوا وأكِل الولد كويس ونيمه فى حجرة أبوه من هنا ورايح هى حجرته . هز رجب رأسه بالايجاب ، محترمًا" حزن الشيخ الذى دخل إلى خلوته وأغلق الباب ، جلس الشيخ على الأريكة المقابلة لمحراب الصلاة ، وتناول مصحفه المفتوح وجلس يقرأ سورة يوسف أملًا" فى أن تخفف من أحزانه ، واستمر فى القراءه حتى وصل إلى بسم الله الرحمن الرحيم (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) صدق الله العظيم ، (86) يوسف . لم يتمالك الشيخ دموعه فسقطت فوق مصحفه عند هذه الآ ية ، ودخل فى نوبة بكاء مريرة، إستكان بعدها ونام على أريكته ، ليرى خليل إبنه كما لم يره منذ سنوات ، قوى الجسد رشيق القوام جميل الوجه ، جاءه مبتسمًا" ومُقبلًا" يده طالبًا" منه الصفح ،يعاتبه الشيخ قلت لك يابنى بلاش السكة

العوجه ، بلاش(سميرة الحلوة) مشيرًا" إلى زوجته ، وبلاش الحشيش ، نسيت اللى اتعلمته فى بيت االعابد نسيت نفسك ودينك ، نسيت المعركة ، يبتسم خليل ابتسامة صافية ويخرج صوته رائقًا" جميلًا" ،

- خلاص ياوالدى سامحنى ، وادعى لى علشان أنا مسافر ، لكن خلى بالك من إبراهيم ، علمه كل حاجة ، جهزه للمعركة ، خده من سميرة ، وخد بالك منها ، هاتحاول تأذيك ،دى من أعوانه ، يندهش الشيخ ،لكن خليل يؤكد لوالده

- أيوه هى من أعوانه ولازم تقضى عليها قبل ما تقضى على إبراهيم ،وصيتك إبراهيم ، خليه ينفع نفسه والناس ، يرحل خليل مُعطيًا" ظهره للشيخ ،ممتطيًا" صهوة جواد أبيض يعكس لونا" فضيًا" فى ضوء الشمس ، له ذيل مخضَّب بالحناء

- إبراهيم يا والدى --- إبراهيم هو االهصور الجديد . يستيقظ الشيخ وقد تعرق جبينه و اصفر وجهه وارتفعت درجة حرارته ، وبدت عليه ، آثار الحمى ، لم يتمكن من النهوض ، فأخذ يطرق الباب من الداخل ، بعصاه حتى فتح رجب الباب ووجده ملقى على الأرض ، فساعده حتى أوصله إلى فراشه ، وأوصى الطبيب ببقائه فى فراشه حتى يبرأ من الحمى ، ومرت ثلاث أسابيع على هذا الحال والشيخ راقد فى سريره ، وفى الأسبوع الرابع بدأ الشيخ فى التعافى والنهوض ، نزل إلى الحديقة يتناول إفطاره لأول مرة بعد الحادثة ،وقد أصابه بعض الهزال لكنه كان يفكر بعمق ،ماذ سيفعل فى

الفترة القادمة؟ وكيف سيعد حفيده للمعركة؟ وكيف سيواجه زوجة ابنه اللعينه؟ ،نادى الشيخ على رجب

- يا رجب – حد يبعت لمنصور العربجى عاوز أروح مشوار

- بس انت لسه تعبان يا سيدنا ، يتنهد الشيخ فى ضعف

- لا الحمد لله ، أنا بقيت كويس --- عاوز أروح بيت خليل (الله يرحمه) ، يندهش رجب قليلًا" ولكنه لم يجادل الشيخ وأومأ برأسه فى ايجاب ، وخرج ليرسل فى طلب منصور وبعد ساعة كان منصور يقود العربة وبداخلها الشيخ وهو يحمل الكثير من اللفائف ومستلزمات المنزل إلى بيت خليل ، اقتربت العربة من المنزل ونزل الشيخ وتبعه منصور حاملًا" الأغراض ، طارقًا" الباب ، تفتح له سميرة ، التى اندهشت لوجوده ، فهو لم يقترب من ذلك المنزل منذ عشر سنوات ، يدخل فى حزنٍ ملقيًا" السلام ويجدها مُتشحة" بالسواد

- السلام عليكم ، ترد عليه فى حزن

- وعليكم السلام --- اتفضل ، يجلس فى حزن وهو يتأمل الشقه البسيطه والتى تحوى منضدة متهالكة وحولها أربع كراسى ، و نيش قديم به بعض الأكواب والأطباق الرخيصة الثمن ، وأريكة قديمة مغطاة بكسوة وردية زاعقة اللون ، وفوق الأريكة توجد صورة زفاف (خليل) و(سميرة) ، بدت الصوره مضحكة فكانت سُترة خليل تبدو واسعة عليه كما أن ضحكتهم فى الصورة كانت تبدو

بلهاء ، كل شىء فى المنزل يوحى بالفقر والرخص حتى مُصور الزفاف ، تأمل الشيخ صورة ابنه وغلبه الحنين فسقطت دموعه فى صمت ، بينما دخلت سميرة وعادت بكوب من الشاى فى أفضل فنجان عندها ، شكرها الشيخ فردت عليه فى اقتضاب ، وصمتت مُنتقله ببصرها ما بين صورة زوجها واللفائف الموجوده على المنضدة ، وكأنها تخشى الفقر ، تخشى أن ينقطع ذلك المدد بوفاة زوجها ،فهى لا تمتلك مصدر دخل ثابت ، تُقرر أن تتلطف مع الشيخ فترد فى ابتسامة حزينة

- تعبت نفسك ليه يا شيخ ، لكن الشيخ يبتسم فى ألمٍ ويسألها بدوره

-فين إبراهيم ؟

- كان بيعيط ونام ، لكن الشيخ نظر الها فى حزم ، وأخبرها بقرارٍ قد اتخذه

- إعملى حسابك من الأسبوع اللى جاى هتيجوا تعيشوا معايا ، أنا عاوز إبراهيم يتربى فى حُضنى ودى كانت وصية أبوه ، كانت سميرة تُفَضِل أن تعيش بمفردها لكى لا يُقيدها الشيخ ، فهى تريد أن تسمتع بالحياه ، بعد زواجها من خليل الذى لم ترى معه يومًا" حُلوًا" كما تقول، لكنها قررت أن تجارى الموقف ، حتى لا تُغضب مصدر التمويل الحالى لها ، فتهز رأسها علامة على الموافقة ، وفى تلك الأثناء يستيقظ الطفل ويجرى على جده باكيًا" ، فيحتضنه فى تأثر محاولًا" تخفيف حزنه ،

***

(13)

فى اليوم التالى ، من زيارة الشيخ تتجه سميرة إلى(5 شارع ماكوريس) بحى كرموز الشهير ب (بيت الشيطان) ، أحد منازل (ريا وسكينه) أشهر سفاحتين فى مصر ، وهو واحد من أربع منازل حدثت بهم أفظع جرائم القتل فى القرن العشرين ، وبالطبع نسج العامة الكثير من الأساطير حول أشباح الضحايا التى تَسكُنَ البيت حتى الآن ، كان منزل الشيطان هو قبلة الراغبين فى أعمال السحر والربط ، والفك بسبب وجود (عونى)الساحر ، والملقب(بعونى الشيطان) ، ولذلك لقب هذا المنزل سىء الحظ بذلك الاسم المقيت (بيت الشيطان)وكأنه لم يَكفِهِ ما ناله من سوء سمعة ولعنة عبر التاريخ ، بسبب (ريا و سكينه) بل إزداد لعنة" بوجود (عونى الشيطان) كما يُحِب مريدوه أن يطلقوا عليه ، وما يمارسه فيه من أعمال يشيب لها الولدان ، فلقد كان عونى ساحرًا" زنديقًا" جميل الهيئه ذو ملامح أوروبية شقراء قوى البنيه ، يرتدى ملابس أنيقة ، كانت هيئة عونى الجميلة وملامحه الشقراء وشخصيته القوية لها تأثير السحر فى قلوب النساء، مما مكنه من ايقاع عدد كبير منهن فى حبائله وكم تهدمت بيوت وتحطمت زيجات بسبب أفعاله المشينة لقد كان هذا الساحر اللعين مُجسّمًا" بشريًا" للشيطان فهو يستعين بالسحر الأسود

ويُسخر الجان لتحقيق مطالب شعبه من شياطين الإنس ، دخلت (سميرة الحلوة) إلى عونى الشيطان ، وهى تعرف طريقها جيدًا" فلقد استخدمت أعماله قبل ذلك فى الكثير من الأغراض ووجدتها ناجحة كان ،أهمها القدرة على الإيقاع بخليل وسلب إرادته والزواج منه ، دخلت سميرة غرفة (عونى) ، وهى تشعر بالرهبة والسحر ، شىء ما يجذبها إلى هذا المكان وإلى هذا الرجل ، هى تحب الاقتراب منه وتشعر انه يُسيطر عليها تمامًا" بقوته العقلية وشَرَّه ، وجمال هيئته ، كانت تتمنى الزواج منه ولكنه كان (زير نساء) ، يعشقهن جميعًا" ولا يحب الإستقرار مع واحده أبدًا" ، لكن الممنوع دائمًا" مرغوب ، فهى كانت تميل اليه ، ولذلك ذهبت لكى تستشيره ، اختارت أجمل ما عندها من ملابس ، واعتنت بشكلها و بتفاصيل جسدها أيّما عِنايه أخفت كل ذلك تحت عبائتها السوداء التى خَلَعتَها بمجرد الاقتراب من حجرته ، دخلت عليه فى دلال واقتربت ، وشعرت بتأثيرها الفورى عليه من خلال حركات عينيه وتعبيرات وجهه ، ألقت عليه التحية فى غُنج

- إزيك يا سى عونى ، رد عليها عونى فى ثبات وبابتسامة تحمل الكثير من المعانى

- الله يسلمك يا ست الكل ، اتأخرتى علينا المره دى ---ليه ؟ تُمثل عليه الحزن وتستحضر بِضع دمعات كأنُثى تمساح نيلى فى موسم التزاوج ، ثم تبلغه الخبر بطريقة مسرحية تحمل إشاراتٍ مُستتره

- هو أنت ما عرفتش ان جوزى خليل مات الشهر اللى فات ؟ تقولها وهى تهنه ، فوجدها فرصة ملائمة للاقتراب منها ومواساتها بوضع يده عليها ، ناطقًا" ببعض ِ الكلمات المعلبة الخالية من المشاعر

- لا حول الله ، الله يرحمه --- البركة فيكى ، ترفع يده فى دلال وتمثل الغضب --- مما زاد من جنونه ، فانهار وبدأ يكلمها بشكل تلقائى

- سميرة ، انتى وحشتينى قوى --- أنا بحبك من زمان وانتى عارفه ، تصده بحزم وتُعنفه ، بطريقة من تعرف متى تشد ومتى ترخى الحبل

- أنا ست حره يا حبيبى --- أوعى تكون فاكرنى من الستات الهُبل اللى إنت بتعملهم أعمال وبتخدعهم بعنيك الخضر دول --- وبعدين تاخد إللى انت عاوزه منهم ، وترميهم بعد كده ، اسأل عليّا كويس - -- أنا لحمى مر ، يحاول الفرار منها كملاكم تم حصاره فى أحد أركان الحلبة ، فيرد فى ابتسامة ماكرة

- ياستى --- هو أنا قلت حاجة ، فتعاجله سميرة بلكمة أخرى

- آه يا خويا لو عاوزنى ---يبقى تستنى شهور العده وبعدين نتجوز ، يفكر قليلًا" ، لكن النظر اليها مره أخرى ، قضى على أى مراوغه منه فأجابها

- د ه مُنايا من زمان ، --- تبتسم له فى دلال ، وتتذكر ما جاءت له ، فترسم علامات الاهتمام على وجهها

- أنا عاوزاك تعملّى حجاب جامد ، علشان أنا رايحه أعيش عند حمايا مؤقتًا" ، والبيت مسكون ، وانت تسمع عن الراجل انه (مخاوى) ، وواصل ، وعنده ثروة متلتله ، أنا عاوزه كل ده ليّا ،تبدو علامات الانزعاج على عونى وتختلج تعابير وجهه ، لقد كان يعرف الشيخ جيدًا" ، بل ويكرهه بشده ، ويعرف أنه يفسد ما يصنعه ، لم يره رأى العين ولكنه ، سمع عنه الكثير ، لكنه تردد قليلًا" ، وحاول أن يتماسك أمامها ، لكنها شعرت بارتباكه ، فهى تعلم جيدًا" إنه يكره الشيخ فقررت استفزازه

- ايه ، مالك إتلخبطت ليه لما سمعت سيرة الشيخ ؟ هو لسه واقفلك وبيبوظ سحرك ، لكنه يكتم غيظه ويرد بابتسامة كريهة حاول فيها الحفاظ على هدوءه

- مين قال كده ، أنا أقدر اسحقه ---- بس كل شيء بوقته ، وهاتشوفى ، شعرت أن عينيه الخضراء قد قدحت شررًا" من شدة غضبه ، لقد نجحت تلك اللعينة فى استنفار غضب (عونى) لأقصى درجة ، فعلتها قاصدة لتخرج أفضل ما عنده ، وليعاونها فى الاستيلاء على كل شيء . فتكمل استنفارها له

- أما نشوف ، أنا داخله على مُهمة صعبة ، وعاوزاك تساعدنى فيها ، واعتبرنا شركاء فى كل حاجة

- طلباتك ياست الستات ؟، ترد عليه فى دلال

- لا ده شغلك انت بقى ، عاوزه حاجة ما تخرش الميه ، عمل يخرّج المستخبى ، ، كانت(سميرة الحلوة) تسمع من العوام أن هناك كنزٌ مدفون فى هذا البيت من مئات السنين وأن هذا الكنز له حراس من العالم السفلى ، ولذلك فهى لن تتمكن من الوصل اليه وحدها ، لذلك فهى تحتاج إلى عونى ، هز عونى رأسه فى إيجاب وهو يعدها

- أنا هاعملك ، شغل مُختلف خالص ، ومش موجود هنا ، فقام وأحضر قطعة رقيقة من جلد الخفاش ، وريشة ، وكوب ممتلئ بالدماء ، وغمس الريشة فى الدماء ثم أخرجها وأخذ يكتب على قطعة الجلد بعض الآيات القرانية ، ثم تبعها بمجموعه من الطلاسم والرموز والحروف المقطعة والارقام والمربعات والدوائر والكلمات الغير معروفة والتى تحتوى استغاثات شركية بالشيطان ، ثم أطلق البخور ، وهو يهذى بكلمات مقلوبة لا يفهمها أحد ، ارتعد بعدها بشدة ، وأخذ يشهق بصوت عالى ، تتابعت معه شهقات سميرة التى كاد أن يغشى عليها من الفزع ، لكن عونى الشيطان سرعان ما هدأ ، ولف قطعة الجلد فى كيس صغير ملون،علقته فى رقبتها ، وانصرفت شاكرة ، وهى تقول له

- شكرًا" بس على الله يجيب مفعول ، يُطمئنها عونى ويرد عليها

-بس انتى ما تنسيش اتفاقنا

وبعد أيام انتقلت سميرة وابنها إبراهيم إلى البيت حيث وضعها الشيخ فى غُرفة أرضية مُنفصلة ، ولم ينقلها إلى الدور العلوى ، فأوغر ذلك صدرها مُنذ أول ليلة ، وازداد حقدها على الشيخ ، كانت تجلس فى غرفتها كحيوان برى تم أسره ، ولكن عقلها كان يعمل بشكل غريب ، كانت لا ترى الشيخ كثيرًا" فهو يخرج باكرًا" ومعه إبراهيم ، ولا يعودان إلا فى المساء ، وطوال الوقت يتهامسان ، يجلس الشيخ مع حفيده إبراهيم ساعاتٍ طويلة بعد صلاة العشاء ، يُحفظه القرآن ، ويذاكر له دروسه ، فلقد كان الشيخ بحرًا" فى العلوم والرياضيات والكيمياء والطب النبوى ، والعلوم السفلية ، والانجليزية والفرنسية ، يقال أنه تعلم على يد شيوخ أفاضل ومدرسين أجانب ، بالإضافه إلى علوم القرآن والسنة التى تعلمها فى الأزهر ،كانت سميرة تجلس بالساعات ، تكلم الخادمات أو تعمل معهن لتقتل وقتها ، وتخرج أحيانًا" إلى صديقاتها ، أوإلى منزل (عونى الشيطان) ، وتعود إلى المنزل لتمارس دورها فى التآمر والتجسس ، ومحاولة فتح الأبواب المغلقة كلما أمكن ، لكن الخدم ورجب مساعد الشيخ كانوا دائمًا" لها بالمرصاد ، كانت (أمينه) خادمة الشيخ المخلصة ، التى تربت على يد زوجته الحاجة درية والتى تعرف كل شىء يتعلق بإدارة شئون المنزل وهى التى تعد كل ما يخصه تبيت فى المنزل فى الغرف المخصصة للخدم ولكن بعد زواجها صارت تغادر إلى بيتها بعد صلاة المغرب ، وفى بعض المناسبات أو الحضرات الكبيرة تمكث إلى ما بعد العشاء أو قد

تبيت ، لقد كانت أمينة هى مديرة المنزل ولذلك نشب الشجار بينها وبين سميرة من اليوم الأول ، ولذلك تم الاستعانة ب (مجيدة) وهى فتاة عشرينية نوبية الأصل ، خفيفة الظل ، أحضرها رجب لكى تؤنس وحدتها وتساعدها فى احتياجاتها اليومية ، لقد كانت تشعر أنها منبوذة أو تم نفيها ، على الرغم من وجود كل ماتطلب من مأكل ومشرب ، وملبس . لكن شيئًا" ما كان يؤرقها ، وهو عدم شعورها بالسيادة والسيطرة ، وعدم امتلاكها أى شىء من تلك الثروة ، لقد نفذت كل ما قاله (عونى الشيطان) لها، و فى غفله من الخدم ، قامت بدفن أحد أعمال السحر فى الحديقة ، ووضعت الحجاب فى صدرها ، وانتظرت ، جلست قليلًا" فى الحديقه وبجوارها مجيدة ، تتبادلان الحديث ، إلى أن سمعت صوت حوافر فرس منصور وجرسه ، ليفتح البواب له ، ينزل من العربه إبراهيم فى زيه المدرسى الجديد ، لقد انتقل إلى المدرسة الإعدادية ، كانت السعادة والصحة قد بدتا ظاهرتين على وجهه ،فلقد كان هذا الولد هو كل شىء بالنسبة للشيخ ، هو فرس الرهان الذى وضع عليه ماتبقى من آماله التى لا يعرفها غيره . ظهر ذلك جليًا" فى معاملة الخدم له ، و فى تلبية رغباته مهما كانت صعبة ، وفى الاهتمام بتعليمه فى مدرسة الأرمن كى يُتقن الانجليزية والفرنسية ، ثم يعود ليدرس له فى المساء أصول اللغة العربية والعلوم الشرعية ، رغبة فى إلحاقه بالأزهر. ،يجلس إبراهيم بجوارها فى هدوء ، فتُقَبِّلَهُ وهى سعيدة

- ازيك يا هيما ، عامل ايه ، يرد عليها فى سعاده متحدثًا" عن مدرسته الجديدة ، وكيف رحب به الأساتذة ، يحدثها عن الأشياء التى أحضرها جده له ، وعن ذهابه معه إلى محطة الرمل للتسوق ، وركوبه للترام (أبو دورين) ، كان كل شىء يشير إلى أن إبراهيم هو النجم القادم وأنها سوف تصبح مجرد (كومبارس) وهذا الذى ترفضه طبيعتها الميالة إلى السلطه والاستحواذ ، وسارت الأمور بشكل طبيعى والشيخ يتحاشى سميرة بقدر المستطاع ، فهو يتناول إفطاره فى السابعة صباحًا" ويرحل مبكرًا" إلى الوكالة مصطحبًا" إبراهيم إلى المدرسة وتستيقظ هى فى تمام التاسعة ، وتساعدها (مجيدة) فى إفطارها ، ثم تخرج للتسوق أو إلى زيارة أمها ،فى بحرى حامله لها الكثير من خيرات الشيخ ، الذى كان كريمًا" معها اكرامًا" لإبنه المرحوم ، فلم يمنعها من البر بأمها المريضة المسكينة التى تعيش وحيدة فى نفس البيت القديم ، تجلس سميرة مع صديقاتها فى الحارة ، تستمع لكلمات الحسد منهن عن ملابسها الجميلة والذهب الذى صار يملأ يدها ، والسيارة الشيفروليه بالسائق التى تأتى بها إلى الحارة ، فلقد كانت تحب ركوب السيارة ، ولا تفضل ركوب حنطور منصور مثل ابنها والشيخ ، كانت تطرد الحسد بطريقتها الشعبية التقليدية ، كأن تُخمس فى و جه إحداهن ، أو تشير إلى الخرزة الزرقاء التى فى صدرها ، أو تشتكى الهن بما تلاقيه من أهوال فى ذلك البيت وأنها ، رهينة المحبسين ، فهى سجينة فى غرفتها وسجينة تخضع لأوامر ذلك العجوز الخرف ، وأنها مُهملة ، وبعد جلسة صديقاتها فى الحاره تذهب لتختلس

زيارة خفية إلى بيت الشيطان ،حيث يوجد عونى ، ثم تعود بأحدث إبداعاته ، لتمكينها من المنزل والثروة ، واستمر الأمر على ذلك المنوال لمدة عام تقريبًا" والشيخ مشغول بتعليم إبراهيم وتربيته ، ومشغول بعطارته وبالحضرة ، وسميرة مشغوله فى حسابات الثروة وتأمل كل تلك التحف والكنوز التى بالمنزل وفى الغرف الموجودة بالدور العلوى التى لا تتمكن من دخولها والتى تعتقد بأن الكنز موجود بداخلها ، إلى أن بدأت أول تباشير المعركة تظهر فى أحد الأيام فى الصباح الباكر

بعد عامٍ كامل من وفاة خليل ، كانت سميرة تريد أن تُحيى ذكراه فى منزلهم ، بينما الشيخ يقيم سنوية كبيرة ، وحضرة فى المندرة فى المساء . لذلك انتظرته على الإفطار مُبكرًا" سلمت عليه وجلست بجوار ابنها إبراهيم ،

-السلام عليكم يا عم الشيخ ، يرد الشيخ السلام مُتسائلًا" فى قرارة نفسه عن سبب استيقاظها فى تلك الساعة المبكرة ، بالتأكيد ليس لأنها تفتقده وتريد أن تتناول طعام الإفطار معه ، هو يعلم جيدًا" أن الكُره بينهما متبادل ، لكنه رد السلام فى دبلوماسية جافة

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته --- عامله اية يابنتى

- الحمدلله يا عمى ،تقولها فى ودٍ مُصطنع ، لكنه يطمئن عليها

- إوعى يكون ناقصك حاجة ؟ ، يرى الشيخ بعض العلامات فى وجهها ، أشعرته بالقلق ، كيف لم ينتبه لذلك منذ زمن ، نظر إلى وجهها فى تمعن من يراقب شيئًا" وتركها تتكلم

- انا الحمدلله مش ناقصنى حاجة ، ربنا يخليك ---- قالتها بطريقة معلبة – بس كُنت عاوزه أعمل سنوية إبراهيم فى بيتنا اللى فى الحارة هناك ، علشان الجيران وأصحابه اللى مايقدروش ييجوا هنا ، يُفكر الشيخ قليلًا" ، ثم يقرر أن يُباغتها بخطه ، ستكشف المستور ، فرد عليها فى مكر

- طيب يابنتى ، خلى النهارده هنا علشان ضيوفنا وناس كتير جاية ، وانتى مراته و لازم تكونى موجودة ، وبكره ان شاء الله ، أنا هخلى الشغالين ، يروحوا معاكى ، وهاعمله ليلة كويسة قوى ، بس النهارده خليكى معانا ، تختلج معالم وجهها قليلًا" ، شعرت بالحصار ، لكنها وافقت على مضض ، فى نفس الوقت أسقط إبراهيم على ملابسه بعض الطعام ، فقامت بتعنيفه ، وهى تتناول منشفة موضوعة على ظهر الكرسى ، فانكشف صدرها قليلًا" لتظهر ، قطعه من الحجاب الملون الذى تدُسه فى صديريتها بعنايه ، لكن ، بصَر الشيخ اصطدم به فى لحظةٍ خاطفه ، اغمض بعدها الشيخ عينيه ، فى ألم ، وقرر أن ينُصب الفخ لها ، و يتأكد من كل شىء تركها الشيخ و انصرف فى هدوء مصطحبًا" حفيده . وفى المساء كانت المندرة مهيأة لسنوية خليل بعد صلاة العشاء ، وبعد انتهاء الشيخ من الصلاة ، جلس ومعه حفيده (إبراهيم) ،

وباقى الجمع يستمعون إلى آيات القرآن ، التى يتلوها الشيخ (عبد المنعم) ، قارئ المنطقة الشهير ، كان الجميع يستمعون فى هدوء بينما ، السيدات فى مكان آخر تتوسطهن (سميرة) ، وبعد انتهاء القراءة ، قام الخدم بتقديم ، العشاء المكون من الأرز الفاخر واللحم والفواكه ، ثم تقديم القهوة والشاى ، حتى انفض الجمع ، ولم يتبقى الا رجال الحضرة الذين همّوا بقراءة الورد الأسبوعى فى المندرة ، ، لكن الشيخ قد قام لأول مرة بالهمس فى اذن كل واحد منهم بتلاوة بعض آيات معينة ، كان الطلب غريبًا" فلقد خالف الشيخ الاتفاق على أن يقرأ كل رجل من العشرين جزءًا" ونِصف الجزء من القرآن حتى يختمونه على روح المرحوم خليل ، وكان كل واحد منهم يعرف مهمته جيدًا" أين سيبدأ وإلى أين سيقف ، إلا أن الشيخ طلب منهم جميعًا" القراءه ، كان الطفل إبراهيم قد غلبه النوم فنقله ، عم رجب إلى غُرفته ، بينما تجلس(سميرة) و خادمتها مجيدة فى شُرفة الغرفة الخاصه بها بعد انقضاء العشاء تتسامران وتحتسيان قدحين من القهوه ، بدأ الرجال بالقراءه ، -- ما هذا ؟؟ كل الأيات الخاصه بإبطال السحر ، التى يعرفونها جيدًا" ، لكنهم نفذوا طلب الشيخ دون نقاش واستمروا فى القراءة ، تزداد همهماتهم وتعلو ،رويدًا"رويدًا" تنشر شذا" فى الجو يختلط بشذا شجرة البرتقال التى بدأت بشائرها تُثمر فى الحديقة ، تزيد الحناجر قوه وتزداد الذبذبات التى بدأت تلف جسد سميرة ، وتصيبها بالجنون ترتعش سميرة فى عنف ، وتجحظ عيناها ، وتنزف دمًا" من أنفها ،وسط محاولات

فزعة من خادمتها مجيدة ، التى تصرخ لكن لا مجيب , وكأن الكون كله لم يعد يسمع إلا تراتيل الرجال التى بلغت عنان السماء ، تزداد مجيدة فزعًا" عندما تتخشب سميرة تمامًا" وتسقط أرضًا" ويخرج دخان كثيف من بين نهديها ، وكأن شيئًا" يحترق بداخلها ، وفى نفس التوقيت ، تحترق مساحة من العشب فى الحديقه ، كأن طبق فضائى قد هبط عليها ، استمر الرجال فى القراءة والشيخ بينهم ، يحثهم بقوه على إكمال ما بدأوه وكانه قائد اوركسترا روسى عنيف ، ينهى مقطوعته الموسيقية على مسرح البولشوى ، ، لم يوقفهم إلا صُراخ مرعب قادم من الغرفة المنعزلة القريبة من الحديقة ، إنها غرفة سميرة ، توقف الرجال عن القراءة مندهشين ، الا أن الشيخ قد تركهم مسرعًا" ، وهرول فى اتجاه الغرفة ، وعلى الرغم من ظُلمة الليل ، الا أنه قد لمح مساحة العشب المحترقة فى الحديقة على ضوء القمر ، وفهم أن خِطته قد نجحت ، وحانت لحظة المواجهة ، فدخل إلى الغرفة دون استئذان ليشاهد مجيدة الخادمة فاقدة الوعى تمامًا" من هول ما رأت بينما سميرة لا زالت ترتعد وتهذى بكلمات غير مفهومه بدا الشيخ شرسًا" على غير العاده , وهو يقترب من رأس سميرة ويضغط عليها بقوه ، ويتمتم ، ثم يخاطب شخصًا" ما

- أخرج ، أخرج ، عليك لعنة الله ، يتحرك فم سميرة فقط بعدما سكن جسدها ، لكن الصوت يخرج غليظًا" ،أجشًا" ذا فحيح بغيض

، لا زلت بقوتك على الرغم من شيبك ، تُجلجل ضحكات كريهة خشنة من فم سميرة التى سكنها صوت آخر ، جحظت عينا الشيخ سيد الذى حوقل وتراجع خطوتين فى توتر ، مُطلقًا" معوذات ، زمجر بعدها الصوت ، لكن الشيخ يرد عليه فى استهزاء رَجلٍ متمكن

- المره دى بنفسك !!!!، ----- ليه هما رسلك الخيبانين خلصوا خلاص ، زى الطفل اللى بعته آخر مره مع البنت ، يرد الصوت اللعين فى فحيح مرعب

- لا دول ما بيخلصوش ، والدليل قدامك أهو ، ومن جوا بيتك --- سنه كامله وانت ما تعرفش __ عرفت انك ضعيف ومهزوم ، لكن الشيخ ينظر إلى جسد سميرة الملقى أمامه بعدما تفحم الحجاب الذى صنعه لها (عونى الشيطان) فى اشمئزاز – ويرد عليه ،

- كيف لجسد تلك اللعينة أن يتحملك كل هذه المدة –مالذى صنعته لتحوذ كل هذا الشرف ، قالها فى سخرية مريرة ، لكن الصوت رد عليه ، بضحكة واثقة

- جند من الجنود المخلصين --- ولسه فيه كتير جنود جايين ، ومن نسلك ، يغضب الشيخ ويمسك برأس سميرة ، ويضربها فى الأرض صارخًا"

-لا --- لا ، هانتصر ، ومش هاسيبهم ، يضحك الصوت الكريه

- أنت عجوز مسكين ، ومش عاوز تصدق ---- خلاص ، بس تعرف ساعات ببقى مُعجب بإصرارك ، اللعب معاك ممتع ، لكن الشيخ يضرب رأسها بعنفٍ أكبر ويبدأ فى الصراخ بغضب

- ميطرون ، مش هاسيبهم وبقدرة الله -- هيساعدنى ويساعدهم يضحك الصوت فينادى للمرة الثانية

- ميطرون ، يضحك الصوت فيعاجله الشيخ بتمتمات أصابت جنونه

- بسم الله الرحمن الرحيم (وَاتّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشّيَاطِينُ عَلَىَ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنّ الشّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلّمُونَ النّاسَ السّحْرَ وَمَآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتّىَ يَقُولاَ إِنّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلّمُونَ مَا يَضُرّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الاَخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ) صدق الله العظيم ، ترتعد سميرة مرة أخرى ، وتطلق صرخة انثوية ، ينكسر لها زجاج الغرفة والمصباح لتتحول الغرفة إلى ظلام دامس ،لكن بعد دقائق أتى النور من مكانٍ آخر ، كان نور الشمس التى سطعت وأرسلت أشعتها الرحيمة لتضئ بيت الشيخ من جديد .

***

(14)

جلس الشيخ بجوار سميرة التى تعرق جسدها ، وأصابتها الحمى ، وهى نائمه فى سريرها ، بعدما تركتهم مجيدة الخادمة هاربة ، وأقسمت ألاّ تعود أبدًا" بعد ما رأته من أهوالٍ فى تلك الليلةِ الرهيبه . جلس الشيخ بجوارها بعدما ضمد جرحًا" فى رأسها ، من أثر ضرب رأسها فى الأرض ، انتظر فى غرفتها يمسح وجهها بالماء ويُطببها ، حتى أفاقت فوجدته أمامها ، أعتدلت فى فراشها ونظرت اليه فى توتر.

- فيه ايه ---- أنا فين ؟؟ ، ينظر اليها الشيخ شَذرًا" وفى كرهٍ واضح

-طبعًا" مش فكره اللى حصلك إمبارح ، تصمت سميرة فى ارتباك وهى تعتدل فى جلستها ، و تُعدِل من هندامها وهى تنظرإليه فى خوف ، كمن يستعد لإنفجار قنبلة ، وبالفعل يلقى الشيخ القنبلة ،

- النوع ده من السحر الأسود بيتعمل عند اتنين فى البلد دى ، (على وزه) فى البياصه ، و (عونى الشيطان) فى كرموز --- ينظر اليها شذرًا" ، وهى ترتعد ، فلقد كشف سرها ومد يده فى عنف لينتزع الحجاب المحترق من صدرها ، ليفك رموز ماتبقى منه ، فتح الحجاب المحروق ، ونظر له فى تمعن ، و أخرج من جيبه عدسة مُكَبره ، أخذ يقرب بها العمل ، بدا كالعالم الفرنسى شامبليون

وهو يفك طلاسم حجر رشيد ، ثم نظر لها فى استنكار ، ومط شفتيه فى امتعاض ، قائلًا"

- تعاويذ وطلاسم على جلد خفاش ----- ده شغل عونى الشيطان -- ما فيش فايدة فيكى أبدًا" ،تصمت سميرة ولا ترد ، فما حدث بالأمس شوش تفكيرها ، لكن الشيخ أردف فى حزن

- كان ناقصك ايه ؟!---طول السنه دى واحنا بنعاملك كملكة الكل فى خدمتك --- ولم نقصر معك فى شىء ، تَرد هى فى وهن

- قصدك -- بتعاملنى على انى منبوذة ومحبوسة --- عمرى ما حسيت إنى ست بيت ، أو أن لى قيمه . ابتسم الشيخ

- علشان أنا عارفك من زمان --- انتى مابتحمديش ربنا --- وادى النتيجة ، مفيش أسوأ من كده ، سحر أسود وعونى الشيطان ، وميطرون ، توترت هى عندما سمعت الإسم الأخير ، وصمتت بينما أكمل هو فى انفعال ، ودفنتى عمل فى الجنينة ، وجذبها من يدها بقوة ، ليتحرك بها أمام القطعة المحترقة من الحديقة ، حيث ظهر آثار العمل المحترق على العشب ، ارتعدت فرائص سميرة وخشيت أن يؤذيها ، لم تكن تتوقع أنه بهذه القوة والعلم وأنه سوف يكشف سحرعونى الشيطان قبل أن تصل هى إلى مخططها فى الاستيلاء على ثروته ، لكن الآن عليها أن تصمت وتنتظر ماذا سوف يفعل بها حتى لا تخسر كل شىء ،لكنه سرعان ما أطلق حكمه عليها فى هدوء --

- انتى خنتى العهد ، زى ما عمل جوزك ، ابنى (خليل) الله يرحمه ، واللى يخون العهد مالوش مكان فى البيت ده . تتلقى سميرة الحكم وهى صامتة وتتحاشى النظر فى وجه الرجل بعد فعلتها الشنعاء ، كما أنها خافت بالفعل منه ، وقررت أن تغير تكتيكاتها فبدت أكثر رقة وحنانًا" فى محاولة استعطاف الشيخ

- اللى حضرتك تشوفه ، أنا غلطت وراضية بحكمك ، وانت زى والدى برضه ، ومش هاتضرنى ،أنا وابنى ، تنبه الشيخ لكلام هذه الحية الرقطاء ، وفهم أنها تغير من خطتها حتى تتمكن من الحصول على أكبر قدر من المكاسب ، فقرر أن يباغتها وهى فى حالة الضعف هذه

- بالنسبه لإبراهيم هايفضل معايا هنا --- ومنصور هايجيبهولك بعد المدرسة ، وكمان تقدرى تيجى فى أى وقت تشوفيه ، ضيفة معززة مكرمة ، وبالنسبه لكل احتياجاتك هاتوصلك ، انتى والست والدتك لحد ، باب البيت ، بس على شرط ، تبتلع ريقها وهو ينظر لها نظره ذات مغزى

- لو روحتى بيت الشطان تانى --- هاعتبرك عدوه وهاتشوفى حاجات عمرك ماشوفتيها ، يتعرق جبينها وتهز رأسها فى رعب ، بعدما تأكدت من سطوته ، تأكدت أن عونى هذا هو أحد أعداءه ولذلك قرر أن يُحيدها عن ذلك الصراع ، فترد فى خضوع وتَردُد وهى تزدرد لعابها فى صعوبة

- حا – حاااضر . اللى تشوفه ، يتركها فى الحديقه ويصعد إلى غرفته ليستريح ، وفى المساء كانت هناك عربة تحمل أغراضها لتعود بها إلى بيتها القديم ، كانت تجلس فى العربة ، تفكر ما الذى ستقوله لأهل المنطقة ، نعم ستقول أنها فضلت الحياة هنا لأنها تشعر بالسجن فى ذلك البيت الكبير ،وأن والد زوجها يقيد حريتها ، نعم ستقول ذلك لتحفظ ماء وجهها وتتقى شر ألسنة نساء الحارة الشامتات ، وتتقى شر العجوز أيضًا" . يخرجها من هذا الحوار مرور السيارة من أمام منزل (عونى الشيطان) ، تأمر السائق بأن يقف لدقيقة ، لتحضر شيئًا" من إحدى قريباتها. تنزل على عجل ، وتطرق باب عونى فى وجل ، يفتح لها معاونه ، فتخبره بسرعة أنها تريد أن تقابله ، يخرج عونى مسرعًا"

- خير فيه ايه --- عندى جلسه يا سميرة . ترد عليه فى عجل وهى تتلفت يمينًا" ويسارًا"

- الشيخ العابد كشف كل حاجة ولازم نهدى كده كام شهر --- أنا راجعه بيتى القديم تانى ومش هاقدر أجيلك هنا – ده محرج عليّا اجى هنا وإلا هايهدلنى

- طيب اهدى وبعدين هانشوف هانعمل ايه ، تخرج مسرعة وتعود إلى السيارة ، وتنطلق بها إلى المنزل القديم ، نزلت من السيارة ، وهى تتحاشى نظرات الشماتة ، وهمسات الجارات الحشريات ، كانت تشعر بغصة فى حلقها ، ستعود مرة أخرى لتلك الحارة

القذرة بعدما ذاقت النعيم ، صحيح أنها كانت تشعر بغربة لأنها لم تكن أبدًا" سيدة الدار ، لكنها على الأقل كانت تعيش فى راحة ، للأسف دائمًا" لا نعرف قيمة النعمة إلا عندما نفقدها ، كانت تبدو كمقامر خسر كل ما معه ، فوق الطاولة ، وعاد خالى الوفاض ، آملا" أن يعوض خسارته فى الأيام القادمة مهما كلفه ذلك من تضحيات ، نعم لقد أقسمت سميرة وهى تطرق باب منزل أمها أن تعود إلى المنزل ، أقوى و أشرس و أن تنتقم من ذلك العجوز البغيض ، الذى أذلها ، ووضع أنفها فى التراب ، مهما كلفها ذلك من تضحيات

***

obeikandl.com

(15)

الاسكندرية – بعد عدة أعوام من طرد سميرة

يجلس الشيخ فى المندرة وحوله مجموعة من رجال الحضرة احتفالًا بنجاح حفيده إبراهيم فى المدرسة ، وإتمامه حفظ القرآن الكريم فى زمن قياسى ، كان رجال الحضرة فى حالة ابتهاج بالنصر والنجاح ، وبالوليمة الفاخرة التى أعدها الشيخ لتلك المناسبة السعيدة ، لقد قطع إبراهيم خطوات قوية نحو مُستقبل باهر يرث فيه مكانة وعلم جده الشيخ الجليل ، كان الحفل رائعًا" وغنيًا" بالذكر وأصوات المبتهلين والمداحين ،و عندما أنهى الرجال الاحتفال ،جلس إبراهيم مع الجد فى بهو الدار ،كان على ميعاد لتلقى أول درس حقيقى من الشيخ ، أخرج الشيخ من جيبه ملعقة خشبية ووضع بها قطرات من سائل زيتى القوام أخرجه من قارورة ، وأمر إبراهيم

- عاوزك تمشى ماسك الملعقة وتوصف لى التحف الموجودة ، على شرط تحافظ على السائل جوا الملعقة ، هز إبراهيم راسه فى حيرة كيف يفعل ذلك ، وبالطبع بدأت التحف الخلابة تجذب إبراهيم وشيئًا" فشيئًا" نسى و انسكب منه السائل ، وعندما عاد إلى الجد قال له

- انشغلت بالفرجه وما قدرتش أحافظ على السائل فى الملعقة الخشب ، ----سامحنى ، لكن الشيخ سيد يهز رأسه فى حكمة ،

- هوا ده اللى بيحصل لينا كلنا ، بتشغلنا الدنيا وبننسى نحافظ على السائل اللى جوا الملعقة ، مع اننا مخلوقين علشانه ، يفتح إبراهيم فمه فى اندهاش ، فيبتسم الشيخ فى حنان ويسأله

- فاهم ؟ لكن إبراهيم يهز رأسه بالنفى ، فيجيب

- السائل ده هو رسالتنا فى الحياة ، صلاتنا ، قربنا ، عبادتنا ، نحتاج يابنى نعمل الاتنين ، نتفرج على الدنيا ونعيش بس مانسيبهاش تاخدنا من رسالتنا ودى خلاصة حاجات كتيره هاتعرفها بعدين ، يبتسم إبراهيم ويفهم ، ويقطع خلوتهم دخول رجب مساعد الشيخ ، وهو يقول

- الست سميرة ، موجوده بره ، يبتسم الشيخ فى مرارة ويأذن لحفيده بالذهاب وبالجلوس مع أمه ، يقترب إبراهيم من أمه فتسلم عليه وتحتضنه بحرارة .

- ازيك يا براهيم يا حبيبى ، يرد عليها فى هدوء

-الحمدلله ياأمى ازيك –و جدتى عامله ايه ،

- بخير يا حبيبى --- كانت عاوزه تيجى تبارك لك ، بس انت عارف هى نظرها بقى على قدها ومابقيتش بتتحرك ، أخرجت له ساعة جميلة من حقيبتها وأعطتها له ، هدية إبتهاجًا" لتفوقه

- مبروك يا حبيبى – خلاص انت بقيت راجل ، تتنهد قليلًا" وتتحرك ببطء كمن يريد أن يقول شيئًا"

- بص يا هيما أنا عاوزه اقولك على حاجة ، يندهش إبراهيم من ارتباكها ولكنها تكلمه سريعًا"

- أنا هاتجوز ، تنظر إلى ملامحه التى كساها الإحباط ، لكنه يرد عليها فى ألم

-هاتتجوزى مين ،

فتسترضيه بكلمات جوفاء : ده راجل تاجر غنى وعنده فلوس ، وهاعيش معاه فى بيت كبير فى كرموز ، استدار إبراهيم غضبًا" ورد عليها

- فلوس – فلوس ، انتى ما بتشبعيش --- حرام عليكى بقى ، تبكى وهى ترد عليه وصوتها يرتفع

- حرام عليكم انتم ، عيشت مظلومة مع ابوك ، و بعدين عيشت محرومة منك ، وضحيت علشان مصلحتك ، لكن أنا كمان من

حقى أعيش تبدأ دموع التماسيح ، فى استدرار عطف إبراهيم الذى صمت لكن الباب انفتح بقوة ، ليظهر الشيخ أمامها

-من حقك تعيشى!! --- تعيشى مع مين – مع (عونى) الشيطان ، اللى بتقولى انه تاجر ، اللى يبيع دينه تاجر خسران وعمره ما هايكسب ابدًا" ، لكنها تستمر فى عصبيتها ،

- انت عاوز مننا ايه ، عمال تتحكم فينا وتذلنا بفلوسك --- ايوه وماله ، الرجل شارينى وهايعيشنى كويس على سنة الله ورسوله ، يضحك الشيخ ضحكة مريرة مجلجلة ، فعلًا" شر البلية ما يضحك

- كويسة دى ، أمال الناس سموه الشيطان ليه مادام على سنة الله ورسوله ، انتى عارفه وانا عارف ، مش عاوز اتكلم قدام ابنك

ترد عليه فى حدة

- أنا هاتجوز اللى انا عاوزاه وانت مش ولى أمرى ، أنا أهلى موافقين ، تتركه وترحل ، فيرد عليها مهددًا" ،

- أنا حذرتك ، زى ما حذرت خليل قبل كده لكن خلاص – مافيش فايده ، تخرج سميرة فى غضب وهى تدعو على الشيخ وتسبه فى سلاطة لسان معهودة ، لا يغضب لها الشيخ كثيرًا" لكنه ظل جالسًا" على الأريكة المنقوشه فى البهو الكبير ، ممسكًا" سبحته بيده مسبحًا" و مستغفرًا" ، لكنه توقف عندما وجد حفيده يدفن رأسه

بين يديه ويستغرق فى البكاء ، وضع الشيخ يده البيضاء على رأس الولد الباكى ،وهو يحوقل محاولًا " غسل ذلك الشعور الذى انتابه بالعار من تلك الأم اللعينه التى كتبت عليه الخزى إلى يوم الدين ، لكن الشيخ يعطيه درسًا" أخر فى الحكمه ،

- لسه هايمر عليك كتير يابنى ، ---- بس لازم تبقى زى ده ، يشير إلى نقش الأسد الذى يسحق فريسته كم يبدو قويًا" وشجاعًا" ولا ينحنى لأحد --- خليك زى الهصور محدش يقدر يقهره مهما مر عليه من محن قادر على تخطيها ، والتعامل بعزة نفس ، يتوقف إبراهيم عن البكاء ويتأمل نقوش الأسد وصورته على الراية ، وتحين اللحظة التى يتمناها إبراهيم ، أن يسأله

- اه صحيح --- أنت بتحبه قوى ليه كده ياجدى وليه حاطط وشمه على إيدك؟ ، وليه نقوشه ماليه المكان والراية اللى عليها صورته ؟، هو ايه حكاية الأسد معاك؟ --- ابتسم الشيخ فى هدوء لطوفان الأسئلة الذى أغرقه به الصبى ، لكنه يعلم أن لكل مقامٍ مقال ، وأن الوقت لم يحن بعد ، فقال له ،

- ده مش مجرد إعجاب ، ده --- ثم صمت – وتابع قائلًا" كل حاجة هاتعرفها فى أوانها ، المهم ماتزعلش – ثم يغمغم فى ضيق

- نغَّصِت علينا فرحتنا -- هى أُمك كده تعكنن على بلد بحالها ،قالها الشيخ بمرح محاولاً التخفيف عن حفيده ، لكن الولد يرد فى حزن .

- أنا ازاى هواجه الناس وأمى متجوزه الراجل الساحر ده ، أنا خلاص مش هعرفها تانى ، أنا مش عاوزها ،يهدئ الشيخ من روعه

- لا يا ابنى ، ما تكونش عاق لأمك وسيبها ، حسابها عند ربها ، وكل عيله فيها الكويس والفاسد ، يصمت ليتذكر ابنه خليل فى أسف ، ويكمل حتى الأنبياء كان فى عيلتهم ناس عَصِتْ ربِنا ، يندهش إبراهيم قليلًا"

- الأنبياء !!!! ، يبتسم الشيخ محاولًا" التفريج عن حفيده ، الذى يحبه أكثر من نفسه ، فيلكزه فى كتفه

- ايه يا مولانا ، انت مش حافظ ولا ايه ، طيب أنا همتحنك ، اقرأ سورة التحريم الآيه العاشرة ، يسترجع إبراهيم ذاكرته ، ويتحرك فمه بغمغمة خفيفة مغمضًا" عينيه ، كدأب الأطفال الذين أعتادوا الحفظ ، إلى أن وصل إلى الآية العاشرة ، فيرفع صوته

- ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شيئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ *وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ صدق الله العظيم ، يهز الشيخ رأسه ، مغمضًا" عينيه فى استمتاع ، وتشع من وجهه علامات الرضا عن حفيده ،إلى أن انتهى من القراءة ، ففتح عينيه وقد اغرورقتا بالدموع ، وهو يردد

- الله يفتح عليك يا شيخ إبراهيم ، فهمت بقى ، فهز إبراهيم رأسه بوهن كمن يحتاج المزيد من الشرح ، فيبتسم له الشيخ فى حنان

- يعنى حتى الأنبياء سيدنا نوح وسيدنا لوط ، ربنا بعتلهم امتحان فى صورة زوجاتهم ، خانوهم وكفروا ، على عكس زوجة فرعون الكافر السيدة آسيا التى امنت بالله رب العالمين --- تعالى ، هافسحك فسحة العمر ، واشتريلك هدوم جديده كمان ، اصطحب الشيخ حفيده إلى كورنيش الرمل حيث يقبع فندق (سيسل) الشهير العريق الموجود من ثلاثينيات القرن العشرين ، حيث الرقى والفخامة والمنظر الرائع المطل على الميناء الشرقى ، والجلسة الهادئة ، كان إبراهيم فى أقصى درجات الذهول عندما رأى جده وهو يرتدى حُلّه إنجليزية حديثة الطراز ، ويركب سيارته الشيفرولية الفارهة التى لا يُفَضِّل ركوبها كثيرًا" ، فهو مرتبط أكثر ب(حنطور) منصور الحوذى ، كان الشيخُ استثنائيًا فى ذلك اليوم وهو يتحدث بفرنسية سليمة مع النادل ، ويختار من قائمة الطعام بأسلوب ارستقراطى و هو يتحدث لحفيده فى مرح كشاب فى العشرين ، ثم اصطحبه إلى السينما ، كان الولد يشعر أن هناك حدثًا" غريبا" سيحدث فى تلك الليلة ، لكنه تأكد من ذلك عندما جلس الشيخ بجواره فى العربة ، ملقيًا" عليه خبرًا" غريبًا"

- أنا هسافر شويه وهاسيبك لوحدك --- عاوزك تعتمد على نفسك وتكون راجل ، ألقى الكلمة فى وجه إبراهيم الذى تلقاها كمواطن

مصرى مسكين يستمع إلى نشرة الأخبار . فازدرد لعابه فى خوف ، وسأله فى وجل

- رايح فين يا جدى ؟؟ ، يبتسم الجد فى حنان

- مسافر الحجاز --- موسم الحج قرب عاوز أرتاح شويه ، حملت لهجته الكثير من الأسى والألم ، مما أصاب الصبى بكثير من القلق ، لكنه شاغب وسأله مرة أخرى

- هاتغيب عليّا؟ ----- وهاتسافر إمتى ، يرد عليه فى غموض وحزن

- ربنا يقرب البعيد يابنى ، وهسافر كمان يومين باذن الله ، يبتسم محاولًا" تخفيف الصدمه عن الصبى الذى شعر فجأه بأنه طائر أبيض محلق كان يطير فى سماء المدينة ، لكن كلمات الشيخ أصابته كطلقات بندقية روسية ،فسقط على الأرض وتناثر ريشه فى كل مكان ، يشعر الشيخ بكل ذلك ولكنه لا يملك له شيئًا" ، فالمحن والأزمات فقط هى التى ستجعل منه رجلًا" قادرًا على تحمل المسئولية ، لكنه يطمأنه ،

- ما تقلقش ، كل حاجة مترتبه وأنا مش موجود ، خليك بس مع عمك رجب وهو هايساعدك فى كل حاجة ، وعاوزك تسمع كلامه ، يخرج الطفل منديله القماشى من جيب سترته الأمامى ، ويمسح دموعه فى تأثر ، آه ايها الطير الذبيح كم عانيت من آلام الفراق ويبدو أنك سوف تعانى مَراتٍ ومرات ، تداعبك الأوقات الهانئة وتلوح لك حتى تستكين وتشعر أن الدنيا قد ضحكت ، ولكنها

سرعان ما تنقلب عليك كموج البحر الهادر فى (نوة) عاصفه ، لقد فعلتها معك من قبل عندما ضاع والدك خليل ، وها هى تمارس لعبتها معك للمرةِ الثانية وأنت صبى لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرك ،خرجت من إبراهيم تنهيدة حارة ------ (حنانيك يا دنيا)

ينتهى هذا الحوار الدامع بين الجد والحفيد ، ويعود الشيخ ومعه الصبى إلى المنزل قبل صلاة الفجر ، ولأول مره مُنذ أمدٍ طويل ، يسهر الشيخ الليل بطوله ، لكن اليوم يستحق والحدث أيضًا" كان يستحق ، غادر إبراهيم إلى غرفته مودعًا" جده ، الذى صعد على غير العادة إلى الخلوه مُستدعيًا" رجب فى تلك الساعة ، يطرق رجب الباب ويدخل --- لكن ما هذا ، لم تكن ملابس الشيخ كالمعتاد ، كانت ملابس حرب ، لقد كان الشيخ بصدره المنتفخ ودرعه الفضى وسيفه البتار وخوذته اللامعة ، مديرًا" ظهره للباب ، ترتعش يد مساعده رجب ، عندما رآه بتلك الهيئة ، فيباغته بكلمة استنكارية حزينة ، لا يفهم مغزاها سوى صديقين عاشا معًا" سنوات العمر كلها

- ايه ده يا سيدنا ---- خلاص ، يستدير الشيخ فى هدوء ليبدو أكثر قوة وأصغر سنًا" من ذى قبل ، تبدو على ملامحه أمارات الجدية والصلابة ، كما بدا أقلَ شيبًا" من ذى قبل ، وظهرت عروق يده القوية، موشومُ عليها وشم أسد شرس وهى تحمل سيفًا" بتارًا" ، يرد عليه فى صرامةٍ وحزن

- أيوه خلاص ، بس إنت مهمتك ما خلصتش ---- وطبعًا" إنت عارف هاتعمل إيه خطوة بخطوة ،يتخذ رجب هيئة أخرى غير هيئة عم رجب ذلك الرجل المريض معاون الشيخ ، فينتفخ صدره ويبدو كجندى مطيع يتلقى الأوامر من قائده ، فيقف فاردًا " صدره رافعًا" رأسه مُردِدًا" فى لهجه عسكرية جافة

- أجل يا سيدى القائد الهصور ، يُلقى التحية العسكرية له فى ثبات ، يُغمغم الشيخ فى أسى

-قصدك القائد المهزوم ، ---يواسيه رجب

- مش ذنبك ياسيدنا ، جنودك كانوا ضُعاف وما استعدوش لميطرون اللعين وأعوانه ، لكن معلش ، باذن الله تتعوض

- المره دى إستعدوا كويس ، ولو حسيت بخطر على حياتك اهرب بالسر وسيبهم يستولوا على الحصن ، والحصن هوا اللى هايحاربهم ، ---- أهم حاجة ما يوصلوش ليك إنت ولا للسر – انت وأحفادك مساعدين للهصور حراس السر ، لكن سيبوه دلوقتى ، يردد رجب كلمات يحفظها جيدًا" ، و يعيش من أجلها وعندما يطمئن الشيخ، يودعه فى حراره وبكاء ثم يصرفه كما يصرف القائد جنديه ، ثم يخرج من حجرته على هيئته الطبيعية ، مُقتربًا" من سرير إبراهيم طابعًا" على جبينه قبلةَ الوداع ، ينظر إلى وجهه فى حب وتنسكب دموعه الساخنة فتبلل وجه الصبى الذى يستيقظ مفزوعًا" ليرى الشيخ يتطلع اليه لآخر مرة .

***

(16)

يستيقظ إبراهيم فى اليوم التالى ، ليبحث عن جده فى كل مكان لكنه لم يجده ، يسأل كل من فى القصر عن الشيخ ، لكن الجميع أكدوا له أنه رحل إلى الحجاز مبكرًا" جدًا" ، يطرق الباب على رجب فى غرفته ، فيؤكد له هذه المعلومة بلهجته العربية المختلطة بالنوبية

- سيدك سافر النهارده باكر ، وما رضى يزعجك ، لكنه يتذكر أن الشيخ قد زاره بالأمس فى الغرفة ، لكنه لم يكن متأكدًا من كون الزيارة حقيقة أم مجرد حلم يتساءل إبراهيم فى قلق عن أمور حياته لكن رجب يطمأنه لفترة

- كل حاجة هاتمشى مظبوط تمام زى ما كانت --- لاتقلق من شىء ، - --المهم تذاكر وتتعلم زى ما أمرك جدك ، يتذكر وصية الشيخ بطاعة رجب فيبدى له قدرًا" من الإحترام

- حاضر يا عم رجب ، لقد أشاع (رجب) سفر الشيخ إلى مكة المكرمة لأداء الحج ، مما أصاب أهل المنطقة بحزنٍ واندهاش ، لأنه لم يكن معه أحد لوداعه ، ولم يخرج من بيته ، ولم ير أحدهم حقائب تخرج من البيت ، لكنهم ارتضوا بكلام مساعد الشيخ فى الظاهر ،وغلفوه بكلمات محفوظة مثل

- ربنا يرجعه بالسلامة - والله هايوحشنا – حج مبرور باذن الله ، لكنهم فى الباطن وكالمعتاد ، أخذوا ينسجون الأساطير حول ذلك الشيخ الذى هو (من أهل الخطوه) وسافر إلى مكة المكرمة بشكل فجائى دون ترتيبات ، ودون أن يخبر أحدًا" ، وبعد شهر من سفر الشيخ ، كان رجال الحضرة ، يجلسون فى مندرة البيت الكبير فى وجوم ، يتوسطهم رجب وإبراهيم الذى صار لا يفارق رجب أبدًا" حسب وصية الشيخ ، جلس رجب وفى يده ورقة (تلغراف) صغيرة الحجم ، أخذ يقرأها بيد مرتعشة وعين دامعة ، وسط نشيج الرجال وبكاءهم

- انتقل إلى رحمة الله تعإلى المغفور له الشيخ (سيد بن جعفر بن خليل على العابد) ، فى الأراضى الحجازية ، ودفن بالبقيع حسب وصيته للمغفور الرحمة وللأهل الصبر والسلوان ، أنهى المساعد رجب تلك البرقية الكئيبة وسط دموع وذهول إبراهيم الذى أفقدته الصدمة القدرة على الكلام ، لكنه حضر مراسم العزاء الذى استمر سبعة أيام ، وبعدها عاد رجب إلى الوكالة يدير أعمال الصبى خليفة الشيخ ، واستمر هذا الحال لمدة عام انتقل فيها الصبى إلى مرحلة دراسية جديدة ، صار أكثر تفوقًا" ومهارة فى مجال العطاره والأعشاب ، وقد تعلم الكثير من رجب ، لم يعكر صفوه فى ذلك العام سوى علمه بخبر زواج أمه (سميرة الحلوة) من(عونى الشيطان) ، زاد الخبر من أحزانه لكنه استمر فى

حياته ، إلى أن جاء يوم ، دخل عليه أحد الخدم وهو جالس فى مكتبه يذاكر.

- الست والدتك بره وقاعده فى المندرة ، شعر برغبه فى القىء وقرر أن يرفض مقابلتها ، إلا أنه وجدها على رأس مكتبه تحتضنه وتقبله ، تساءل كيف وصلت إلى عقر داره بهذه السهولة ، بكت واستعطفته أن يسامحها ، وأنها تريد أن تعيش معه وأنها سوف تترك عونى الشيطان إذا وافق , تتوسل اليه

- يابنى أنا كبرت وستك كبرت ، تعالى عيش معانا ، أو احنا نيجى نعيش معاك ، ينظر لها فى نفور ، ويعطها ظهره ، تخرج من عنده غاضبة ، تجد رجب واقفًا" ينظر لها شذرًا" وبتحدى واضح . تكشر عن أنيابها وتزمجر فى غضب

- كله منك انت والشيخ بتاعك ، حسبى الله ونعم الوكيل فيكوا --- خلاص كَرّهتوا الولد فيا ، يرد رجب فى هدوء

- عيب يا ست سميرة الطريقه دى, وعيب تشتمى الشيخ ده فى ذمة الله دلوقتى ،تزداد جنونًا" وسلاطة لسان فترد عليه

- ربنا ريحنا منه بس فاضل انت ، يبتسم فى استفزاز وكره لذلك الكائن الذى لا يُراعى للموت حرمة ، فتذّكر رجل جليل ذهب إلى جوار ربه بسوء ، ويرد عليها ببرود

- استريحتى --- ما اعتقدش ، وتّرتّها كلمته القصيرة وهو يطلق بصره الثاقب تجاهها فى تحدى ، من تدرب كثيرًا" على هذا الموقف .

لكنها لم تستسلم بسهولة ، فهى أيضًا" مدربة على الشراسة والسيطرة ، فعاجلته بسرعة

- هانشوف مين فينا اللى هاينتصر !!! يا سبب المصايب ، تنزل على السلم مسرعة ، وهى تتجه إلى ميدان المنشية ، لتدخل مبنى قديم ، متجهه للدور الثانى ، تدق جرس شقة مكتوب عليها من الخارج (على جعدار) المحامى ، وهو رجل سمين الوجه ذو كرش عريض له رأس أصلع تكسوه بضع شعرات وحيدة يوزعها على تلك المساحه الكبيرة من الصلعة وله شارب موجود تحت أنفه بالضبط ، يشعرك أنه قد تعمد تهذيبه بهذه الطريقة إحياءًة لذكرى القائد النازى (أدولف هتلر) . كان الأستاذ (على) يتمتع بثقل ظل نادر وله القدرة على شفط الأكسجين من الهواء الجوى ، كما تم استئصال (غدة الضمير) المزعجة منه، منذ زمنٍ طويل ، فكان كل زبائنه من عينة (عونى الشيطان) و(سوكه) تاجر المخدرات ، و(مديحة العايقه) واسمها يوضح مهنتها ، جلست سميرة على الكرسى المقابل لمكتب على جعدار ووضعت ساقًا" فوق الأخرى ، وأشعلت سيجارة رفيعة ، وضعتها بين شفتيها التى تغار منها الفراولة ، مما جعل لعاب على جعدار يجرى ككلبٍ جائع ، وهو يحملق فيها ببلاهة ورغبة ، استمع لها فى استمتاع من يسمع وصلة فى المذياع (للست أم كلثوم) يوم الخميس من أول كل

شهر . شرحت له المشكله ورغبتها فى الوصاية على ابنها ، والسيطره على كل شيء ، و عندما انتهت ، جاء دوره ليستعرض مهاراته العظيمة فى القانون، مُطمئنا" إياها

- ما تقلقيش يا هانم ---- الموضوع بسيط ، إن شاء الله هانمكنك من الوصاية ، ده موضوع بنعمله كل يوم ، وهانجيبلك الحكم فى أسرع وقت ممكن . تطمئن سميرة وتغادر مكتب على جعدار وهى تتطلع إلى المعركة القادمة. وفى نفس الوقت علم رجب أن المشاكل قد بدأت ، فبات ليلته فى القصر ، يُنفِذ توصيات الشيخ حرفيًا" ، حتى أتم كل شيء وشعر بارتياح لإكماله المهمة على أكمل وجه .

بعد ستة أشهر

تدخل (سميرة الحلوة) إلى وكالة العابد للعطاره بحى العطارين ، دون استئذان ، وبيدها ورقة حكومية عليها خاتم وزارة العدل ، تقترب من رجب مساعد الشيخ ، الجالس على مكتبه ، وتجلس فى جرأه على الكرسى الذى أمامه ،

- العواف يا رجب يا نوبى ، يرد عليها فى برود

- أهلًا" ---- خير؟ ، ترد عليه فى ميوعة

- بالنسبه لى ---خير-- أما ليك --- ما أظنش ، يعرف رجب مسبقًا" ما صنعته واستعد له الشيخ جيدًا" ، فصمت استعدادًا" للورقه التى بيدها

- أنا معايا حكم بالوصايه على إبنى --- تقدر تقول إنى بقيت المُتحكمه فى كل حاجة ، يستمع إليها كمن يشاهد حَدثًا" مُكررًا ، يعرف تبعاته ، لكنها تستطرد ، بلغة دبلوماسية

- أنا ما بقطعش عيش حد ---- عاوز تفضل فى الوكاله أنت و الرجاله ماشى ، بس هاتبقى كل حاجة تحت إشرافى ، أما بالنسبه للبيت ، فدلوقتى من حقى أعرف كل حاجة مستخبية ، يبتسم رجب فى استخفاف ، فتظهر أسنانه البيضاء بوضوح وسط سُمرة وجهه ، ويرد فى مَكرْ

- حاجة مستخبية !!!! كل حاجة عندك ومفيش حاجة مستخبيه ولا حاجة ، يتغير وجهها وتضيق حدقتها فى غضب ، ضاربة بيدها على المكتب بعصبية ، وتصرخ فى وجهه

- كده --- ماشى – بس إنت اللى جيبته لنفسك ، تخرج مسرعة من المحل بينما يراقبها هو حتى ترحل ، ويحمل كل الأوراق المهمة وكتب الشيخ ، فى جوال كبير ، وينطلق بسرعة إلى مكان ما ، وفى المساء يقترب حنطور منصور من منزل الشيخ ، وينزله على مدخل المنزل يلتفت اليه رجب ،

-مع السلامه يا منصور ، إتوكل على الله إنت ، يقترب من البوابة ، لكنه قبل أن ينادى على البواب ، تلقى ضربة على رأسه أفقدته الوعى ليجد نفسه مقيدًا" فى غرفه تحت الأرض فى (بيت الشيطان) ، معصوب العينين وعلى وجهه وجسده آثار تعذيب رهيبة ،

- لسه مش عاوز تقول الشيخ شايل الكنز فين ؟، يسأله أحد أعوان عونى الشيطان فى ملل

- كنز ؟؟؟ ---- أنا ما أعرفش إنت بتتكلم عن إيه ، يضربه أحد أعوان عونى فى بطنه فيصرخ بعدها رجب منحنيًا" للأمام من قوة الضربة ، مُرددا" فى ألم

-بتضربوا واحد عجوز ---ربنا هاينتقم منكم ،يرد أحدهم فى عنف

- إنت بقالك تلات أيام على كده ومش عاوزين ، نموتك انت مش حمل بهدلة ، يبتسم رجب فى سخرية

- ما هو لو موتتونى مش هاتوصلوا لحاجة برضو . يضرب أحدهم يده على المنضدة بعصبية وينزع العصابة من فوق عينى رجب بعنف ،لسه غبى وعنيد زى سيدك ، فتح عينيه ونظر إلى وجهه ، لقد كان هو ---- عونى الشيطان ، وبالطبع كانت سميرة تراقب الموقف من مكانٍ ما ، إستّلَّ عونى سكينًا" وقرب نصلها من وجه رجب

- آه ده صحيح – بس ممكن تعيش بعاهة طول عمرك --- اتكلم وإلا هطير عينك ، شعر رجب أن نهايته قد حانت على يد هذا الحقير ،

وكما تم تدريبه فقد قرر أن يستخدم الخطة البديلة التى أمره بها قائده قبل رحيله

- ولو حسيت بخطر على حياتك اهرب بالسر وسيبهم يستولوا على الحصن ، والحصن هوا اللى هايحاربهم ، ---- أهم حاجة مايوصلوش ليك إنت ولا للسر – انت وأحفادك مساعدين للهصور و حراس السر ، لكن سيبوه دلوقتى ، وبسرعة قرر رجب تنفيذ الخطة

- خلاص أنا هاقول ،الكنز موجود فى سرداب تحت غرفة الخلوة ، ده بس اللى أنا أعرفه ، يشعر عونى بارتياح ، وتظهر سميرة كالأفعى من أحد الأركان

- أيوه كده يارجب --- روح وماتبلغش البوليس وأوعى نشوف وشك تانى ، يلقى رجال عونى برجب العجوز محطم الجسد ، على قارعة الطريق ،ليحمله بعض الرحماء إلى المستشفى

بعد يومين

يهرول شاب ذو ملامح نوبيه ، فى طرقات مستشفى الحَضَرَة الجامعى للعظام (ناريمان)، يسأل إحدى العاملات عن عنبر (ج) ، لقد علم من الاستقبال أن والده رجب يرقد هناك ، تشير العاملة إلى نهاية الممر

- العنبر آخر الممر – يمين ، يدخل الأسمر إلى العنبر والتأثر باديًا" على وجهه ، حتى وجد ذلك الرجل ، الذى يشبهه ،وكلتا قدميه وإحدى ذراعيه ،معلقة فى الجبس ، وفى صدره كدمات وكسور فى أضلاعه

- ألف سلامة عليك يا أبويا ، مين عمل فيك كده ؟؟ أنا لازم أنتقم منه ، يفتح رجب عينيه فى ألم ويتكلم وصدره يعلو ويهبط

-مش مهم دلوقتى يا أمين ، المهم نلحق كل حاجة قبل ما تقع فى أيديهم ، يدس يده السليمة تحت ملابسه ،ويُخْرِج مفتاحًا" يبدو عتيقًا"

- تروح البيت دلوقتى ، وتطلع على السندره السرية اللى فوق الحمام ، وتفتح بابها بالمفتاح ده ، هاتلاقى كيس كبير مليان أوراق مهمه وكُتُب ، لو وقعت فى إيديهم ، هانبقى كلنا فى خطر ، يهز أمين رأسه فى اهتمام، لكن رجب يكمل باقى التعليمات

- خد الأمانه واطلع بيها عند عمك (شتيوى) فى البلد ، وتقوله أبويا بيقولك ، خللى الأمانه دى عندك ، يهمس أمين مندهشًا"

- عاوزنى أسافر بالكيس الكبير ده أسوان ؟؟!! – بس يابا ، ينظر له رجب فى غضب ويأمره بانفعال

- ودلوقتى حالًا" -- تنفذ اللى قلت عليه ، وتقوله يجهز بيت أبويا ، علشان هاروح لما أخف إن شاء الله ،أعيش هناك ، يستمع أمين فى طاعة ، ثم يغمغم

- اللى تشوفه يا حاج ، كلامك أوامر ، يخرج بعدها أمين مُسرعًا" إلى المنزل ،لتنفيذ أوامر والده ،تسقط دموع رجب فى حزن وهو يُكلم نفسه وحيدًا" وينظر مُحملقًا" فى سماء الغرفة

- سامحنى يا سيدنا ، ما قدرتش أعمل غير أضعف الإيمان ، يصمت بعدها رجب وكأنه يشاهد فيلمًا" سينيمائيًا" معروضًا" فى سماء الغرفة ، تقترب منه إحدى الممرضات

- ميعاد الدوا يا عم رجب ، تجده مبتسمًا" ولا يزال محملقًا" فى سماء الغرفة ، تحاول تنبيهه

- عم رجب ، تكتشف إنه يبتسم ولكن لا يتحرك ، تغمم فى جزع

- لا إله إلا الله ، تتركه فى حزن وتذهب لتخبر الطبيب المناوب

***

obeikandl.com

(17)

لم يتخيل إبراهيم أن النوازل ستلحق به فى عامٍ واحد بهذا الشكل ، وفاة الشيخ ، زواج أمه من عونى الشيطان ، ثم اختفاء (عم رجب) مرشده ومعلمه بعد الشيخ ، وفى النهاية استيلاء ، أمه على المنزل والوكالة بدعوى الوصاية ، كان الصبى مذهولًا" ولا يكاد يصدق ، فالمندرة التى كانت تتشبع جدرانها بكلام الله وبالحضرة الذكية، صارت مرتعًا" لجلسات النميمة من (نسوان الحارة) ، وحفلات الموسيقى الصاخبة ،وجلسات السحر التى يقيمها عونى لأصدقائه وزبائنه ، اختفى الضوء الأخضر الحنون الذى كان يخرج من خلوة الشيخ و يلف المبنى الغامض والمنطقة المحيطة قبيل صلاة الفجر ليحل مكانه ظلام حالك ، للأسف عليه أن يعترف أن الشيطان قد احتل المنزل والوكالة ، وصار يجلس على مكتب جده الشيخ ، وقام بتسريح عماله ليبقى هو وأعوانه ، يديرونها لأعمال السحر والدجل وكل ما يغضب الله ، فخسرت زبائنها الطيبين ، لتتحول إلى وكرٍ خرب ،ينعق فيه البوم والغربان لقد كان الصبى فى كابوس مزعج ، لا يعرف متى سينتهى ، ولكنه فى نهاية الأمر قرر ترك كل شىء لأمه سميرة وزوجها عونى الشيطان ، والعودة إلى منزل جدته المسكينة ، والعمل فى حرفة بسيطة ليعول نفسه من مال حلال ، أما سميرة فكانت تلك فرصتها العظيمة للبحث فى

المنزل كما تشاء ، وبالفعل قررت أن تنفذ خطتها فى البحث عن ذلك السرداب الذى يحتفظ بالكنز ، بعد شهرٍ فقط من دخولها وزوجها إلى القصر، حددا ميعادًا للبحث عن الكنز ، كان عونى الشيطان متوترًا" طوال ذلك الشهر ،إنه لم يتقابل مع الشيخ عدوه اللدود ولو لمرة واحدة ، لكن كان هناك صراعًا خفيًا يدور بينهما فالشيخ كان قادرًا بعلمه وبركته على إبطال تلك الأعمال الشيطانية التى يقوم بها ، و أقربها كشفه لسميرة و إحراق أحجبته ، كما أنه يعلم أن إرث الشيخ لن يكون لقمةً سائغة ، فما يسمعه عن الشيخ ومنزله الذى يشبه القلعة ، ليس بالقليل ، لهذا كان يستعد جيدًا" بالقراءة واستحضار كل ماتعلمه حتى يتمكن من فك ، أى طلاسم أو تحصينات قد تعرقل عملية حصولهما على الكنز، وجاء الميعاد ليلة النصف من شعبان ، كان القمر فى تمامه ويلقى بأشعته الفضية على القصر والحديقة والمنطقة ، والطقس جميل وخالى من الرياح ،كان المشهد من الخارج رومانسيًا" ومسرح الأحداث يسمح بالتقاء حبيبان يتناجيان ، لكن المشهد داخل القصر كان على النقيض ، يصلح لأن يكون مسرحًا" لإخراج ، أحد أفلام الرعب(لألفريد هتشكوك) ، فهناك رجل وإمرأة ، قررا أن يتحركا فى منتصف الليل ، لنبش محتويات قلعة الشيخ الحصينة ، والبحث عن السرداب الخفى ، ومع انتصاف الليل تحركا بحذر وبيد سميرة مصباح كيروسين ، كانت تلك هى المرة الأولى منذ استيلاءهما على المنزل ، التى يقومان فيها بمحاولة للصعود إلى

الغرف العلوية ، حتى الخدم كانوا يخافون الإقتراب ، وإزداد فزعهم بانقطاع الكهرباء عن الجزء العلوى من القصر ،وعدم التمكن من إصلاحه أبدًا ، صعدت سميرة إلى أعلى وهى تشعر برجفة كانت واضحة من رعشة مصباح الكيروسين الذى بيدها ، أما زوجها الزنديق ، فكان يبدو متماسكًا" ظاهريًا" ، لكنه كان يفوقها رعبًا" ، حبسا أنفاسهما وصعدا درجات السلم الخشبى التى تقعقعت تحت ثِقَلْ جسديهما ، وسارا بهدوء إلى أن وصلا للممر المؤدى للغرف والذى ينتهى بغرفة الخلوة ، سارت سميرة فى الممر تحمل موقد الكيروسين وهو يسير خلفها ، حتى وصلت إلى باب الخلوة ، أشارت للباب بيدٍ مرتعشة هامسة

- هى دى الخلوة اللى فيها السرداب ، طمأنها وأخرج مفتاحًا" من جراب جلدى من جيبه ، أخذ يتمتم عليه ويقرأ بعض التعاويذ السحرية ، ,ثم أدخله فى الباب ، وبعد محاولات مضنية ، سمعا ،تكة خفيفة ،مُعلنة عن فتح الباب ، خطا أولى خطواتهما داخل الغرفة ، وضعت سميرة مصباح الكيروسين ، على الأرض ، واقتربت من سجادة الصلاة المفرودة فى المحراب وقررت رفعها ، بينما جلس عونى يطالع الخريطة التى رسمها وهو جالس على الأريكة العاجية ،و يتحدث إلى سميرة فى توتر ، التى كانت بدورها ترفع السجادة الراقدة فى حضن المحراب لتظهر فتحة سرداب مغطاه ، بغطاء أسمنتى ثقيل ، كغطاء مقبرة فرعونية لها مقبض حديدى

- هانشد الغطاء بالمقبض الحديدى ده ---- مع بعض ، ترد سميرة عليه

- إيه ده ----- ده تقيل قوى ، محاولًا" طمأنتها ، وهو يخرج زجاجة من حزام حول وسطه ، بها سائل بدأ ينثره على الغطاء الثقيل وهو يتمتم بتعاويذ شيطانية ، ويقول لها مطمئنًا"

- هايبقى خف الريشه حالًا" ، يمد يده ليزيح الغطاء لتنكشف الفتحة عن مجموعة من السلالم الملتفة المفضية إلى أسفل ، وبمجرد نظر سميرة وعونى فى السرداب ، حدث شىء سوف يتذكرانه مدى الحياة ، فلقد انطفأ المصباح لتغرق الغرفة فى ظلام دامس ، ثم يخرج من أسفل السرداب شعاعًا" أخضر اللون له ذرات بخارية يشبه الشعاع الذى يخرج من آلة العرض السينمائى ، يصعد الشعاع من أسفل بكثافة ، وتتصاعد معها بعض الهمهمات الغير مفهومة لتنتشر فى الفضاء كله لقد عرفتها سميرة التى كادت تسقط مغشيًا" عليها أنها همهمات رجال الحضرة وهم يذكرون ، لقد سمعتهم قبل ذلك عندما كانت فى منزل الشيخ ، ينظر عونى حوله فى فزع وهى تتشبث بملابسه ،

- إيه ده ، لكن الصوت يزيد ويتضح ،

وَلَمَا صَفَا قَلْبِي وَطَابَتْ سَرِيرَتِي وَنَادَمَنِي صَحْوِي بِفَتْحِ الْبَصِيرة شَهِدْتُ بِأَنَّ الله مَوْلَى الْوِلاَيَةِ وَقَدْ مَنَّ بِالتَّصْرِيفِ فِي كُلِّ حَالَةِ

شعر عونى بأن الموقف يخرج عن سيطرته ،فأخرج كتابًا" أسود اللون ذو غلافٍ سميك ، ووقف متخشبًا" ، وإن كان جسده يهتزُ بعض الشيء بسبب تلك السيدة التى ترتعد فرائصها خلفه ، وهو يتمتم بتعاويذ السحر الأسود التى قد تعيد له السيطرة على الموقف وتمكنه من الكنز وسبر أغوار ذلك الغموض الذى يحيط بذلك الشيخ اللعين اللذى أحال حياته لجحيم وهو على قيد الحياة ، وهاهو يقف عائقًا" فى طريقه بحضرته ، وقصره وأسراره ، وبينما هو يتمتم سمع زئيرًا" مفزعًا" ، لأسود قادمة من الأسفل تتقافز فوق السلم ، وهى تنطلق تجاههما بسرعة رهيبة ، لم يصدق عونى وسميرة إلا عندما بدأت الأسود الضخمة تنهش جسديهما ، وهما يصرخان بجنون ، ويفران خارج الغرفة والأسود تتولى تمزيقهما حتى فرت سميرة إلى غرفة الشيخ وهى مثخنة بالجراح وحاولت غلق الباب من الداخل عليها ولكنها سقطت فوق السرير وهى تجرى ،لتكتشف جسدًا" نائمًا" فوق السرير ، جميل الوجه هادئ" كتمثال ، تقترب من الوجه النائم الذى غمره الضوء الأخضر - لتكتشف أنه هو ---- الشيخ بلحمه ودمه ، تطلق صرخة هيستيرية تملأ الفضاء ، تتبعها بالجرى إلى أقرب نافذة لتلقى بنفسها فى الشارع ، بينما يتحول عونى الشيطان إلى مسخ بشع بعدما التهمته الأسود ، ولم يتبقى منه سوى كتابه الأسود المشبع بدمه الفاسد ، ليعود مرة أخرى إلى نفس المكان ، ومع تشابه الأحداث (محمد بك السوهاجى) وكيل نيابة وسط ، الذى تملكته الحيرة

هو وكل رجال المباحث ، ثانى حادث فى خلال عام ، فى نفس منطقة الحدث ، والجانى (أسد أفريقى كبير الحجم) ، والضحية شخصين ، أحدهما يمزق والآ خر يصاب بالجنون ، وتضيع الحقيقة ، قالها ، وهو يتطلع إلى سميرة التى ترقد فى سيارة الإسعاف وهى تصرخ فى هيستيريا

- حوشوه عنى ---- هو عايش وعايز يقتلنى ، كانت تكرر هذه الجملة باستمرار ، ليبتسم وكيل النيابة و هويعرف مصيرها ، الذى هو نفس مصير مرزوق البمبوطى منذ عام ،

لكن هذه المرة كانت هناك فرصة لمعرفة عنصر مشترك ، المكان وتشابه الحادث ينظر وكيل النيابة إلى معاون المباحث الذى يشير إلى مكان سقوط سميرة من الشرفة وإلى الزجاج المتناثر حولها ، وينظر إلى تلك النافذة المحطمة فى الدور الثانى من ذلك المنزل الكبير الذى يشبه من بعيد وجه أسد شرس ، يتوقف وكيل النيابة أمام المبنى فى حيرة ،

- ما علاقة الأسد بهذا المكان ، وهل تصميم المبنى على شكل أسد له علاقه بالحادث؟ ، يؤكد لنفسه --- أكيد له علاقة

يتزامن ذلك مع تبليغ الخدم ، عن وجود جثة سيدهم (عونى الشيطان) مُدَرَّجًا" فى دمائه ، ينتقل محمد بك وفريق البحث إلى داخل قصر الشيخ ، حيث يبحث معاون المباحث عن أى أثر لرائحة الأسود أو تواجدها بمعاونة مدير حديقة الحيوان

الدكتور (محمد)، لكن تأتى النتيجة مخيبة للآمال ، وتزداد حيرة فريق البحث بأن من تم قنصهم هذه المرة ، هم سكان المنزل الجدد ، بينهم شخص له تاريخ جنائى فى جرائم الدجل والنصب وهو (عونى الشيطان) ، يتحرك وكيل النيابة فى المكان ، يترك وكيل النيابة فريق البحث يكمل مهمته فى الحديقة ، ويدخل إلى بهو القصر ، تصيبه الدهشة ، عندما تقع عيناه على الكراسى المنقوشة والأريكة ،يلفت نظره تلك الأسود التى تلتهم فريستها ، وذلك الأسد الموجود على العلم ، وكل هذه التحف والأباريق ، والفُرش المزركشة ، كما لفت انتباهه ، نافورة الطاووس الزرقاء ، التى تشعرك لأول مرة بأنك أمام طاووس حقيقى ينظر لك فى خُيلاء. يصعد إلى الدور الثانى حيث الممر المؤدى إلى الغرف والذى ينتهى بغرفة الخلوة ، حيث ترقد جثة مضرجة فى دمائها ، مغطاة بملاءة ، نظرًا" لبشاعة منظرها ، وبجوارها كتاب أسود ضخم الحجم ، يقترب محمد بك ويرفع الغطاء عن الجثة ، وكأنه يعاين جثة (شوقى السريح) مُنذُ عامٍ تقريبًا ، ترك رجال المعمل الجنائى يعملون فى نشاط ، بينما التقط هو ذلك الكتاب الأسود ، المُشّبع بدماء عونى الشيطان وفتح أول صفحة ، ترتعش يده وتتسع حدقة عينيه فى فزع

- بسم الله الرحمن الرحيم ----- إيه ده ، كانت سطور الكتاب تبدو كمن تم مسحها ، فسالت على بعضها بطريقة غريبة فاختفت معالمها ، ولم يتمكن الرجل من قراءة حرف واحد ، مما زاده حنقًا"

وحيرة ، لقد كان عونى ساحرًا" وبالتأكيد كان هذا الكتاب خاص بممارسة السحر وتم مسحه بطريقة مضادة ، هبط السلم وجلس فى بهو القصر محاولًا" استجواب الخدم . الذين أثبتوا له أن الفيلا كانت تخص الشيخ الذى توفى قريبًا" ، وآلت إلى سميرة بصفتها وصىّ على حفيده (إبراهيم) ، ولذلك فقد سكنا فيها منذ ما يقرب من شهرٍ فقط ، لم يكن متأكدًا" من شىء لكنه كان متأكدًا" من أن هذا البيت هو القاسم المشترك للجريمتين ، وبه لغزٌ مُحير، إذًا" لقد وضع يده على أول الخيط ، يتطلع إلى الأسد الذى يلتهم فريسته ، على الأريكة ، ولأول مرة منذ عمله فى النيابة تنتابه القشعريرة ، بالتأكيد الأسود هنا وفى مكانٍ ما ، وللمرة الثانية فى عامٍ يجلس ليستمع إلى الدكتور (محمد الشحات) الخبير البيطرى ،

ما لقيتوش حاجة برضه يا دكتور محمد ؟؟؟ ، يمسح الدكتور محمد منظاره الطبى الأنيق ، بقطعة حريرية أخرجها من جيبه ، ثم أعادها مرة أخرى يا فندم أنا قلتلك قبل كده ---- اللى بتدّور عليه ده مستحيل ---- إحنا فى قلب المدينة ولو كان موجود كان الصوت والرائحة ، أزعجوا كل سكان المنطقة وكانوا بلّغوا عنهم من زمان ، يقترب أحد المعاونين ليقطع حديث الطبيب البيطرى

- إحنا فتشنا فى كل ركن يا فندم --- ومفيش أثر لحيوانات مفترسة -- لكن ، تنتبه حواس وكيل النيابة فجأة

- لكن إيه خير – يهمس الرجل فى أذن محمد بك فيستأذن من محدثه الطبيب البيطرى ويهرول صاعدًا" إلى الدور الثانى ، وعابرًا" الممر فوق جثة (عونى الشيطان) مسرعًا" خلف المساعد ، الذى استمر يهرول حتى دخل باب الخلوة ، وأشار إلى فتحة السرداب ، التى أزاح غطائها(عونى) و(سميرة) قبل أن يقضيا نحبهما ، أشار المساعد لوكيل النيابة ،

- احنا لقينا الفتحه دى يافندم مكشوفة ---- يبدو إن فى حد أزاح الغطا من عليها ، نظر محمد بك إلى غطاء الفتحة الذى بدا ثقيلًا" جدًا" ومد يده إلى المقبض الحديدى محاولًا" رفعه ، لكن الغطاء لم يتحرك سنتيمترًا" واحدًا" ، دهش وكيل النيابة وأمر عشرة رجال أن يحملوا الغطاء ، لكنه أبدًا" لم يتحرك من مكانه ، دهش معاون القسم قائلًا" له

- إزاى راجل وست يزيحوا الغطا ده ؟! --- فيه عشر رجاله مقدروش يحركوه من مكانه ، فأشار وكيل النيابة فى ذكاء إلى الكتاب الأسود

- ماتنساش إن عونى كان ساحر ، وده باين من السائل اللى رشه على الحجر ،قالها وهو يشمر ساعديه ، لقد

قرر أن يغامر ويهبط درجات السلم التى بدت له كدرجات مقابر وادى الملوك التى زارها فى رحلة أثناء دراسته بالجامعة ، بدا السرداب مُظلمًا" ،فاستعان ببطارية وهبط بحذرٍ شديد يتبعه ضابط و ثلاثة جنود إلى أن وصل إلى حائط مسدود ، شعر أن

خلف ذلك الحائط يكمن حل اللغز ، وزاد من شكوكه عندما ضرب الحائط بيده ليصدر طنينًا" أجوفًا" من الناحية الأخرى ، مما جعله ينادى بلهجة آمرة

- عاوز حد يكسر الحيطة دى ، قالها وهو يخرج مبتعدًا" هو ومن معه تاركًا" الأمر لمجموعة من الجنود الأقوياء الذين بدأوا بضرب الحائط دون جدوى . وقف محمد بك يدخن سيجارته ، منتظرًا" ما سوف يكشفه ذلك الجدار ،يلاحظ باب الغرفة المفتوح ، بجوار جُثة عونى ، فيتخطاها بِسرعة ، ويدخل الغرفة ، مُستكشفًا" ، إن هذه الغرفة تخُصُ مالك القصر القديم (الشيخ سيد العابد) ، فعلى السرير وجد جِلبابًا" ناصع البياض ، مفرود الأكمام ، كأنّ شخصًا" يرتديه ، لاحظ تلك النقوش الرائعة الموجودة فى حديد السرير ، و عرائس (عمدان السرير) الأربعة على شكل أسد ، يقطب حاجبيه ويهمس لنفسه ، فى حيرة

- ما هذا الجنون ؟ ماهو سر الأسد فى هذا البيت ؟---- فيه شىء غريب ومش مفهوم الرسومات شكلها مش طبيعى ومسلسلة كأنها تعبر عن قصة ، يلتقط ذلك المذياع (الترانزستور) ماركة (فيليبس) والمحاط بكساء أنيق من الجلد الطبيعى والموضوع بعناية بجوار مصحف على (خوان) أسود اللون مصنوع من خشب الورد ، يفتح المذياع بعفوية ليخرج منه صوت الشيخ (محمود الحصرى) وهو ينساب كالماء السلسبيل فى ليلة شديدة الحرارة ، شعر بارتياح فقرر أن يتركه مفتوحًا" وهو يتأمل باقى

الغرفة ، حيث خزانة الملابس للشيخ وزوجته ، مقدمة الكثير من الأزياء الراقيه من فترة العشرينيات والثلاثينيات ، مدّ يده ليفحص بعض الملابس فسقط ألبوم صور قديم خاص بالشيخ وأسرته ، كل الصور تدل على الرقى والفخامة ، صور مع أجانب ، صور كثيرة خارج مصر ، صور لرجل قوى ومعه أسرة سعيدة ، لكن عقدها انفرط ودهستها عجلات الأيام ، معلوماته أن الشيخ كان يقضى أيامه وحيدًا" ، فى تلك القلعة الحصينة ، لفت انتباهه ، تحول فى شكل وملابس الشيخ ، ففى فترة الشباب كان فى غاية الأناقه يرتدى أحدث خطوط الأزياء ومعه زوجته فتاة راقية جميلة تبدو من أصول تركية ، لكنه تغير قليلًا" بعد انتصاف العمر ، لفت انتباهه صورة له مع حفيده ، وهو يحمله رضيعًا" ، لفت انتباهه ذلك الوشم الدقيق الذى على يد الشيخ ، ---- ما هذا --- نفس الأسد الموجود فى كل انحاء المنزل ، تنتابه رعشة خفيفة ويزدرد لعابه بصعوبة ، يعود إلى الصور القديمة ، ينتبه أن ذلك الوشم لم يكن موجودًا" ---- إذًا" ما سره ؟؟؟؟!!!! ، تتزاحم فى رأسه آلاف الأسئلة ، ينظر إلى صورة الزفاف المعلقة على الحائط ،والتى تخص الشيخ وزوجته ، يسمع صراخًا" وإنفجارًا" بالخارج ، يكاد قلبه يتوقف من كل هذا الرُعب ، وهو الذى لم يخشى شيئًا" من قبل ، لكن الموقف كان مُختلفًا" فى هذه المرة ، هرول إلى خارج الغرفة ، عندما سمع صراخ الجنود والعمال ، الذين كانوا ينقُبونَ الحائط ، لكنهم اصيبوا جميعًا" بإصاباتٍ بالغة دون أن يُخدش

ذلك الحائط أو يُمس بسوء . فقرروا جميعا" حمل المصابين ومغادرة المكان

بينما قرر (محمد السوهاجى) " وضع المنزل تحت الحراسة ، ومعاينته من خلال خبير بمصلحة الآثار ،

بعد عدة أيام

يدخل إلى وكيل النيابة تقرير مستشفى الأمراض العقلية الذى يفيد إصابة سميرة بالجنون ، يتجه إلى ملف أصفر كبير ، ليخرج تقريرًا" آخر منذ عام --- تقرير حالة (مرزوق البنبوطى) الذى مزقه الأسد وتركه حيًا". يغمغم فى لوثه

- أنا هاتجنن --- نفس الأعراض بالضبط ،حتى انتداب خبير من مصلحة الآثار ،لم يُجْدِ نفعًا" ، فهو لم يحدد إلى أى عصرٍ ينتمى وإن كانت النفائس التى به ، جديرة بإسالة لعاب السائحين إذا ماتم عرضها

***

(18)

- يسير محمد بك وكيل النيابة فى طريقٍ هادئ ملئ بالأشجار حيث منزله الواقع فى مكانٍ رائع ، يقترب من المنزل ، ويفتح الباب ينادى على زوجته فلا ترد ، ينادى على ابنه أحمد ذو الخمس سنوات فلايرد أيضًا " ، هو أيضًا" لايسمع بكاء رضيعه (محمود) ، يتجه إلى الصالة ، فيجن جنونه حيث كانت زوجته مضرجة فى دمائها هى والرضيع ، بينما أسد ضخم يقبع بجوارها ويلتهم رأس ابنه ، يصرخ وكيل النيابة باكيًا" ، ليستيقظ مفزوعًا" من نومه

- أعوذ بالله من الشيطان ---- يجلس والدموع فى عينيه ، لكنه شعر بارتياح عندما وجدهم نائمين بجواره فى سلام ، خرج إلى غرفة المكتب وأشعل سيجارته بأصابع مرتعشة وأخذ منها نفسًا" عميقًا" ،إنه اليوم العاشر على التوالى ، الذى يحلم فيه بهذا الكابوس ، فالأسد التهم عائلته بالكامل فتارةً يأكل زوجته ، وتارةً أخرى يلتهم أحدًا من أبناءه ، تارةً أخرى يفترسه أويفترس أبويه ، نصحته زوجته بالذهاب إلى أحد مفسرى الأحلام إلا أن الكابوس المزعج بدأ يأخذ منحنى آخر ويتجه ذاتيًا" إلى تفسير نفسه ، حيث رأى وكيل النيابة فى الليله الحادية عشر أنه يسير داخل حديقة القصر العتيق ومعه مندوب من مصلحة الآثار ، وبصحبتهم عددٌ كبير من رجال الشرطة والآثار ، وبينما يقف الرجال فى حديقة القصر

،تتلبد السماء بالغيوم وتشتد الريح يتبعها سقوط غزير للأمطار ثُمَ رعدٌ وبرق ، يجرى الرجال إلى باب القصر المنيف و الذى يُشبه فى تصميمه فَمَ الأسد المفتوح محاولين فتحه بعنف ، ومع شدة الضرب ينهار المزلاج ، ويُفتح الباب لكن ما حدث بعدها كان مروعًا " فلقد انزلق الجميع على الأرض وتحولت إلى أرض طينية رخوة وكأنها ،أرض إحدى الغابات الإفريقية المظلمة نعم لقد كان الظلام حالكًا" بالداخل ، بدأ يتلاشى مع ازدياد شدة البرق ، الذى تحول فجأة إلى اللون الأخضر ، وفى سرعه رهيبة خرج الأسد المرسوم على البيرق الكبير و تبعه العشر أسود المنقوشين على الأريكة والكراسى ، جرى كل أسدٍ خلف أحدهم وصار يلتهمه بطريقه بشعه ، وبينما وكيل النيابة يستتر فى رعب ، إذا بالأسد الضخم يتخطى الجميع فى ثقة ويتجه بعينيه حيث ، يختفى وكيل النيابة الذى حاول الفرار إلى الدور الأعلى ، صاعدًا" السلم الخشبى فى سرعة رهيبة والأسد خلفه ، اتجه إلى غرفة الشيخ المفتوحة والأسد يكاد يلحق به ، وقبل أ ن يغلق الباب كان الأسد يجثم فوقه على أرضيه الغرفة لكن جلباب الشيخ الملقى فوق السرير ، بدا كأنه تحرك ، وأشار للأسد بعصاه ، فخر أمام قدميه كالجرو ، ------ يا الله إنه هو ذلك الرجل الوقور الذى رآه بالصورة ، وهو يقف حائلًا" بينه وبين الأسد الضخم حيث ، أشار اليه مرة أخرى بعصاه ، فانصرف الأسد ، التفت الرجل اليه فى هدوء قائلًا".

- لسلامتك ، وسلامة الناس ---- ابعد من هنا ؟ يرد وكيل النيابة فى فضول من تعود على الاستجواب

- ليه ؟؟؟؟ ، لكن الشيخ يرد عليه فى حزم

- لكل شىء ثمن --- إذا كشفت السر --- لازم تدفع التمن ، يسمع وكيل النيابة صوت طفل رضيع يبكى فوق السرير ، ما هذا إنه ابنه(محمود) ، يحاول التقاطه من فوق السرير لكن يد الشيخ ، تمتد اليه بسرعة لتهدهده وهو جالسٌ على طرف سريره حتى نام الطفلُ فى هدوء ، يستيقظ وكيل النيابة مفزوعًا" وفى لمحةٍ خاطفه لم يجد (محمود) فى مهده ، وتجمدت عروقه عندما رأى الشيخ يجلس على طرف سريره موليًا" ظهره ، وهو يحمل رضيعه ويهدهده ، ثم يختفى فى لمح البصر ، كاد محمد بك يصاب بالجنون ،--- لا - --هذه المرة لم يكن يحلم ، لقد كان الشيخ يهدهد الطفل الذى كان يبكى بالفعل ، لم تكن أضغاثُ أحلام ، ، يقترب وكيل النيابة من طفله مفزوعًا" لكنه سرعان ما إزداد هلعه -- محاولًا" ايقاظ زوجته .

- مديحة ---- قومى -- الولد سخن نار !! ،

***

(19)

- خير يا دكتور ، دا إحنا بقالنا أسبوعين على الحال ده ، والطفل صحته فى النازل ، تقولها (مديحة) زوجة محمد بك االسوهاجى وهى تغطى الرضيع محمود الذى ذَبُلَ جسده وصار كالورقة البالية من الأدوية والحقن ، دون فائدة لكن الطبيب يرد فى لهجة معدنية خالية من التعاطف محاولًا" إخلاء مسئوليته

- والله أنا بعمل اللى عليّا --- بس الولد حالته من النوع النادر ، وتحاليله بتقول إنه سليم وماعندوش حاجة ، تحتد عليه مديحة فى حنق ودموعها تسبقها

- ماعندوش حاجة إزاى إنت مش شايفه بيموت قدامك ، يبدو الطبيب أكثر برودًا" ، ولا يلتفت لحدتها فى الكلام ، محافظًا" على هدوءه المقيت

- عمومًا" هنجرب الحقن دى كمان ، يقولها بينما تتنهد الزوجة فى يأس وهى تحمل الصغير ، بينما محمد بك فى حالة شرود ، ركبا السيارة وهو لا يزال مستمرًا" فى شروده ، هل من الممكن أن يكون مرض الطفل له علاقه بذلك الحلم العجيب ، ترتعد فرائصه عندما يتذكر أنه شاهده فى ذلك الحلم المفزع ، بل وشاهد بعينيه الشيخ وهو يحمله فى غرفة نومه ، لا بد من تفسير ذلك الأمر ، أيقظه من غفوته ، صوت (مديحة) الحاد

- إحنا لازم نروح لشيخ --- بيقولوا فيه شيخ كويس قريب من هنا --
- تعالى نروح له يمكن يعمل حاجة ، لم يجادلها كثيرًا" فلقد كان كالغريق الذى يبحث عن أى وسيلة نجاة ، وفى حاجةٍ ماسة إلى تفسير كل ما يحدث ، انطلقت السيارة ، حيث تصف مديحة ، إلى أن إقتربت كثيرًا" من بيت الشيخ العراف دخل محمد بك وأذهله ما رأى من كل هذا العدد من البشر الذين يبغون العلاج على يديه ، انتظر برهة ، ثم دخل بعد فاصل من الإستعطاف من جانب مديحة ، شيخ قد تجاوز الستين يجلس على أريكة تبدو عليه علامات الصلاح والقوه رغم عمره ، وأمامه عشرات من الزجاجات والكتب ، اقترب الرجل حاملًا" ابنه مُسّلِما" --- ليرد الرجل السلام ، كان الأبُ شاردًا" تمامًا" بسبب ذلك الحُلم العجيب ، هل يحكيه للشيخ أم يصمُت ، يبدو أنه قد جلب على نفسه الكثير من المشاكل ، استمع الشيخ إلى شكوى الأم وسط بكائها عن إبنها الذى أصابه الهُزال ، وهو على مشارف الموت --- لم يكن الشيخ يسمعها بقدر ماهو متابعٌ للأب الذى كانت لغة جسده تفضحه ، لقد كان محتاجًا" لتفسير ذلك الحلم البغيض لعله ينقذ ابنه من براثن الموت، لذلك حاول الشيخ استدراجه لشيءٍ ما .

- طيب فى حاجة مش طبيعية حصلت ، كادت الأم أن تنفى لكن الأب قال لها هامسًا"

- أخرجى أُريد أن أكَلِم الشيخ على انفراد ، حدجته بنظرة الأنثى الفضولية ، لكنه نظر اليها فى حزم ، فخرجت مِنَ الغرفة على مضض

- فيه حاجة حصلت فعلا" ؟ وبدا محمد بك يسرد القصة من بدايتها حتى النهاية ،

- الرساله واضحة يا استاذ محمد --- إبعد عن ذلك البيت فصاحبه لايريدك بداخله ، الموضوع كبير عليك ، يرد محمد بك فى غضب

- أنا بحكم واجبى لازم أعرف كل اللى بيحصل هناك ، وسر الآثار اللى هناك ، يرد عليه الرجل فى برود

- البيوت أسرار يابنى و الحلم بيقول المعرفة قصادها تمن تدفعه ، عارف ايه هو التمن ، يهز وكيل النيابة رأسه فى حيرة ، بينما يرد الشيخ فى قوة وحزم

- التمن هو ----- اللعنه ، و بالفعل هى بدأت بس إنت مش حاسس ، ومش هتقف إلا لما تبعد عن البيت ، كل الناس اللى شفتهم فى الحوادث الماضية ، حصلهم كده بسبب إنهم ما احترموش سر البيت ولا سر أصحابه ، علشان كده أصابتهم اللعنة يهز وكيل النيابة رأسه فى تفكير ،

- طيب و الأسود دى بتيجى منين ؟؟؟ يرد الرجل فى حكمة

- أنا معرفش ، الأسرار دى علمها عند ربنا ، لكن ---- دوا الولد إنك ما تفكرش فى الموضوع ده تانى ، يخرج محمد بك إلى مكتبه ، وهو مُثقَل الجفن من قِلة النوم ، دلف إلى المكتب وجلس يكتب تقريره النهائى عن القضية مُعلنًا" نهايتها ، يضغط الزر مُستدعيًا" الحارس ، الذى يلبى نداءه مُسرعًا" ، فيأمرة فى ملل

- إعملى قهوه يا ابنى ، يؤدى الجندى التحية ويخرج مسرعًا" ، بينما يضع محمد بك رأسه على المكتب فى تعب فيغشاه نعاس خفيف

يجد الشيخ مبتسمًا" حاملا" طفله ، واضعًا" فى فمه زجاجة تحوى سائلًا" بنى اللون ، سميك القوام تجرعه الطفل بنهم ، وتحول لونه الشاحب الذى مال إلى الإصفرار الكامل إلى لون وردى جميل ، إستيقظ مستبشرًا" ،على هاتف من زوجته ، ليجرى مسرعًا" إلى المنزل ، ليجد طفله (محمود) وهو يقف فى سريره مستندًا" وقد عادت إليها العافية من جديد --- يشعر بفرحة عارمة بينما لا تبدو مديحة كذلك فلقد سيطر عليها الذهول ، لدرجة أنه انتبه لذلك فسألها ،

- فيه –إيه مالك – الولد بقى كويس والحمدلله ، لكنها اقتربت من الولد وقلبت رسغه الأيمن ،طالبة منه أن يقترب

- تعالى بص كده ، كاد قلب (محمد بك السوهاجى) أن يتوقف عندما وجد طفله الرضيع محمود ، وعلى يده (وشم أسد قوى ينظر فى قوة)

***

(20)

الاسكندرية : عام 2000 – صباح عيد الفطر المبارك

تنطلق صافرة الطوارئ فى المستشفى لنداء طبيب الطوارئ، تجرى الممرضتان شريفه وليلى ، فى كل اتجاه ، لتجهيز الأجهزة والمعدات ، ليدخل بعدها طبيب الطوارئ (أمجد) مسرعًا" إلى إبراهيم المسجى على سريره ، وحوله تصفر الأجهزة صافرات الموت ،يرفع الطبيب قطبى جهاز الصدمات الكهربائية ، ومعه الفتاتان ،

- واحد، اتنين ،تلاته -----صدمة ،لينتفض بعدها جسد إبراهيم كشخص صدمته سيارة مسرعة ، يكرر الأمر مرة ثانية وثالثة ، يهز الطبيب رأسه فى يأس ، بينما تترقرق الدموع فى عيون فتيات التمريض ، كان إبراهيم مسافرًا" فى عوالم أخرى ، يرى شريط حياته يجرى أمامه ، بيت جده سيد العابد ،أبوه(خليل الدهل) وهو يحمله أمامه على الدراجة ، وأمه سميرة الحلوة بتسلطها وجمالها المستفز ، يرى الحضرة فى المندرة الكبيرة ويتعرف على رجالها واحدًا" واحدًا" وهم يختمون القرآن ، آخر خميس من كل شهر عربى ،يرى عربة عم منصور الحوذى وكرسيها العالى التى كان يرى من خلالها الدنيا ، يرى يوم وفاة والده و يوم العشاء فى فندق سيسل و بعدها خبر وفاة جده فى مكة ، يرى يوم زفاف أمه بعونى الشيطان ،وماتبعه

من جرائم وخراب فى الوكالة والمال ، لدرجة أنها لم تُبْقِ له شيئًا" ، يئُعينه على حياة كريمة ولم يكفها ذلك بل عادت اليه بعد أن طردوها من مستشفى الأمراض العقلية وتسببت فى موت إبنته ، يتذكر يوم السرقة ، وكيف أوسعه الرجال ضربًا"، كما يرى جده وهو يعلمه القرآن الكريم ، يرى قصر الأسد ويحلم أنه يدخل البيت ويصعد درجات السلم الخشبى ، ويدخل إلى غرفة نوم الشيخ ، يتجه إلى السرير ذى العمدان حيث يجد جلباب الشيخ المطرز من القصب مفرود الأكمام ، يجد يدًا" تُلبِسَهُ الجلباب فى سُرعةٍ خاطفة دون أن يميز ملامح صاحبها ، تسرى فى جسده قوة غريبة ، يشعر معها أنه يطير ويُفتح الباب المؤدى إلى الخلوة ، ليندفع إبراهيم بشكل تلقائى وكأن هناك قوة خفية تقوده ، يخرج من الغرفة ضوء أخضر رحيم ، مريح للعين والقلب ، يجد سجادة الصلاة مفرودة عند المحراب ، ومصحف الشيخ مفتوح عند آخر آية قرأها بسم الله الرحمن الرحيم (إن الله يُدافِعُ عن الذين آمنوا) صدق الله العظيم . يجد عم رجب واقفًا" مبتسمًا" يرفع السجادة ، ويشير إلى السرداب ، يهبط فى خوف ، لكن الرائحة الزكية والشموع الجميلة التى على الجانبين تغريه بالهبوط أكثر وأكثر ، إلى أن وصل إلى حائط أسود بازلتى الشكل ، كاد أن ييأس وعاد خطوتين إلى الخلف ، مُستندًا" إلى الحائط ، وإذا بشعاع نور أخضر يظهر من كوة جانبية ، فُتِحَت عندما لمسها بيديه ، ووجد نفسه بداخلها كانت غرفة سرية ، بجوار الحائط الأسود ، كان الضوء الأخضر

يغمرها ، لذا بدا كُلُ شيء فيها أخضر اللون كانت الغرفة تبدو كمرقد ولى من أولياء الله ، فسقف الغرفة يحوى زخارف قرآنية ،بسم الله الرحمن الرحيم (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) صدق الله العظيم ، نظر إلى البُرْدة الحَرِيرية المُعلقة ، فشعر براحة ، وفى أحد الأركان كان ينتظره صندوق بُنىّ اللون كبير الحجم ، عليه نقوش" تحكى قصة معركة تبدو حامية الوطيس ، انتبه إبراهيم أن هذا الصندوق هو تكملة الجزء الناقص من مجموعة الأريكة والكراسى التى بالبهو ، حاول أن يفتح الصندوق لكنه لم يستجب لمحاولاته ، وعندما أنهكه التعب ، جلس ليستريح بجوار الصندوق ويده تتلمس النقوش برهبة وإعجاب ،وفجأة !!!! إمتدت يدٌ بيضاء وقبضت على يده بقوة ، فانتفض جسده فى فزع ، إلا أنه استجمع شجاعته ورفع رأسه بصعوبة بالغة فى اتجاه صاحب اليد القوية ، لقد كان هو ---- جده الشيخ سيد العابد، لأول مرة تتلاقى روحيهما فى الملكوت ، لقد كان هو بهيئته المحببة ولحيته البيضاء وجلبابه الأنيق ناصع البياض المطرز بالقصب ، ورائحة المسك التى تفوح من جسده ، فينتشر أريجها فى المكان ، بل فى القصر كله . كان الشيخ يبتسم له فى حنان وعتاب والدموع تملأ عينيه ،

- إزيك يابرهومه ---- يناديه كما اعتاد فى الصغر ، يرد إبراهيم فى خجل

- جدى --- عرفتنى إزاى ، يبتسم الشيخ فى حكمة ويشير إلى قلبه (لقد رأيتك بقلبى) ، ثم يستطرد

- أنا زعلان منك قوى يا إبراهيم --- ليه وصلت لكده ، تسرق وترتكب الفواحش و تغيب عن الوعى وكمان تعلم ابنك السرقة – دا انت شريف إبن أشراف ، فين القرآن اللى حفظته، فين العلم والأدب --- الفقر مش مُبَرِّر ، يبكى إبراهيم بحرقة

- أنا ضيعت يا جدى بعد موتك ، ورجب هرب من عونى الشيطان وسابنى ، أنا اتهدلت فى الدنيا علشان أعيش ، وأمى ضيعتنى بطمعها ،و بعدين اتجنِنِت وقتلت بنتى --- يصمت إبراهيم وتأخذه سِنةٌ من بُكاءٍ مرير ، يهدأ بعدها ويُكمِل --- نفسيتى تعبت واتفصلت من شغلى ، وضعت فى الشوارع مع ناس شبه الحيوانات --- كان لازم أسرق علشان أعيش ، وأشرب علشان ما أفتكرش أى حاجة ، خلاص ياجدى ما عادش ينفع --- أنا انتهيت خلاص ، لكن الشيخ يرد

- لا يا ابنى --- لسه رسالتك ما خلصتش ، إنت القائد الجديد –إنت الهصور يا إبراهيم ، إندهش إبراهيم لذلك الإسم (الهصور) الذى لم يكن سمعه من قبل ، لكن الشيخ يستطرد--- استعد لحمل

المسئولية ، ينظر إليه بقوة ويضغط على صدره ضغطة رهيبة ، تألم لها إبراهيم ، وهو يقول له

- خلاص مفيش ضياع تانى ، يأمرة بأن يفتح الصندوق ، فيرد إبراهيم

- حاولت أفتحه وما عرفتش ، يشير الشيخ إلى البردة المُعلّقه على الحائط ، ويأمرة برفعها ، فيرفعها لتكشف عن حائط أصفر به حجر كبير أخضر اللون بارز إلى الخارج قليلًا"، يأمره بوضع كلتا يديه على الحائط ، ويتلو نفس الآية الموجودة فى سقف الغرفة ، يبدأ إبراهيم فى التلاوة بسم الله الرحمن الرحيم (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) صدق الله العظيم ، يخرج الحجر الأخضر تدريجيًا" إلى أن تظهر خلفه كوة بها حلقة مفاتيح نحاسية ضخمة ، بها ثلاث مفاتيح كبيرة من النحاس الأحمر ،تُشبه مفاتيح المدن القديمة ، يأمر الشيخ إبراهيم بفتح الصندوق ، وبيدٍ مُرتعشه يجرب الثلاثة مفاتيح حتى يستجيب الصندوق لأحدهم ويفتح ، يرفع إبراهيم غطاء الصندوق الكبير ، ليجد سيفًا" بتارًا" لم يتمكن إبراهيم من حمله فى البداية من فرط ثقله – فنظر إلى الشيخ الذى ابتسم له مشجعًا" ، ثم وجد درعًا" لامعًا" يتوسطه أسد كبير الحجم ، وسترة

جلدية ثقيلة مرسوم عليها نفس الأسد ، كما وجد لواء" أخضر كبير مكتوب عليه جيش الملك الهصور ، وكتابًا" ضخمًا" ---- يفتحه إبراهيم وينظر إلى الشيخ الذى يوصيه

- هاتنفذ اللى موجود فى الكتاب بالحرف الواحد --- فَيومئُ برأسه مَوافقًا" . يقترب الشيخ من إبراهيم ويناوله قارورة بها سائل بُنّىُ اللون سميك القوام

إشرب يا برهومه --- سمى الله و إشرب علشان ترتاح ، يتناول إبراهيم الدورق بيدٍ واهنة ويرفعه إلى فمه ويسمى الله يأخذ أول رشفة من ذلك السائل البنى غليظ القوام الذى لم يّتذوق أحلى من طعمه قط ، فهو مزيجُ من كل فواكه الدُنيا يحتضنها عسلٌ رقيق الملمس ، ترك إبراهيم السائل ينساب فى حلقه وهو يشعر براحة لم يشعر بها قط ، يتمتم الشيخ بالكثير من الأدعية والأذكار وهو يضع يده فوق رأسه ، يستمر إبراهيم فى الشرب دون توقف ومع كل قطرة يشعر أن عافيته تعود ، وروحه تُغْسَل وهمومه تتلاشى رويدًا"رويدًا ، ينتهى إبراهيم من الشرب فيأمره الشيخ بالإستغفار ثلاثًا" ، تظهر خلف الصندوق ، عين مياه صافية ، لم يكن إبراهيم قد لاحظها من قبل ، يأمر الشيخ إبراهيم بالنزول ، فينزل إلى العين ، ذات المياه الدافئة ، التى تغلغلت فى كل ذرات جسده ، وجعلته يشعر بالتعافى التام ،وكأنه يُولَدُ مِنْ جَديدْ ، يخرج إبراهيم من العين ، فيلبسه الشيخ ملابس تبدو لقائد عسكرى ، ثم أعطاه السيف والدرع وألبسه سُترةَ الهصور ،

- أنت الآن القائد الجديد ، نفذ كل ما هو موجود بالكتاب ، كُنْ رحيمًا" وودودًا" ، كُنْ خدومًا" ، كُنْ ذَليلًا" لربك ، كُنْ كالأسد ،ولا تضعف ، ثم يشير بسيفه على ذلك الحائط الأسود الموجود فى نهاية السرداب

- خلف ذلك الحائط الأسود يوجد عدونا --- (ميطرون) وأبناءه وأحفاده – احفظ ذلك الاسم جيدًا" – لقد هزمنى منذ أربعين عامًا" ، خُد بثأرى وثأر أبيك وثأرنا كُلنا ---خلى بالك يا إبراهيم --- ماينفعش يهزمك المرة دى -- لازم تستعد كويس ولما تكون جاهز ، هتعرف تعدى من هنا ، وتهزمه ، يشعر إبراهيم بخوف فيطلب العون من جده

- إزاى هحاربه لوحدى --- عاوزك معايا تساعدنى ، يبتسم الشيخ فى حُنو ويقول له

- ساعد نفسك الأول – وبعدين كلنا هانساعدك ، قالها وهو يجمع قبضته كملاكم يهم بطرح خصمه أرضًا" بالضربة القاضية

- إصحى يا إبراهيم ، يضربه الشيخ بكل قوته فى صدره فينتفض إبراهيم ، يكررها الشيخ مرة أخرى

- إصحى يا إبراهيم ، يشعر إبراهيم بقوة جسده رغم ألم الضربة ، لكن الشيخ يعاجله بالثالثة

- إصحى يا إبراهيم ، تصعقه الضربة فيزأر كأسد غاضب ، ويفتح عينيه على وجه الدكتور أمجد طبيب الطوارئ وهو يصعقه بجهاز الصدمات --- ويصرخ

- (إصحى يا إبراهيم) ، ينظر إبراهيم إلى الجميع و ينظر إلى الطبيب ، لم يفهم إبراهيم مصدر الصدمة الرابعة ، هل كانت من صاعق طبيب الطوارئ ، أم من قبضة جده الشيخ فى الحلم ، هل كان حَلمًا" ؟؟!! كيف وطَعْم الشراب الحُلو لايزال فى فمه ، ، وماء العين لازالت تَقْطَرُ مِنْ جسده ،إنه يشعر بالعافيه تَدْبُ فى جسدهِ وروحهِ التى صارت قوية ، لا أثر فيها للحزن والإنكسار ، ،يُخرجه من ذهوله ، وجه الدكتور أمجد اللطيف مازحًا" فى مَرح من أدى عَمله وأَثبتَ كفاءتهُ العلمية

- حمد لله على السلامة يا عم --- إنت كُنْتْ فين ، ينظر الطبيب و طاقم الطوارئ إليه فى ذهول إنها مُعجزة ، لقد كان الطبيب على وشك إعلان وفاته بعد الصدمة الكهربائية الرابعة ، لكن الحقيقه تقول أن الرجل قد عادَ إلى الحَياة من جديد

***

(21)

انطلقت الزغاريد من خارج قسم العناية المركزة من توحه زوجة إبراهيم وزميلاتها وبعض أهالى الحارة ، عندما علموا بإفاقة إبراهيم من الغيبوبة ، دخلت توحه مسرعة إلى غرفة العناية ، حيث شاهدت إبراهيم لأول مرة مُنذ شَهْرٍ ، وهو مُستَند إلى سريره ،مفتوح العينين ، يُحْملِقُ فى الجميع بطريقة غريبة وكأنه يحلم ، بينما الدكتور أمجد ينزع عنه الأسلاك والأنابيب إيذانًا" بزوال الخطر عنه ، وتَمهيدًا" لنقله إلى إحدى الغرف العادية ، انتظرت فى صبر حتى انتهى الطبيب وانصرف ،آذِنًا" له بالخروج مِنْ تِلْكَ الغرفة البغيضة . تجرى تحيه فى سعادة و تَحْتَضِنه بِحرصٍ شديد

- حمد الله على السلامه ياخويا – تنطقها بفرحةٍ عارمة ، فَيَرُدْ عليها بصوتٍ واهن لا يكاد يُسْمَعْ

- الله يسلمك ، تضع يدها على وجهه مُلاطِفة

- والله لاعمل ليله – وهادبح خروف لله حلاوة قومتك بالسلامة ،يرد مرة أُخرى بصوته الضعيف

- مُتْشَكر يا توحه ---- تعبتك معايا ، وفى تلك الأثناء يقترب (على) و (بندارى) تُمرجيا عنبر (أ) قلب ، من سرير إبراهيم ، وهما يجُران ترولى كانَ أبيضًا" عندما دخل الخدمه أيام الاحتلال البريطانى ،

لكنه الآن يميل إلى اللون البنى لكثرة ما به من صدأ وأشياء علقت به على مر السنين ، انتهى الرجلان من نقل إبراهيم إلى الترولى دون إصابته بمضاعفات ،فلقد كانت طريقة نقلهما له كفيلة بإعادته إلى الغيبوبة مرة أُخرى لكن زوجته وقفت لهما بالمرصاد ، وعنفتهم أكثر من مرة ، إلى أن تحركوا به عبر طرقات المستشفى التى كانت تئن من قعقعات صوت الترولى العتيق الذى وصل بسلامة الله إلى عنبر (أ) ، حيث استقر إبراهيم هناك ، وتمدد على سريره ، بينما وضعت تحيه متعلقاته على الخوان المجاور للسرير ، لأول مرة منذ سنوات يشعر بتلك الراحة الغامضة ، التى لا يعرف مصدرها ، على الرغم من أن الظروف المحيطةُ به كما هى ، لم يتغير منها شىء ، إلا أنه يشعر بالراحةِ على أيةِ حال ، أخذ نفسًا" عميقًا" فى سلام ، نفسى لا يعرف قيمته سوى رجلٌ كان على حافة الموت ، تُحضر تحيه له كوب ينسون قد طلبه ، فيشكرها

- الحمدلله الحمدلله ---- بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم رفع الكوب إلى فمه وارتشف رشفة" قوية ، لم تصدق تحيه ما تسمع ، فتطمئن عليه

- إنت كويس يا خويا؟؟ ، يرد عليها فى وداعة

- الحمدلله رب العالمين ، أنا كويس بفضل الله ، أنا كنت فين وبقيت فين – كله بفضله ، تزداد حيرتها ، فتلك المصطلحات الإيمانية ، هجرت

زوجها اللص البلطجى ، مُنْذُ أمْدٍ بعيد . كانت تحيه تنظر لزوجها فى بلاهة وحيرة غير مصدقة لما يحدث ، ليس لأن زوجها ، أفاق من غيبوبته مهذبًا" ورقيقًا" ويذكر الله كثيرًا" ، لكنها لاحظت تغيرات كثيرة لم تتمكن من تفسيرها ، فلقد زاد وزنه ، وهذا مستحيل بالنسبة لشخص يعيش على المحاليل منذ شهرٍ ولم يتذوق طعامًا" من مدة طويلة ، كما أن الجروح والندبات التى بوجهه من أثر المطاوى والسنج ، قد اختفت تمامًا" وعاد رائق الوجه ، نفس الوجه الذى أحبته وارتبطت به منذ سنواتٍ طويلة ،

- أنا هاروح البيت أجيبلك غيارات وأكله حلوة وأرجعلك كمان شوية ، ينظر إليها فى وداعة

- كريم ازيه وسيد الصغير – عاملين إيه ؟؟؟؟ وحشونى قوى ، تترقرق الدُموع فى عينيه ، فَتُرِبت على يديه فى حنان

- كويسين يا خويا ، الحمدلله --- كريم كان بييجى يبص عليك وبعدين يروح معيط -- هايفرح قوى لما يعرف إنك ُفقت---النهارده عيد كُل سنه وانت طيب وديتهم عند أُمى يلعبوا مع ولاد خالتهم ، تدخل عليهم ممرضة العنبر

- حمدلله على السلامة يا عم إبراهيم – بركه إنه قاملك بالسلامة يا أبله توحه ، ترد تحيه عليها بود ، وهى تلاحظ الحقنة التى بيدها فتعرف أنها جاءت لتعطيه حقنة بناءًا" على تعليمات الطبيب ، فتبادرها هى وتأخذ الحقنة من يدها

- كتر خيرك يا عيشه ، هاديهاله أنا بدالك ، تبتسم عائشة فى ارتياح وتتركهم قائلة

- كل سنه وانتم طيبين --- وحمد لله على السلامة ، تُشمر تحيه ساعد إبراهيم وتُعِد الحقنة فى احترافية لتعطيها له فى الوريد ، وتطلب من إبراهيم أن يمد يده فيستجيب ، --- لكنها قبل أن تغرس سن الإبرة ، تشهق فى فزع وترتعد

- ايه ده بسم الله الرحمن الرحيم !!!!!! ، إنت مش إبراهيم جوزى ، قالتها فى فزع وهى جاحظة العينين ، ثم تراجعت عن إعطاءه الحقنة ، فى ذهول عندما رأته !!!! وشم رهيب متوسط الحجم لأسد قوى ينظر شذرًا" ، الوشم مرسوم بدقة متناهية فوق أوردة ذراعه الأيمن ، وكأنه يسير مع العروق ، لم يكن يُشبه تِلك الوشوم التى يرْسمها الفقراء فى الموالد ، ولا تلك التى يحفرها المساجين على يديهم بالأدوات البدائية ، كان يبدو مختومًا" وبارزًا" وكأنه سيخرج من اليد لهاجمك ،

- قول لى إنت مين --- إنت مش إبراهيم ، يَرد إبراهيم فى وهن

- لأ أنا إبراهيم ، لكنها تعاجله بعصبية

- إنت لغاية إمبارح -- ماكانش الرسم ده على إيدك !!!! طيب جه منين ؟؟؟ ، يصمت إبراهيم ولايرد ، هو نفسه لا يعرف من أين أتى ذلك الوشم --- ولماذا هذا الأسد بالتحديد ، يتذكر الحلم -- بالتأكيد له

علاقه بذلك الحلم العجيب ، هل كان حُلمًا" وهو يشعر بكل شيء بطعم الشراب الحلو ، وبسخونة ماء العين التى غسلته ، وألم الضربات فى صدره و الآن --- ذلك الوشم العجيب ، ما هذا ؟؟!! -- هل جُنْ ؟؟ وهل جُنت زوجته أيضًا" إنها تراه بوضوح ، لكنه يرد عليها بهدوء

- أنا ما أعرفش جه منين ، أنا لسه فايق دلوقتى ؟؟ لكن عندما يتملك شيطان الفضول من زوجتك المصريه فأنت هالكٌ لا محالة

والنتيجه أن بركان الأسئلة قد انفجر فى وجه المسكين

- طيب ووزنك اللى زاد ، على الرغم من إنك بقالك شهر بتتغذى على المحاليل وده مستحيل – أنا ممرضه وعارفه ، وكمان الجروح اللى كانت فى وشك اختفت!! ، ده حتى سنانك البايظه من الكيف ، رجعت بيضه وزى الفل !!! – كل ده حصل إزاى -- يرد إبراهيم عليها بصدق مشيرًا" بإصبعه إلى السماء

- أنا زيك – مش فاهم حاجة -- لكن العلم عند الله وكل شيء له ميعاد ، بدت تحيه غير مقتنعة لكنه بدا يحاول استمالتها بعتابٍ مصطنع ، حتى لا تُفسد كل شيء

- كده يا أم كريم --- تنسى برهومه حبيبك ، أفكرك بمدرسة التمريض ، والكورنيش بالليل ، وسينما مترو ، أفكرك بإيه تانى (قام بتذكيرها

ببعض التفاصيل الزوجيه التى تتذكرها جيدًا) ، تبتسم بعدها ، لكن وجهه سُرعان ما تغير وغلبته الدُموع

- أفكرك ببنتنا (نجوى) --- ولا كفاية ، يصمتان تمامًا" ويشتركان فى نوبة بكاء حزينة ، لكنها تقتنع رغم غرابة الموقف ، وتخرج لتأتى بالأبناء وبالطعام ، لكنه يسألها

- إدينى المصحف ، يعرف أنه فى حقيبتها باستمرار ، تُعطيه له وهى فى حالة ذهول ، لكنه يُطمئنها مُرْبّتًا" على كتفها ،

- كُل اللى أنا متأكد منه ، إن إبراهيم بتاع زمان --- مات خلاص

تدخل تحيه حارة الصيادين ، فيقابلها الناس بترحاب

- ازيك يا أ م كريم ، ترد فى ود وإن كانت تبدو شاردة الذهن ، كانت مشاعرها تختلط ما بين الفرحة بنجاة إبراهيم وبين الدهشه من التغيرات التى طرأت عليه ، لم تقتنع بكلامه كثيرًا" لكنها كعادتها ، استسلمت ، كما استسلمت لضياعه من قبل ، ولم تُعْقِبْ ،وبررت لنفسها بأنه وعدها بأن تتغير حياته ، تتحدث إلى نفسها

- مين عارف؟! – يمكن حاله ينصلح!

اعترض طريقها(حنفى)الحلاق ، أحد أصدقاء إبراهيم فى (قعدة) الحشيش

- كُل سنه وانتى طيبه يا أُمْ كَرْيم --- طمنينى-- إبراهيم عامل ايه النهارده ، ولأول مرة ترسم ابتسامة مُصْطَنعة على وجهها وتتظاهر بالفرحة

-الحمد لله ياسطى حنفى --- دا فاق النهارده ، هاج حنفى فى الشارع فرحًا"

- الله أكبر – اللهم صلى على النبى ، ينادى على صبيه

-يا (دوكها) -- روح هات عشر قزايز شربات من عند عمك (بيسو) وفرق على الناس كلها حلاوة شفا عمك إبراهيم ، انطلقت الزغاريد والتهانى من كل أنحاء الحارة ، وقام (خميس) الكهربائى بوضع فرع نور على حسابه على منزل إبراهيم

تحول العيد إلى فرح حقيقى فى الحارة ، أُطْلِقت فيه الألعاب النارية والصورايخ وابتهج الناس ، يسألها أبو أشرف

- هو خارج إمتى باذن الله ، فَتجيبه

- الدكتور كتب له على خروج بكره الضهر إن شاء الله ، يقف أبو أشرف فى الحارة معلنًا"

- يا رجاله عاوزين نعملوا (زفة) بُكْره لإبراهيم ما حصلتش قبل كده - - وأنا هاروح أخدوا بالعربية ، يؤمن الرجال على ذلك ، فتعزمهم تحيه

-وإن شاء الله نعمل ليله هنا تالت يوم العيد للحبايب كلها --- يُهلل الجميع ، بينما تدخل إلى المنزل ، لتُعْد الطعام لإبراهيم

تهمك فى إعداد فرخة مسلوقه و أرز وفاكهة ،ثم تستحم وتلبس ملابس جديدة وتتزين فى سعادة ، بدت أكثر جمالًا" وحياة ، على الأقل لقد نجت من لقب (أرملة) ،أنهت كل الإعدادات وحملت الطعام فى حقيبة رياضية برتقالية اللون ، وأعدت له أيضًا" ملابس جديدة ، واصطحبت الأولاد من عند جدتهم ، وانطلقت إلى المستشفى

فى تمام الساعة السابعة مساءًا" من نفس اليوم - المستشفى الميرى عنبر(أ)

تدخل أُسرة إبراهيم الصغيرة عليه ، يجرى كريم ابن الثالثة عشر على أبيه ويرتمى على صدره فيتأوه إبراهيم من أثر الضربًات التى على صدره ، لكنه يشعر بحضن إبنه فتنهمر الدموع من عينيه ، ثم يلتقط الصغير سيد ، ويحتضنه فى شغف – بينما تبكى توحه فى تأثر

- وحشتنى يا (هيمه) – يقولها(كريم) فى تعود من صادق أبوه وصار شريكه فى السرقة ، لكن إبراهيم ينظر له نظرة أب قائلًا" بصوتٍ واهن

- بابا يا كريم --- إسمى بابا ، ينظر له بحزم فيتوقف كريم عن المشاغبة ويقول له

- حاضر يا بابا ، يتأمل الولد وجه أبيه مُندَهِشًا" ، لقد لاحظ التغيرات التى طرأت على والده لكنه كان سعيدًا بعودته إلى الحياة ، ينظر إبراهيم إلى أسرته بِحُبْ مُخْتَلِطْ بالشفقة والاعتذار ، عما سببه لهم من ألم ٍوإهانات يخاطب ابنه الكبير بينما تجلس تحيه واضعة سيد الصغير فى حجرها وهى تطعمه

- سامحنى يا كريم --- أنا بهدلتك قوى يا بنى – معلش سامحنى ، ينظر بدوره إلى تحيه الباكية

- سامحينى يا توحه – أنا خلاص مش هازعلكم تانى وتنزل دموعه فيُقبلِه (كريم) على رأسه

- ربنا يخليك لينا يا ابويا ، تستمر تحيه فى البكاء حُزنًا" وتتذكر السنوات الأخيرة معه ، ضرب ،إهانات ، سرقة مصوغاتها ، حتى ، أنبوبة البوتاجاز ، لم تنجو منه لكى يُغْطّى تكاليف إدمانه ، وانتهت بامتهانه مهنة السرقة ،ومحاولته تدريب ابنه الكبير (كريم) للعمل معه ، ولولا ستر الله لكان هو فى السجن وكريم فى الإصلاحية ، لكن من يدرى لعل الله يُصْلح حاله بعد تجربة الغيبوبة الأليمة ، ومُنْذُ سنواتٍ طويلة ، لم تقض هذه الأسرة التعيسة ، ليلة رحيمة ودافئة مثل التى قضتها بالمستشفى بعد نجاة الأب ، أكلوا وضحكوا وتحدثوا كثيرًا" ، كانت تحيه سعيدة بذلك الشخص الجديد، لقد صار ،

صبورًا" ، هادئ الطباع ، حُلْو المعْشَرْ ، لدرجة أنها حمدت ربَها على تِلك الغيبوبه التى أعادته إنسانًا"آخر ، لَم تُفكِرْ أن تسألهُ عن الوشم مرة أُخرى ،لكن كريم سأله فى

فى براءة ، وأجاب هو بعبارات مقتضبة وغير مفهومة ، كمن يَتَهَرّبْ من إجابة السؤال

إنتهت الزياره ، وودعت الأسرة مريضها فى أمل ، بينما ودعهم هو وداعًا" حارًا" يليق بشخص يستعد لرحلة طويلة ،لا يعرف تحديدًا" متى سيعود منها

اليوم التالى –ثانى أيام العيد - المستشفى الميرى – ظهرًا"

تدخل تحيه إلى المستشفى ومعها حنفى الحلاق وخميس الكهربائى وأبو أشرف الذى أتى بالتاكسى لتوصيل إبراهيم وكذلك صديقتها أم أشرف ، اتجه الموكب السعيد عبر الممر إلى عنبر (أ) ، مصحوبين بسيمفونية زغاريد من أُمْ أشرف وبعض سيدات الحارة ، دخل الوفد رفيع المستوى إلى العنبر ، واتجهوا إلى سرير إبراهيم --- لكنهم وجدوا السرير يرقد عليه شخص آخر ، أذهلت المفاجأة الجميع ، بينما استندت تحيه على إحدى جاراتها من هول الصدمة

- إيه ده ؟؟ !! هوّ راح فين ؟ قالتها بكثير من الإستنكار وخيبة الأمل ، عندما لمحت نظرات الشك فى عيون الجيران ، تتركهم وتهرول إلى (

بسمه) ممرضة العنبر المناوبة والتى حلت محل عائشة بالأمس ، تهزها بفزع

- فين جوزى يا بسمه ، تفزع بسمه لثوانى ، وترد عليها مطمئنة

- إتطمنى يا أبله ، هو كويس بس --- خرج الصبح ، ترد عليها بهستيريا

- خرج راح فين ؟؟ تُدافع الفتاة المسكينه عن نفسها ، فتتراجع خطوتين إلى الوراء ، وتجيب بصوتٍ مُرْتَعِشْ

- والله ما أعرف --- الدكتور (سمير) كتبله على خروج الساعة تسعه الصبح -- وبعد شويه اختفى ، تجلس تحيه على إحدى درجات السلم وتبكى ، بينما باقى الجيران يواسونها ،

- ياستى يمكن هوا روح من هنا واحنا جينا من هنا ، أكيد هانروح نلاقيه فى الحاره ، لكن قلبها يُحدِثها بعدما تذكرت كلماته ليلة أمس

- لا - إبراهيم إختفى - ومِش هايرجع تانى ، يقترب منها (عم)إسماعيل رجل الأمن مناديًا"

- ياست تحيه ،تُكَفْكِفْ دُمُوعها وتلتفت له ، فَيُخرِج من جيبه مظروفًا" أبيض مُتَوسِط الحجم ، ويعطيه لها قائلًا"

- الأستاذ جوزك خرج الصبح وسابلك الجواب ده ، تبتعد قليلًا" لتحظى بخصوصية ، وتفتح الخطاب ، وسط عشرة أزواج من العيون الفضولية التى تريد أن تعرف سِر هذا الإختفاء المُفاجئ . تجد

ورقة صغيرة مطوية وبجوارها خمسة ورقات نقدية من فئة المائة جنيه ، تَدِسْ المبلغ فى جيبها بسرعة ، وتفتح الورقه بيدٍ مُرتعشة وتقرأها

- (معلش --- ما قدرتش آجى معاكى الحارة – ولا أدخل الشارع ، لسه الوقت ما آنش--- ، ده مبلغ دبرى أمورك منه ، لغاية ماربنا يرزقنى وابعتلك تانى

تحيه -- كل اللى أنا طالبه منك --- إنى تستحملينى الفترة اللى جاية – زى ما استحملتينى زمان –لكن المرة دى مش هاتندمى وأوعدك إنى ما أعملش حاجة غلط ، سلمى لى على الأولاد وقولى لهم إن أبوكوا هايشرفكوا)

زوجك المُخْلص

إبراهيم خليل العابد

تنتهى رسالة إبراهيم ، تاركة وراءها آلاف الأسئلة التى تهوى كمطارق الحداد ، فوق سندان واحد ، وهو رأس تحيه

***

obeikandl.com

(22)

نفس اليوم - صباح ثانى أيام عيد الفطر

يجلس رجل خمسينى ،فى الميكروباص المتجه إلى محطة الرمل ، وهو يرتدى جلبابًا" نظيفًا" وحذاءًا" لامعًا"، نبتت له لحية أنيقة ، بدأت تزورها بعض الشعيرات البيضاء للإستكشاف ، إيذانًا" بدخول الآلاف منها حتى نهاية العمر ، كان الرجل قوى الجسد معافى ، تلاحظ ذلك من بشرته البيضاء المُشربة بالحُمرة ، وعلى ذراعه اليُمنى عند منطقة شرايين اليد ، دُق وشْم لأسدٍ قوى ينظر فى شراسة . كان الصباح هادئًا" فى اليوم الثانى من العيد والسيارة هادئة ، لا تسمع فيها سوى الأصوات التقليدية التى تخرج من المذياع ، تحمل تهانى وأُغنيات العيد وبعض المقاطع الفكاهية ، كان الرجل يجلس بجوار الشباك شاردًا" واضعًا" فوق رُكْبَتيه حقيبة بُرتقاليةَ اللون ، ونظرات الألم تُطْل من عينيه ، وهو يتأمل الشوارع والناس ، يّشْعر أنه ماتَ مائة عام كنبى الله (العُزير) ،بل هو كذلك بالفعل ، فلا فرق بين غيبوبة شهر وغيبوبة مائة عام ، ولافرق بين غيبوبته فى العناية المُركزة وغيبوبة هؤلاء المساكين الذين يجلسون فى الميكروباص مفتوحى العينين ، لكن عقولهم فى أماكن أخرى ،

- ليه عملت فى نفسك كده ، كُنت هاتموت بالشكل ده -- زى أى كلب جربان فى خرابة ، كانوا هيفرحوا قوى لو كنت مُت ، عندهم حق ، ما الناس ماشافتش مُنك حاجة حلوة ، وانت مين ----- وجدك ميين --- ويخرج منديلًا" ، يمسح دموعه فى هدوء كى لا يلفت الأنظار ويكمل حواره مع نفسه

- إزاى لواحد زيك وفى قيمتك وشرفك ، يضيع فى السكك ويمشى زى كلاب السكك ، الحوجه والظروف والبنت اللى ضاعت ، مش هى دى الشماعة اللى كُنت بتعلق عليها فشلك ؟؟ ، كلام بتقوله علشان تغطى بيه على ضعفك وعلى إدمانك --- يُكْفكِفْ دُمُوعه فى إصرار

لكن خلاص ، تنهمر الدموع بغزارة لتغسل قلبه وروحه ، يُغمضُ عينيه فى وهن ويستيقظ على صوت السائق

- اللى نازل باب شرقى ، فينتبه وينزل ،عابرًا" الشارع إلى الجهة الأخرى ، مُتجهًا" إلى القصر ، لفحته نسمة هواء باردة ،صدمت رئته التى اعتادت على أكسجين غرفة العناية المركزة ، فانتابته نوبة سعال شديدة ، وكأنها تطرد ذلك الأكسجين الصناعى وتطرد هواء الحشيش الذى ظل يُدخنه سنواتٍ طويلة لتستقبل مكانه ، نسمات الحياة الحقيقية ،شَعُر بَرغبة أقوى فى الحياة ، اقترب من القصر ، لم يتغير كثيرًا" ، ، ، كان آذان الظهر قد ملأ الأرجاء ، فدخل دون تفكير إلى المسجد الملاصق من القصر ، إنتابته القشعريرة وهو يتذكر جده الذى كان يُصلى فى هذا المسجد ، وبعد أن فرغ من صلاته ،

تناول مصحفًا" وجلس يتلو ما تيسر من القرآن ، خرج من المسجد ، وسار بمحاذاة السور ، حيث يقبع القصر شاهدًا" على ما مر به من أحداثٍ وأشخاص ، فَنى الجميع وبقى الحجر ، وكم من قصورٍ بقيت لتشهد فناء أصحابها الذين شيدوها ليخلدوا أو إعتقدوا ذلك على الأقل– وإلا لماذا شيدوها ؟--- ياه!! إنه القصر المنيع ، أو الحصن كما كان جده يقول ، كم أشتاق إليه وأشتاق لياليه الدافئة الحانية ، أيام الخير الذى لم يكن ينقطع أبدًا" ،إنه شامخ كأسدٍ عجوز صامد ، لكن كيف سيدخل القصر ،وهو لا يعرف طريقًا" لمفتاحه ،

- مستحيل لازم أدخله بأى تمن حتى ولو كان التمن حياتى ، لازم أنفذ الوصية – وأكون قد الأمانة ، لم يكن القصر عصيًا" على إبراهيم الذى صار لصًا" مُحْترفا" فى الآونة الأخيرة ، درس إبراهيم نقاط الضعف فى القصر لاحظ أن مأذنة المسجد قريبة من مبنى الخدم ، وأنها تصلح (منطًا") جيدًا" دون أن يلاحظه أحد ، وبالتالى فقد وضع خطة لاقتحامه بعد صلاة العشاء ، حيثُ تكون تلك المنطقة فى غاية الهدوء وتخف الحركة فى الشارع تدريجيًا" ، عاد إبراهيم يتجول فى الشوارع بنفس سعيده يشوبها بعض التوتر ،خشية أن ينكشف أمره وتتعقد الأمور ، خاصة" أنه لا يملك أى شىء يفيد ملكيته ، أو ملكية أهله للقصر ، وبدون ورق سوف تتعامل معه الحكومة على أنه لص ، كما أن كل من دخل القصر عنوة ، قد تعرض للعنة ، لكن الشيخ دعاه لدخول القصر ، كما أنه المالك الشرعى للقصر بعد وفاة

الشيخ ، لابد أن المفاتيح والأوراق فى تلك الغرفة السرية التى زارها فى الحلم ، قضى وقتًا" ممتعًا" فى التجول ، ونال منه الجوع مبلغه ، كان ما تبقى معه مبلغًا" لم يتعدى الجنيهات الخمس ، لكنها تكفى تبعًا" للنظرية الشهيرة (محدش فى مصر بيبات من غير عشا) ، التى لا أحد يعرف من وضعها والتى تفوقت على نظريات أرشميدس وفيثاغورث .وفى النهاية لم ينم إبراهيم دون عشاء بالفعل فلقد تناول عشاءه الملوكى من سندويتشات الفول والفلافل من مطعم (جاد) الشهير ، جلس يتناول عشاءه الفاخر ، فى أجمل بقعة من كورنيش الاسكندرية ، كورنيش محطة الرمل ، أمام فندق سيسل ، لقد فجرت تلك المنطقه سيلًا" من الذكريات فى قلبه وعقله ، يتذكر ذلك العشاء الأخير مع جده فى الفندق ،وكأنه كان بالأمس ، كان يتذكر كل التفاصيل حتى أسماء العاملين فى المطعم ، لقد كان يذكر كُل شىء

انطلق آذان العشاء من المساجد القريبة ، فعلم أن اللحظة الحاسمة قد حانت وعليه الآن أن يُنحى ذكرياته وحنينه للماضى جانبًا" ، لأن عليه مسئولية تجاه الحاضر والمستقبل ، انطلق إلى المسجد المُلاصق للقصر ، وصلى العشاء وختم صلاته وانتظر حتى أوشك المسجد أن يغلق بابه ، فاختفى قليلًا" عن عين الحارس ، وصعد سلم المئذنة واختبأ هناك ، حتى تأكد من دخول خادم المسجد إلى غرفته ، وأن المسجد قد أغلق أبوابه . صعد إلى المئذنة فى حذر ، ونظر إلى المنطقة فى خبرة ، ثم رأى مبنى الخدم ، كانت المئذنة تعلوه بثلاثة أمتار ، كان عليه أن يقفزها ، استدعى روح الشقى التى

بداخله ، وفى ثوانٍ معدودة ، ألقى بحقبيته البرتقالية ، ثم خلع جلبابه وألقاه ليقفز خفيفًا" ، ثم تدلى فى الهواء ،ممسكًا" بحافة المئذنة ، وتأرجح قليلًا" وترك يده ، ليسقط فى خفة القط مسافة الثلاث أمتار ، لكن سقطته أحدثت صوتًا" ، نتيجة للارتفاع الشاهق ، تداركها هو سريعًا" وجمع مقتنياته ، وحمل حقيبته، فى خوف ، سار بحذر على سطح مبنى الخدم ، وهبط السلم حتى وجد نفسه بين الغرف ، ، لا حظ أن المبنى نظيف من الداخل ، فاندهش لأنه يعلم أن المبنى مهجور منذ سنواتٍ طويلة ، وتوقع أن يخوض مهمته وسط ، عدد هائل من الحشرات والزواحف والقوارض ، لكنه على العكس وجد كل شىء نظيفًا" . بدأ فى الصعود إلى السلم الخشبى القديم المُفضى إلى الدور العلوى حيث غُرَف النوم ،و الخلوة التى كان يقضى الشيخ بها معظم وقته ، لكنه مع ثانى خطوة فوق الدرج الخشبى ، جاءته ضربة قويه فوق رأسه لم يشعر بعدها بشىء وعندما استيقظ وجد نفسه مقيدًا" ووجه أسمر جميل يعرفه جيدًا" يسبه

- بتعمل إيه هنا يا حرامى يا ابن الكلب، نظر له فى وهن محاولًا" الدفاع عن نفسه ،هذا الوجه الأسمر الجميل يعرفه جيدًا" ،لكن كيف صغر سنه وصار قويًا" هكذا ،

- عم رجب ، إنت مش عارفنى --- أنا إبراهيم حفيد الشيخ سيد العابد– أنا برهومه مش فاكرنى ، أنا حفيد الشيخ سيد صاحب القصر ،

يندهش الرجل الأسمر كثيرًا" ويظهر التأثر عليه ، لقد ذكره إبراهيم بكل شيء ، فرد عليه فى فرحة واندهاش

- عم رجب !! عم رجب يبقى أبويا رحمة الله عليه -- أنا (أمين) ، ينظر أمين إلى اللص فى ريبة ليتأكد ،

- إيه اللى يثبت إنك حفيد الشيخ ، فيبحث إبراهيم فى جيبه حتى يعثر على بطاقته الشخصية ، التى بها ، اسمه ،يمد يده بها إلى أمين فينكشف وشم الأسد واضحًا" له ، كان ذلك يكفى أمين ، لكنه قرأ البطاقة فى عجل وهو يفك وثاق إبراهيم فرحًا" وهو يحتضنه كأنه يحتضن صديقًا" غاب عنه دهرًا". ويهتف فى فرح

- ياأهلًا" بسيدنا وابن سيدنا --- يااااه ---- إحنا انتظرناك كتير -- لكن الحمدلله . ، يجرى (أمين) داخل أحد غرف الخدم ،ويعود حاملًا" معه (مخلة كبيرة) يقذفها تحت أقدام إبراهيم وهو يقول

- الحمدلله -- أنا كده وصّلت الأمانة – دى آخر حاجة وصانى بيها أبويا قبل ما يموت ، يهز إبراهيم رأسه فى أسى ، فيكمل إبراهيم

- تلك المخلة ، تحوى كل أوراق ملكية القصر ، وكل الأوراق المهمة التى تخص جدك الشيخ ، وكُتب الطب والوصفات الشهيرة التى أخفاها (رجب) ، عن عين عونى الشيطان وسميرة ، خوفًا" من أن تسقط فى يدهم وتتسبب فى أذى ، ولذلك هرَّبَ الأوراق إلى الصعيد ،ومات فى

المستشفى ،و أوصانى ، بإكمال الوصية ، وإنتظار صاحب القصر الحقيقى

- الله يرحمه -- كان راجل طيب ، لكن إنت حسيت بيّا إزاى ، يبتسم أمين

- أنا ببات فى مبنى الخدم – من بعد ما مات أبويا ، وأنا موجود هنا لحراسة القصر ، كنت نايم ، وسمعت صوت جاى من فوق وافتكرت ،إنك حرامى ، يهز إبراهيم رأسه

- كُنت عاوز أدخل القصر --- ومش معايا مفتاح ، اضطريت أعمل كده ،ثم سأله فى إندهاش

- هوا مش الحكومة ، أخدت القصر ، واعتبرته أثر ، وقفلته ، يؤمن (أمين) على كلامه

- كان فى واحد وكيل نيابه ، فى آخر حادثه (يقصد حادثة أمه وزوجها) ، بلغ عنه مصلحة الآثار ، وبعدين القصر دوخهم ، يقطب إبراهيم حاجبه فى اندهاش

- إزاى دوخهم ،يشير أمين إلى باب القصر

- الناس اللى تبع الآثار ، حاولوا يكسروا الباب بالعافية ويدخلوا ، لكن حصلتلهم حاجات تشيب !! ، خلت الناس بقت بتخاف تعدى من جنب القصر من المغرب ، يستفسر إبراهيم ويربط الأحداث

- ليه ،يزدرد أمين لعابه بصعوبة

- والله مفيش حد من اللى كسروا الباب ، إلا وأصابته لعنة ، وبيقولوا إن وكيل النيابة نفسه ، كانت بتجيله أحلام وكوابيس ،علشان هوا اللى فتح الموضوع ده لكنه هرب منه وبعدين الآثار احتارت فيه ، محدش عرف هوا تبع إيه ولا ينتمى لأى عصر ، وبعدين المفتش الكبير بتاعهم ، جالوا مرض نفسى غريب – وقتل مراته ، والعمال فيه منهم بيجيلو صرع ومنهم إتشل ، وبعدين الكل خاف ، ومابقوش بيقربوا من القصر ، فرجعوه تانى للورثة بعد مارفعنا قضية ، يهتم إبراهيم

– وبعدين ، تدمع عينا أمين فى حنان

- أبويا كان بيتابع مع محامى و ووصانى أكمل ولما القصر رجع -- دورت عليك سنين طويلة ، وقالوا إن محدش يعرف أراضيك ، واضح إنك كنت بعيد قوى يصمت إبراهيم فى أسى ، ثم يقول بحزن

- أيوه كنت بعيد قوى ، وماكنتش جاهز علشان أستلم تركتى ، يبتسم أمين فى حكمة ويربت على كتفه قائلًا"

- حمدلله على السلامة يا مولانا ، يعطيه الجوال الكبير مازحًا"

- ده أول جزء من تركتك --- إحفظ اللى جواه زى إسمك ، ينزعج إبراهيم من حجم الجوال الضخم ، هو متوتر ولا يعرف كيف ستسير الأيام القادمة ، ولا يعرف كيف سيعيش ولا كيف يدبر أموره ، لكنه

قرر أن لا يعود إلى الحارة ، ولا أن يعود إلى سابق أبدًا" ،يقطعه صوت أمين

- ودلوقتى لازم تدخل (الحصن) ، ينظر له إبراهيم فى حيرة

- بس أنا مش معايا مفتاح ، ينظر له نظرة ثاقبه

- القائد الهصور لازم يكون معاه مفتاح الحصن والا أصابته اللعنة ، كما حدث مع وكيل النيابة ومفتشى الآثار ، لازم تعرف مكانه لوحدك ، شعر إبراهيم أن أمين هذا يعرف الكثير و ما هو إلا إمتدادًا" لرجب ، كاتم الأسرار الذى لم ينجح أحد فى سبر أغواره ، تركه أمين قائلًا" له

- أنا هنام دلوقتى علشان بروح شغلى بعد الفجر ، فيسأله إبراهيم

- وشغلك فين ، يرد أمين فى إقتضاب

- بكره إن شاء الله هتعرف كل حاجة ، دور إنت على المفتاح وشوف هتدخل الحصن إزاى ، يدخل (أمين) لينام فى مبنى الخدم ويترك ،إبراهيم فى حديقة القصر ، التى لم تطلها يد الإهمال ، وإن كانت قد أصابتها الشيخوخة بعض الشىء،يتذكر إبراهيم لعبه فى الحديقة ، واستماعه للقرآن فى مبنى المندرة الموجود فى مقدمة المنزل ، لقد سقط بعض طلائه وتغير لونه لكنه ظل كما هو ، لاحظ تلك المساحة من العشب المحترقة بجوار غرفة منفصلة فى المنزل ، لقد تذكرها ، تلك الغرفة التى كانت أمه تعيش بها ، أصابته ذكرى أمه برغبة شديدة فى تدخين سيجارة أو تناول مخدر ، لقد كان هذا عهده

عندما يتذكرها ، فهذه المرأة قد دمرته تمامًا" ،لكنه قاوم رغبته المريضة حفاظًا" على عهد ٍقد إتخذه منذ إفاقته من الغيبوبة ، كان مستلقيًا" على العشب الذى فى الحديقه ناظرًا" إلى النجوم ، مستمعًا" إلى صوت الشيخ الحصرى الصادر من جهاز الراديو الترانزيستور الذى بغرفة أمين ، سبحان الله من شابه أباه فما ظلم ، لقد كان والده عم رجب ، يحمل راديو ترانزيستور صغير مضبوط باستمرار على إذاعة القرآن الكريم ، لا يغلقه حتى وهو نائم --- سبحان الله ، قرر إبراهيم أن يجد مفتاح القصر ، حتى ينفذ وصية الجد ، تذكر جده وذلك الحلم الطويل العجيب ، تذكر سلسة المفاتيح ومن أين أخرجها ، قرر أن يجرب فربما يكون المفتاح هناك ، انتابت جسده القشعريرة عندما تذكر كلام أمين عن الحوادث واللعنات ، وتذكر ما حدث لأمه وزوجها اللعين عونى ، خاف وتراجع ، فقد تصيبه اللعنة ، إذا دخل الحصن من السلم الخلفى ولم يفتحه بمفتاح ، لكنه طمأن نفسه ، هو ليس معتديًا" بل هو الآن الوريث الشرعى وهذا حقه ، صحيح أنه يتسلم ميراثه الآن بطريقة غريبة ، لكن الحياة علمته أن لكل شىء قانونه ومنطقه الخاص مهما كان غريبًا" ، وعندما يتضح المنطق وينجلى السر ،تزول الغرابة ويبدو الأمر طبيعيًا" ، من قال أن ميراثه مجرد قصر مهجور ،تُنْسَجُ الأساطير من حوله ،يبدو أن الموضوع يأخذُ مُنحنًا" آخر ، لا يعرف نهايته إلا الله ،اتخذ قراره مشجعًا" نفسه

- يجب أن أحصل على المفتاح – هو بالتأكيد فى الداخل ، سأتوكل على الله وربنا يستر ، والحلم يدل على أن هناك يدًا" ما سوف تساعدنى ،

بسم الله الرحمن الرحيم ، صعد درجات السلم الخشبى المؤدى إلى البهو

ألقى نظرة سريعة على الأريكة والكراسى المنقوشة وعلى نافورة الطاووس الأزرق وإلى البيارق ، فى حنين فدمعت عيناه ، لقد قضى هنا أجمل أيام عمره ، صعد إلى الطابق العلوى ، وسار فى الممر بين الغرف ، حتى أوقفته بقعة سوداء تشبه بقعة البترول المحترقة فى منتصف الممر أمام غرفة الشيخ ، لقد كانت هى ، دماء عونى الشيطان التى صارت بقعة سوداء ،شاهدة على إندحاره واحتراق سحره أمام غرفة الشيخ ، لم يتمكن هذا الزنديق من الإنتصار على الشيخ حتى وهو ميت ، شعر بتقزز ورغبة فى القيئ ، أوقفته رائحة مِسْكِيَّة منبعثة من غرفة الشيخ فَجَّرَت بداخله طوفانًا" من الذكريات التى لا تنتهى . فسار خلف الرائحة كالنائم مغناطيسيًا" ، ليجد نفسه جالسًا" فوق سرير الشيخ ، كان الوقتُ مساءًا" ، حاول فتح زر الإنارة لكنه رفض ، واكتشف أن نور المئذنة كان كافيًا" ليعكس كل شيء فى الغرفة ، كما ، وجد ذلك الجلباب المُطرز والمفرود فوق السرير آخر ما لبسه الشيخ فى حياته موجود كما هو ، لمح صورته المعلقه على الحائط هو وجدته الحاجة دريه ،بديا له مبتسمين مع انعكاس أضواء المئذنة المبتهجة بالعيد . نظر لهما بحب

- الله يرحم أيام زمان ، وناس أيام زمان ، قالها فى تنهيدة ساخنة ، وهو يمد يده إلى المذياع الفيلبس الترانزستور المبطن بالجلد ، يحاول

فتحه ، لكنه لم يعمل ، من الواضح أن بطاريته قد نفذت ، لاحظ ذلك الشباك الذى تم إصلاحه على عَجَلْ بقطعة من الخشب الحُبَيْبِى الردئ وترقيع الزجاج البلجيكى المكسور بزجاج بلدى رخيص الثمن -- إذا أردت أن تقتل شيئًا" جميلًا" فى هذا البلد ، فأوكل به إلى موظف حكومى . الحمدلله أنه لم يمكث بين يديهم مدة طويلة ، خرج من تأمله للمرة الثانية ،

- لازم تلاقى المفتاح ، وبشكل تلقائى مدّ يده إلى جلباب الشيخ ، وجده ناعم الملمس ،مُعْطَرًا" بالمسك ، فارتداه ، بدا له مناسبًا" تمامًا" لمقاسه ، كأنه قد تم حياكته من أجله ، وعلى ضوء المئذنة التى تتراقص أضوائها ، إبتهاجًا" بشهر رمضان وعيد الفطر ، لمح إنعكاسًا" زجاجيًا" ، أتى من منتصف الغرفة ، إنه ذلك الباب الذى يؤدى إلى الخلوة ، ذلك الباب الذى حاول فتحه مرة وهو صغير فلم يستجب له ، اتجه إليه فى وجل ، ومد يده ليفتح الباب ، استجاب الباب بسرعة خاطفة وكأنه كان ينتظره منذ زمن . وجد إبراهيم نفسه فى الغرفة ، كما وجد باب الغرفة الرئيسى مكسورًا" ، لاحظ أن مزلاج الباب قد تغير لونه ، وبدا أنه قد تم حرقه بمادة غريبة ، كان ذلك بسبب السائل الذى رشه (عونى الشيطان) على الرتاج قبل أن يفتحه عنوة ليقتحم هو ، وسميرة خلوة الشيخ ، ويحدث لهما بعد ذلك ما حدث ، ليصيرا عبرة ، لكل من يفكرفى اقتحام الحصن ، دخل الغرفة وَجِلًا" وهو يُبَسمل

- بسم الله الرحمن الرحيم ، لقد رأها مرتين وهو صغير ، كان ضوء المئذنة الجميلة الملاصقة للقصر يسطع فى الغرفة ، لدرجه مكنته

من رُؤية كل تفاصيل الغرفة ، اقترب من المحراب ، لكنه وجد السرداب مفتوحًا" ، ووجد الغطاء الأسمنتى الثقيل يبتعد عن الفتحة ، يبدو أن هناك أقدامًا" كثيره حاولت سبر أغوار ذلك السرداب ، لكن محاولتهم باءت بالفشل ، هبط السرداب فى سرعة ،ليفاجأه ذلك الحائط الأسود ، يتذكر كلام الشيخ

- (خلف الحائط يوجد عدونا ميطرون) –يجب أن تستعد له جيدًا" ، ينظر إلى الجدار الأسود وقد جف حلقه من الخوف ، والحيرة

يتراجع خطوتين إلى الخلف ، ويستند بيده اليمنى إلى الحائط فتفتح الكوة لتبتلعه ويجد نفسه داخل الغرفة الخضراء ، هى نفس الغرفة التى رآها بالحلم ، كُل شىء كان موجودًا " ، ما عدا الشيخ ، لكنه يعرف الآن أنه لن يخوض المعركة وحيدًا" ، بحث عن المفاتيح ، وتذكر تلك البردة المعلقة ، فرفعها ، ليجد الحجر ذو اللون الأخضر ، وضع يده المرتعشه على الحجر ، وبدأ يقرأ

- بسم الله الرحمن الرحيم (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) صدق الله العظيم ،يخرج الحجر من مكانه ، يمد إبراهيم يده ليلتقط حلقة المفاتيح النحاسية ، والتى بها مفتاح البوابة الكبيرة، ينظر إلى الصندوق الكبير ، هو كما رآه فى غيبوبته ، لم تكن عين الماء موجودة

ولا جده ، لكنه أيقن بعد الذى رآه ، أنه زار كل ذلك من قبل ، لقد اتضح الآن كل شىء ، فجده يدفعه لمعركة تبدو غير متكافئة مع عدو اسمه ميطرون أو أحد أحفاده ، ولايعرف أكثر من ذلك ، تذكر الصندوق ، الكبير ، فمد المفتاح الثانى وحاول فتحه ، ففتح الصندوق ، ووجد المحتويات ، السيف والدرع والسترة ، والكتاب الضخم ، لقد طلب منه الشيخ أن يستعد ، أغلق الصندوق وحمل الكتاب ، وصعد حيث غرفة الشيخ ، لقد قرر أن يجعلها مقره ، وضع الكتاب والجوال الكبير فى خوانٍ قديم ، كان الشيخ يضع فيه متعلقاته وأغلق عليهم بالمفتاح ، من الواضح أن هذه الأشياء تحوى أسرارًا" وكنوزًا" مُثيرة، وإلا لماذا أخفاها الشيخ ومساعده (رجب) ،كُلْ تِلْكَ المُدة

عن الجميع ، حتى يتسلمها هو ، تُرى ما هى الرسالة ؟ ومن هو البصور ؟،وهذا الأسد الموجود فى كل مكان ،ومن أين أتى ذلك الوشم ؟، ومن هذا الميطرون ؟ ، وكيف سيأخذ بثأر الشيخ ، من شىء يقْبَعُ خلْفَ حائط بازلتى أسود ، داخل سرداب عميق يشبه المقابر الفرعونية ، يُلقى بظهره مُسْترخيًا" ، فوق سرير الشيخ ، ينتابه شعور بالراحة ، وكأنه نائم فوق السحاب ، ظل مُسترخيًا" يتأرجح عقله بين النوم واليقظة، حتى انطلق آذان الفجر ، فنهض من غفوته ، توضأ واتجه إلى المسجد ، ليستقبل يومًا" جديدًا" وزَمَنًا" جديدًا"

***

(23)

اقترب إبراهيم من بوابة القصر الكبيرة ، ومدّ يده بأحد المفاتيح الكبيرة المعلقا فى السلسة النحاسية الضخمة، وفتح البوابة الضخمة ، لتحدث صوتًا" مُزَمْجرًا" ، يأتيه صوت من خلفه ، مُرّحِبًا"

- القائد الجديد فُتُح البوابه ، الله أكبر ، ، نَظر إبراهيم اليه فى قوه مُرددًا" كلامه

- الهصورلازم يكون معاه مفتاح الحصن ، --- ضحك أمين فى سعادة وهو يقوم بترتيب بضاعته أمام محل لبيع المثلجات والأطعمة الخفيفة فى الناحية الخلفية للقصر. لاحظ إبراهيم ،أن هناك محلًا" مُغلقًا" آخر مكتوب عليه (عطارة العابد)

- الله ينور عليك يا مولانا ، تساءل إبراهيم فى دهشة ،

- المحلين دول ، لسه جداد ،أنا ما شوفتهمش وأنا صغير ، يهز أمين رأسه فى تأثر

- جدك إشترى المحلين دول من إتنين (جريج) وكان عاوز يحولهم لمحل عطارة كبير ، لكنه بعد الظروف الصعبة اللى مرت بيه ، كتب واحد باسم والدى (عم رجب) علشان ما يتهدلش من بعده ، وساب التانى لوريثه ، يهز إبراهيم رأسه فى تأثر ، ترحمًا" على

ذلك الشيخ الطيب الذى كان كالشجره المثمرة التى ، تغدق الخير على الجميع ،

- اقعد معايا شويه ياسيدنا ، قالها أمين فى ود ،وكأنه يدعو صديق قديم ،يعرفه منذ زمن ، لكن إبراهيم يعتذر فى إرهاق

- معلش أنا مانمتش بقالى زمن ، ومحتاج أرتاح علشان أشوف هعمل إيه فى حياتى ، يبتسم أمين مُتَفَهِما"،

بعد يوم كامل من النوم العميق ، يجلس إبراهيم فى المندرة وأمامه الكتاب العتيق الذى أخرجه من الصندوق ، اندهش إبراهيم من إسم الكتاب المعنون ب (أرض السباع)

يحكى الكتاب قصة الملك ميطرون الشيطان حاكم (أرض الفقراء) الذى كان مُفسدًا" فى الأرض ، ويسيطر على رعيته الفقراء من خلال جيش من المسوخ المتخفين خلف ملامح بشرية وتظهر ملامحهم الحقيقية حينما يغضبون ، لقد كان حظ هؤلاء الفقراء أن يحكمهم الشيطان وأعوانه من المسوخ ، والسحرة وبعض رجال الدين الذين باعوا دينهم من أجل حفنة من الدنانير ، كان الجد الأكبر ، فى ذلك الوقت شابًا" ثلاثينيًا" صالحًا" من الأشراف مشهودًا" له بالتقوى والصلاح ، لكن حظه العاثر قاده ليسكن فى تلك القرية الظالم أهلها ،ظل الرجل يعبد الله عشر سنوات فى القرية فى كوخ فقير ، ذاع صيته وأحبه الجميع ، ولقبوه (بالعابد) نظرًا" لصلاحه وتقواه وأيضا" لدرايته بعلم الطب النبوى وتفسير الأحلام والتداوى

بالأعشاب ، وكم من الحالات المستعصية قد تم شفائها باذن الله على يديه ولذلك فقد ذاع صيته وصار بيته الفقير قبلة للمريدين وأصحاب الحاجات ، فالعابد عاشق فى ملكوت الله ، لايتوقف كثيرًا" عند البشر ، ولا أطماعهم . ، كان العابد يتحاشى ميطرون وجيشه ، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ، فلقد استيقظ العابد فى يومٍ من الأيام على صُراخ وطرق ٍشديد على باب كوخه ، ليفتح سريعًا" لتدخل فتاه شقراء رائعه الجمال تبدو قروية بملابسها المزركشة الواسعة ، وحذائها الطويل ، كانت فى حالة فزع ، ويبدو أن أحدًا" يطاردها ، أغلقت الباب سريعًا" ووقفت خلفه تلتقط أنفاسها المتلاحقة وهى تتوسل إليه

- أرجوك احمينى من جنود الملك ، فهم يطاردوننى ، وسرعان ما سمع طرقًا" شديدًا" على الباب ، فأخفاها بالداخل ،ثم تناول حربته ووضعها فى حالة إستعداد خلف الباب ، وفتح الباب ليظهر جنديين من جنود ميطرون ، تبدو على ملامحهم علامات الشبق والغلظة ، نهره أحدهم فى غلظة

- أين الفتاة الشقراء ، نظر لهم فى تحدى

- أية فتاة ، ينفث أحدهم نفسًا" كريهًا" فى وجهه ، يتحاشاه العابد فى اشمئزاز وثبات

- نحن رأيناها تقترب من هنا ، لا بد أنك تخفيها بالداخل ، فابتعد --- قالها المسخ وهو يحاول إبعاده عن الباب لكنه بدا صلبًا" ولم يتحرك

من أمام الباب ، بل نظر اليهم نظرة ثاقبة ، أشعرتهم بأن ذلك الرجل لن يكون صيدًا" سهلًا" ، ثم قال لهم بلهجةٍ واثقة

- قلت لكم أنه لا أحد هنا ، ولا داعى لإثارة المشاكل ، زفر أحدهم فى غضب

- إذن أنت من يثير المشاكل -- لن نتركك وسنعود قريبًا" ،خرج الجنديان فى غضب ، وهما يتوعدان العابد بالويل والثبور و هم يمتطون خيولهم ، بينما أغلق هو الباب فى ارتياح مؤقت خرجت الشقراء من مخبئها كغزال مذعور اطمأن لانصراف صياده ، ثم نظرت له نظرة امتنان ، فشعر أن الشمس قد أشرقت وأضاءت الدنيا ، بينما قالت له

- لا أعرف كيف أشكرك فقد أنقذت حياتى ، لكنه تمتم فى خجل من لم يعتد التعامل مع تلك الكائنات الرقيقة

- عفوًا" فأنا لم أفعل شيئًا" ،لكنها لم تعقب وابتسمت له ابتسامة ، أنسته رجال ميطرون ، بل أنسته العالم بأسره فقال لها وصوته يكاد يخرج بصعوبة

- ما اسمك ؟؟ ردت فى خجل

- أسمى (سيلا) شقيقة (مجدون) الحداد

- لماذا كانوا يطاردونك ؟

- أنا أبيع التفاح فى السوق و (لم يسمع كلمه واحده بعد ذلك فقد أخذته إلى آفاق أخرى لم يتخيل أن يصل اليها فى يومٍ ما – فلها نصيبُ مما تبيعه ، فهى تشبه التفاح لونًا" وطعمًا" ورائحة) -- تُكمل سيلا

- بعت بضاعتى و دخل الليل على وأنا قد تأخرت فطاردنى الرجلان – لكن حمدًا" لله فقد أوصلنى إلى بر الأمان ثم أردفت

- لا شك فى أنك العابد (قالتها فى إعجاب) --- لقد سمعت عنك كثيرًا"

- كيف ؟ قالها وهو غير مُندهش فلقد ذاع صيته فى الآونة الأخيره

- أنا أمرُ من هنا يوميًا" ، وأسمع الناس يتحدثون عنك كثيرًا" ، كانت تنظر له و هى تشعر بالقشعريرة تسرى فى أوصالها وبدقات قلبها تعلو ، ما كُل هذه الرجولة والثبات والحنان ، قال لها

- لابد لجميلة مثلك ، أن تتعلم القتال والدفاع عن نفسها ، ابتسمت فى رقة قائلة

- أنا وشقيقى مسالمين ، ولا نؤذى أحدًا" ولا نجيد القتال فمن سيعلمنا ، رد بسرعة

- أنا

- يبدو أنك فارسٌ مغوار

- أنا رجلٌ مسالمٌ مثلكم ولكننى أدافع عن نفسى ، تنظر له سيلا فى إعجاب

- أهل القرية مزارعون أو صناع بسطاء لا يُجيدون القتال ، ولذلك استعبدنا ميطرون وأعوانه سألها فى وهن المُصاب بسهمٍ فى قلبه .

- أين منزلك ؟؟ ردت عليه وهى تتمنى من قلبها أن يرافقها إلى المنزل فهى لازالت خائفة وتحتاج إلى الحماية

- فى الناحية الشرقية ، خرج بها إلى خارج الدار ، وامتطى صهوة جواده وحملها خلفه ، وانطلق بها حيث منزلها الواقع فى الأطراف الشرقية للبلده ، كانت سيلا تقطع تلك المسافة مع صديقاتها البائعات من شرق البلده إلى غربها حيث السوق الكبير ، وكان عليها أن تلحق بالعربة ذات الأحصنه التى تقلها هى وزميلاتها ، لكنها تأخرت اليوم لتتمكن من بيع كُل التفاح ، وها هى الآن معه تركب حصانه خلفه ، ما كُل هذا الجمال ، لقد صار كُلُ شىء فى عينيها جميلًا" ، حتى جنود ميطرون الذين كانوا يطاردونها منذُ بُرهة ، صارت ممتنة لهم ، فهم سبب ما هى فيه الآن من نعيم ، لم يتبادلا كثيرًا" من الكلمات لكنهما كان يتمنيان ، أن لا يصل الفرس إلى بغيته أبدًا" ، وفى النهايه توقف ، الفرس ليترجل منه العابد مرافقًا" سيلا إلى الباب ، طلبت منه الإنتظار

إنتظرنى قليلًا" هنا ، دخلت إلى منزلها ثم عادت بعد قليل ومعها شقيقها (مجدون) الذى حيا العابد

- لقد حكت شقيقتى صنيعك وحمايتك لها من جنود ميطرون فشكرًا" لك ، ابتسم العابد فى تواضع

- عفوًا" --- فأنا لم أفعل شيئًا"

- كيف ذلك --- إنك رجلٌ شُجاع -- اقبل دعوتى أنا وسيلا على العشاء، كان يتمنى المكوث لكنه رفض خشية أن يكون ذلك العشاء مقابلٌ لصنيعه ، قالت سيلا لشقيقها

- إن الفارس على استعداد لتدريبنا على القتال ، بدت ملامح الجدية على وجه (مجدون) قائلًا" للعابد

- هل أنت جادٌ فى ما تقول ، شعر العابد أن هذا الموضوع يبدو هامًا" لديهم ، فأعلن عن إستعداده لتدريبهم دون مقابل ،مما أشعرهما بفرحة طاغية ، ودعهم ورحل وفى اليوم التالى ، سمع طرقًا" بالباب ، لكنه عندما خرج لم يجد أحدًا" ، لكنه وجد صُره حريرية حمراء ، بها بضع تفاحات حمراء رائعة الجمال ، ورأى تلك العربة ذات الأحصنه تحمل الفتيات بعيدًا" ، يالله ---- ما أجملها -- لقد كان عابدًا" والآن هو يشعر باحساس غريب غامض ، ظل يطلب من الله أن يكون فيه خير له ولا يشغله عن حبه وعبادته لخالقه ، لقد كان يدربهم على القتال فى ساحة منزلهم ، ثم تأثروا بعد ذلك بعلمه وتقواه و تحولوا إلى أتباع له بعد نطقهم للشهادتين ويومًا" وراء يوم زاد العدد ، وامتلأت الساحة عن آخرها ، وانتشر الإسلام

فى المقاطعة الصغيرة التى تتبع الإمبراطورية الرومانية ، وذات يوم" دخل العابد على مجدون

- جئتك اليوم فى أمرٍ هام أيها الصديق العزيز ،

- قل ما شئت ، أيها العابد فأنت على الرحب والسعة ، تنتبه سيلا المستترة خلف جدار ويخفق قلبها ،

- إننى أرغب فى الزواج من شقيقتك (سيلا) يتهلل مجدون الذى كان يحب العابد حبًا" جمًا ويتمنى تزويجه من شقيقته سيلا بالفعل ، كما كاد قلبها أن يتوقف من الفرحة

- إن هذا يسعدنى أنا وشقيقتى ، إذًا" فلنخبر البلدة غدًا" ليفرح الجميع معنا بالخطبه ، وفى اليوم التالى ، اكتست شوارع البلدة بالزهور الحمراء ، و احتفل الجميع حتى الصباح بهذا الخبر السعيد ، ،لكن هذا الخبر لم يرق لميطرون الذى تمنى سيلا الجميلة ، واعتبرها قد فضَّلَت عليه شخصًا" من الرعية ، فقرر التخلص من العابد و أسر سيلا وإخضاعها له كجارية ، كما أن جنوده كانوا يكرهون (العابد) لأنه تحداهم و(سيلا) لأنها قاومتهم ، ففرروا جميعًا" الإنتقام منهم ولاحت لهم الفرصة فى أحد الأيام عندما نهض ميطرون من نومه مفزوعًا" ، فلقد وجد نفسه فى رحلة صيد فى البرارى ومعه الأمراء والجنود وهو يطارد قطيعًا" من الغزلان ، ويصطادهم واحدًا" تلو الآخر ولكن ، ما حدث بعد ذلك كان مفزعًا" ، فلقد استدار باقى قطيع الغزلان وارتدوا فى اتجاه موكب ميطرون ، وهُم يتحولون إلى

أسود جائعة تخطت كل ما قابلها من جنود وخيول إلى أن وصولوا جميعًا" إلى ميطرون ، حيث قفزوا فوقه وأجهزوا عليه والتهموه بشراهة فنهض مفزوعًا" من نومه واستعان بمفسرى الأحلام فى المقاطعة ومعهم العابد ، حكى الأمير الظالم لنفسه بينما سمع منافقوا السلطان ،وهم يهللون ، قال أحدهم

- إن تفسير الحلم ، نصر مبين على الأعداء ، بينما بشره أحدهم بالمجد التليد وتخليد ذكراه ، لم يكن أحدهم يجرؤ على قول الحقيقة وكعادة المنافقين وسدنة الحكام ، زينوا له سوء عمله . وقالوا له إن الله سينصرك

وكان الدور على العابد ، فتقدم إلى بلاط الملك وقال له

- سيدى الحاكم ---- رُد على الناس حقوقها ، فتلك الغزلان التى تتحول أسودًا" تنهشك فى الحلم هم أصحاب المظالم والحقوق من رعيتك الذين سينقلبون عليك إذا لم ترد لهم حقوقهم وتحسن معاملتهم ، ، استشاط الملك غضبًا" ونهر الشيخ

- كيف تتهمنى بالظلم ؟ وأنا الملقب بالعادل -- كُلُ الناس تُحْبُنى ، وكُلُ الرعية تهتف باسمى ، هتفت الجوقة المنافقة

- مولانا أنت العادل ، وكُل الرعية ،تُحِبك --- أنت نصير الضعفاء ، خرج أحد المنافقين مُتطوعًا" فى محاولة ظاهرها إنقاذ العابد وفى باطنها تجنيده لينضم إلى كتيبة المنافقين

- يبدو أن الرجل قد أخطأ تفسير الحُلْم فهو لا يعنى ما يقول ، وفى نفس الوقت لكزه فى خلسة هامسًا"

- قل إنك أخطأت حتى تتقى شر الأمير ، تقدم العابد للأمام رافعًا" رأسه فى عِزّه

- سيدى الأمير -- أقولها قولة حق --- تفسير الحلم لا يعنى الا شيئًا" واحدًا

- رُدّ المظالم وأعطى للناس حقوقهم ، يعود العابد خطوتين للوراء ، بينما غمغمت القاعة وخرجت الأفاعى من الجحور ، كلهم يسبون العابد ، أو يتهمونه

- خائن وعميل مأجور ،إنه مدسوس علينا -- ويجب حرقه وقال آخر

- إن ذلك الرجل يشكك فى نزاهة الحاكم ليؤلب عليه الرعية ، فيجب نفيه ، لكن الملك ، الموتور قدم حلًا" أكثر شيطانية وجنونًا"

- لا بل سنتركه ثلاثون يومًا" دون طعام فى (أرض السباع) ، فإذا ظل بعدها حيًا" تركناه يرحل ، وإذا قضى نحبه ، فلقد لقى جزاءه ويلحق من سبقوه يهمس الجميع فى رعب ، فالرجل يتعرض لأقسى عقاب ، لا يتعرض له سوى الخونة من أصحاب المناصب الكبرى ، ومن يغضب منهم الملك بشدة ، لقد قضى الملك على كل معارضيه بنفيهم إلى(أرض السباع) ، أرضٌ ملعونة ، بها صراع أزلى بين جنود ميطرون الشيطان وأتباعه المقدر عددهم بالآلاف

من المسوخ ذات الأجسام البشرية ، ورؤوس الأفاعى ، ويسكنون النصف الغربى من الأرض ، وبين الهصور ملك الأسود وأتباعه من قبيلة السباع المتوحشة والتى تسكن النصف الشرقى ، فكان مصير من يذهب إليها محتومًا" ،فإما يسير فى هضابها ووديانها منهكًا" حتى يصير طعاما" للأسود ، أو تتخبطه الشياطين فيصيبه المس والجنون ويفقد عقله ، امتد الصراع بين القبيلتين مئات الأعوام للسيطرة على الأرض ، وإخضاع الطرف الأضعف ، لكن المعركة ظلت متكافئة ، إلى أن تم نفى العابد إلى تلك الأرض ، انطلقت قافلة من جنود الأمير إلى أرض السبا ع وقذفوا بالعابد ، دون طعام على أن يعودوا بعد شهر كامل ، قذفوا به فى منتصف الأرض بين الشرق والغرب حتى يتعرض لأقصى درجات الخطر ، ويصير العابد بين فكى الرحى ، أنياب الأسود ومسّ المسوخ ، بعد يومٍ كامل من السفر فوق ظهر الخيل ، تركوا العابد فى منتصف الأرض ورحلوا ، وتملك منه التعب فغط فى النوم ، ليستيقظ فى المساء ، وسرعان ما فتح عينيه ، ليجد حوله قطيع مكون من مائة أسد ، وفى الناحية المقابلة أكثر من مائة مسخٍ تملك الرعب منه فى البداية ، ونطق الشهادتين فلقد علم أنه ميت لا محاله ، نشب أول أسد مخلبه فى جسده ، فنزف دمًا" ، وفتح ذلك شهية باقى الأسود الجائعة التى اقتربت فى تؤده لتكمل ما بدأه الأسد الأول ، كان الأسد الأول أضخمهم حجمًا" ويبدو أنه أكثرهم ثقلًا" وتأثيرًا" فى القبيلة لقد كان هو(الملك الهصور) ، بدأت الأسود

تتقافز حول المتيم مصدره زئيرًا" مُرعبًا" واشتركت المسوخ فى عضه بأنيابها السامة ، لكن العابد المسكين على الرغم من ضعفه كان فى حالة هدوء عقلى واستسلام لقضاء الله ، جعلته يذكر الله كثيرًا" ويتلو القرآن ، فاستشاطت المُسوخ غضبًا" ، وبدأت تبتعد عنه وتتلوى فى ألم ، ثم احترق بعضها ، ففر الباقى فى ذعرٍ بينما ، بدأت الوحوش تشعر بفرحة لتغلبه على المسوخ ثم صارت تستأنس بصوته ، الرخيم وهو يتلو القرآن راقدًا" على الأرض فى وضع السجود ، بدا بلا حراك كجنين فى بطن أمه ، لكن لسانه كان يلهج بالذكر بأقصى طاقته عندما قفز أحد الأسود على ظهره ، كان لسانه فقط يتحرك وهو مغمض العينين

-يارب كلمة حق عند سلطان جائر قلتها فساعدنى ---- كلمة حق عند سلطان جائر لن تضيعنى أبدًا" وبينما هو مستمر فى مناجاته ،إذا بأمطار غزيرة تهبط على أرض السباع ، يتبعها صاعقة خضراء اللون من البرق تضرب الأسود المحيطة بالعابد الساجد ، فتنتفض الأسود وتطير أجسادها فى الهواء لأمتار ، فتستقر على الأرض لبرهة ثم تقوم وتحاول إعادة الكّرة مرة أخرى ، فيضربها تيار البرق الكهربائى فتنتفض ، صار العابد مُحاطًا" بهالةٍ خضراء تصعق كل من يقترب منها فمن يقترب منه يصعق ، إلى أن شعر هو بصراخ الأسود وثباتها فى مكانها ، فانتفض واقفًا" على قدميه ، لكنه لم يعد كما كان ، بل بدا للأسود مارِدًا" جبارًا" ينظر لهم شذرًا" ، ومع آخر موجة برق ، كانت الأسود المائة رابضة فى

مكانها ، تهز ذيلها وتزأر فى ولاء كمجموعة من القطط الأليفة بينما يقف العابد فى المنتصف مُسيطرًا" على الموقف ، اقترب ملكهم (الهصور) من المتيم وربض أمامه فى خنوع لاعقًا" مقدمه نعله ، مطلقًا " زئيرًا" مُدويًا" فى أرض السباع ،تبعه زئير الأسود التى خرجت من كُلِ حَدبٍ وصوب ، إيذانًا" بالإحتفال بتنصيبه ملكًا" عليهم ، ثم قادته الأسود إلى بحيرة السباع المَلَكية حيث اغتَسَل ،و احتسى كأسًا" من الشراب الملكى ، ذلك السائل الغامض بنى اللون حلو المذاق ، شعر بعدها أن سيلًا" من القوة العارمة يدُبُ فى أوصاله ، ثم ظهر ذلك الوشم الغامض للأسد الهصور على يده ، إنه العهد على محاربة ميطرون الشيطان و أعوانه ، لقد صار العابد يملك جسد إنسان وقلب مُحب للخير وقوة وعزيمة أسد ، لا يمكن لأحد أن ينتصر فى تلك الحرب الأبدية إلا اذا كان كذلك . وكان على العابد ، فى الأيام التالية ، مساعدتهم فى الحرب على المسوخ ، حتى عادت أرض السباع كاملة لهم (وتم طرد المُسوخ منها) ، لذلك تم تنصيب العابد ، ملكًا" على أرض السباع وصار هو (الملك الهصور) ، وصار هذا العهد لكل من يأتى بعده من أحفاده بشرط أن يكون مثله ، اختار العابدُ كهفًا" بمساعدة الأسود ، كان يصلى فيه ويتلو آيات القرآن بينما تزأر الأسود بصوت مُنغم حنون وكأنها تتلو صلاتها هى الأخرى مع ملكها الجديد ،كان العابد يتدرب على القتال بكل ما أوتى من قوة ، وظل على هذا الحال ، إلى أن انقضى الشهر ،

وعاد ت قافلة الفرسان إلى أرض السباع تتفقد مصير الرجل المحتوم ، انطلقت القافلة إلى أن وصلت إلى منتصف أرض السباع ، لتجد ملابس العابد غارقة فى الدماء وبقايا من عظامه ، فحملتها إلى الملك ميطرون ، الذى تلقى تلك البشرى بسعادةٍ بالغة وارتياح مَنْ تَخَلَّصَ مِن شيءٍ مُزعج ، انتشر الخبر فى البلدة بسرعة ، ووصل إلى مجدون وشقيقته سيلا التى حزنت حُزنًا" ،ضاريا" ومرضت مرضًا" شديدًا" وفقدت الرغبة فى الأكل ، كانت تناجيه باكية فى غرفتها

- لقد رحلت وتركتنى ، وأنا التى ظننت أن الحياة قد ابتسمت لى ، لكننى سأظل على عهدك و لن أستسلم قط ، وبينما هى فى حالة الحزن ، إذا بطرقات شديدة على الباب ، كان الطرق عنيفًا" لدرجة أن مجدون ، قد وجد أن الباب قد تحطم قبل أن يصل إليه ، وإذا بعدد غاشم من جنود ميطرون يضربونه ، بينما يفتش الباقون ، عن (سيلا) فى أرجاء المنزل صرخ مجدون فى فزع

- ماذا تريدون ، --- نحن لم نفعل شيئًا" ، بينما بدأت سيلا فى الصراخ بعدما قيدها الجنود وحملوها وهى تصرخ مستنجدة ، بينما يرد عليه قائد الجند

- هذا جزاء من يتحدى إرادة الملك ميطرون الأعظم، لكن مجدون قام بضرب قائد الجند القريب منه لكنه فوجئ بضربة على رأسه أفقدته الوعى ، ليحمله الجنود مع شقيقته التى تقاوم بعنف ،

داخل عربة بها قفص خشبى كبير ، إلى قصر ميطرون ، قام الجنود بإيداع (مجدون) داخل سجن قلعة ميطرون ، بينما ضمّوا سيلا إلى الجوارى ، وبالرغم من جمالها الباهر ،كانت سيلا كالنمرة المتوحشة ، لا يمكنك أن تجبرها على شىء ، وهى الآن نمرة جريحة بعد مقتل العابد ولذلك كانت تقاوم بعنف ، أضربت عن الطعام مُدة طويلة وكادت أن تموت ، ألقت على جسدها القاذورات حتى يعافها الجميع ثم قامت بضرب راما كبيرة الجوارى ذات مرة ، بإبريق فخار ، فأودعوها سجن القصر لفترة ،ثم كادت تقتل الحارس الذى قدم لها الطعام ، لمحاولته تقبيلها ، لقد كانت سيلا تزداد شراسة فقررت أن تقتل ميطرون ، الذى قتل حبيبها ، وسجن شقيقها ، وهاهو الآن يريد أن يسرق شرفها وكبريائها كامرأةٍ حرة ، لقد كانت تعد خطة للإنتقام وأرسلت لشقيقها رسالة صغيرة فى ورقة مع أحد الخبازين مفادها

- عندما يُطلق سراحك فاهرب خارج البلدة ولا تعود، ، إنها تحتاج إلى الدهاء والمكر لتنفيذ الخطة ، فأبدت ندمًا" وبدت فى الأيام التالية أكثر وداعة" ، حتى يمكنها الإقتراب من ميطرون ، تدخل عليها (راما) كبيرة الجوارى فى مخدعها

- إستعدى يا سيلا لشرف لقاء الملك الأعظم ميطرون ، بدت سيلا مستسلمة ومطيعة للأوامر ، ولم تقاوم (راما) التى زينتها أجمل زينه ، وألبستها ملابس حريرية زادت من طغيان جمالها ،إن راما الغبية كانت تظن أنها تقدم أعظم خدمه لميطرون ، لكن فى الحقيقة هى

تضره أيما ضرر ، لأن سيلا زاد جمالها أضعافًا" ولن ينتبه ميطرون ، لأشياء أخرى قد تودى بحياته ، وبالفعل فقد استعدت له وأخفت تحت ملابسها ، خنجرًا" صغيرًا" قوى التأثير ، إستعدادًا" للحظة الحاسمة . دخلت سيلا الجميلة على ميطرون وهو نائمٌ فى مخدعه ، لكنه اعتدل بمجرد أن رأى تلك الشمس المشرقة تقترب منه ظل صامتًا" لفترة (فالصمت فى حرم الجمالِ-- جمال)، ثم تكلم

- كم انتظرتك أيتها الجميلة ،فمنذ أن رأيتك بالسوق وأنا لا أنام ، تغمغم فى دهاء

- أنت الملك ونحن الرعية لكنك كنت عنيفًا" معنا يا مولاى وأنا غاضبة منك ، قالتها فى دلالٍ أنثوى ، سلبه عقله ، وبات يحاول إرضائها

- مرينى أيتها الفاتنة؟ ، فأنت الآن الملك وأنا الرعية ،

- اطلق سراح شقيقى مجدون فهو لم يفعل شيئًا"، وها أنا الآن معك ، ابتسم فى شبق

- سأطلق سراحه غدًا" ، تقترب فى دلال ،وتهمس

- الآن حتى أرضى عنك يا ميطرونى العزيز ، واجعلنى أطمئن على رحيله من هنا قام ميطرون بالصراخ على قائد الحرس ، فيدخل عليه

- مُرنى يا مولاى ، يأمره بلهجة حاسمة

- الآن يُفرج عن (مجدون الحداد) ، وليرحل فى سلام ، واجعلها تراه يرحل من شرفة القصر ، ثم عد بها إلى هنا

- سمعًا" وطاعة يا مولاى ، وبالفعل تشاهده وهو يجرى فى المروج ، بعيدًا" عن القصر ، كطائرٍ مذعور ، نجا من شباك الصياد ، ودعته بدموعها ، فهى الآن تشاهده لآخر مرة ، فما هى مقدمةٌ عليه سيجعلها فى عداد الأموات بعد لحظات ، أعادها الحارس إلى مخدع ميطرون الذى قابلها مرحبًا"

- اقتربى يا جميلتى ، فلقد نفذت وعدى ، ولم يبقى إلا الجزء الثانى ، إقترب منها محاولًا" احتضانها ، إلا أنها تملكت من الخنجر ونزعته فى لمح البصر من ملابسها لتغرزه ، فى صدر ميطرون ، الذى صرخ وأصدر فحيحًا" ، وخرجت الدماء السوداء من صدره ، ما هذا إنه ليس بشريًا" لقد تحول إلى حية لها رأسين ، لقد نزف وأصيب لكنه لم يمت ، صرخ ميطرون على الجنود الذين حاولوا قتل سيلا ، لكنها أبدت براعة فى القتال ، تعجب الجنود من براعتها فى القتال ، لكن الفضل يرجع لمن علمها القتال – إنه العابد ،انقضوا عليها ، و حاول أحدهم غرز خنجره فى صدرها لكنه أخطأ التصويب فأصاب كتفها فصرخت ، إلا أن ميطرون المصاب ، يوقفهم

- لا تقتلوها ---- لا تقتلوها ، فهى سترتاح ، بل يجب أن تذوق الهوان والذل كل يوم ، لقد رفضت أن تكون أميرة ، ولذلك ستكون أسوأ

خادمة فى القصر ، خادمة السجن التى تجمع القاذورات ،نادى على راما

- تدخل راما بينما سيلا تئن من الألم والدماء تنزف من كتفها ، يشير ميطرون الذى يضمده طبيب

- خذى هذه اللعينة واحلقى لها رأسها ، وألبسيها ملابس السجن ، هى من الآن خادمة السجن ، لا تطعموها وارموا لها بالفتات ، سحبتها راما فى قسوة ومعها الجنود يركلونها ويصرخون فى وجهها

-تحركى أيتها اللعينة ، تسيها راما

- لقد كان بامكانك أن تكونى سيدة هذا القصر ، لكنك أخترتى أن تصبحى خادمة السجن حاملة الروث ،كم أنت قذرة وغبية ، ابتسمت سيلا فى عناد رغم جرحها

- لا – بل أنا حرة ، فقيرة لكن حرة ، لكنك لن تفهمين ذلك فأنت تعيشين بنفسية الجوارى الخانعات ،و فى يومٍ من الأيام ستفهمين من منا القذر ، أنا الحرة حاملة الروث أم أنت الجارية ساكنة القصور لابسة الحرير ، يزداد جنون راما فتضربها بالحذاء فى بطنها ، فتصرخ سيلا ، بينما تأمر راما الحراس

- هيا خذوها ، إلى السجن ، لتتقلد منصبها الجديد ، قالتها ضاحكة فى سخرية ،ليسحب الجنود الغلاظ سيلا الجريحة----- إلى السجن

وبعد ثلاثة أعوام

ثلاثة أعوام كاملة ، قضاها العابد ما بين الصلاة والصيد والتحرك بشكل خفى ، داخل أرض الفقراء لتجنيد أكبر عدد من الشباب الذين كانوا يشعرون بالظلم ، إلى أن جاء يوم طرق فيه رجلُ ملثم تحت جُنح الظلام ، باب منزل على أطراف الجبل ، لينهض صاحب المنزل من غفوته ، هاتفًا

- " من الطارق؟؟ ، يهمس الملثم فى قلق

- عابر سبيل افتح يا أخى ، يفتح صاحب الدار للطارق فيدخل سريعًا" متلفتًا" حوله ، خشية أن يراه أحد ، تراجع صاحب الدار فى فزع ، مُستلًا" سيفه هاتفًا" فى حزم

- من أنت ؟؟ وكيف تقتحم دارى ، ينظر له الملثم فى هدوء مازحًا"

- لقد صرت تُجْيِدْ استخدام السلاح – هذا شىء جيد ، كيف حالك يا (مجدون)، يهدأ مجدون وينزل سيفه ، لقد كان صوته مألوفًا" لديه ، فكرر سؤاله

- بحق الله من أنت أيها الملثم ، فهيئتك تذكرنى بعزيز فقدته ، هو الذى علمنى كل شىء ، قالها وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، بينما الملثم ، يُميطُ لثامه قائلًا"

- أنا هو !! ، يجرى عليه مجدون باكيًا" غير مصدق أنه حى

- حمدًا"لله على نجاتك ياسيدى – إنه لشىء رائع بقائك على قيد الحياة ، يبتسم له العابد بينما عينيه وقلبه يفضحانه ، إنه يبحث عنها ، شعر (مجدون) بالخجل والحزن قائلًا"

- للأسف سيلا لم تعد هنا ، فزع العابد قائلًا"

- ماذا ؟؟؟ أين ذهبت إذًا ، سقطت دموع القهر من عينى مجدون

- لقد اختطفها جنود ميطرون ، واختطفونى معها عندما قاومتهم ، زجّوا بى فى السجن ، وألحقوها بجناح الجوارى وحاولوا تقديمها جارية" له ، كما فعلوا سابقًا" مع كل جميلات المدينة ، إلا أنها قاومتهم ورفضت ، كما قامت بضرب كبيرة الجوارى ، و هى التى أنقذتنى من السجن ، ثم حاولت قتل ميطرون اللعين فزجّوا بها فى أحد سجون القلعة ، كخادمة للمساجين وهى تلاقى صنوف العذاب والهوان ، لأنها لم تستسلم لميطرون بل حاولت قتله ، كان (مجدون) يحكى ودموعه تتساقط على وجنتيه من القهر ، وسالت دموع العابد من الحزن على حبيبته التى سجنها ميطرون الظالم ، ثُم سأله

- هل قتلها ميطرون ، فرد مجدون

- لا ، يسأله العابد فى حيرة

- وكيف عرفت ، يهمس مجدون

- من (موسى) الخباز صديقى ، أنت تعرفه فلقد دربته على القتال معنا ، وهو يعمل هناك وهو يدخل السجن لتقديم الخبز للمساجين ، ويراها من آن إلى آخر ، وهو الذى سلمنى آخر رسالة منها

- هل تراسلها ، يهمس مجدون ، أحيانًا" نتراسل من خلال الرسائل المهربة داخل الخبز والتى يوصلها موسى ، ينظر العابد فى هدوء وكأنه يفكر فى شىء

داخل سجن قلعة ميطرون

يجلس شخص هزيل ، مرتديًا" ملابس مثقبة من الخيش الردئ ، على ركبتيه ، الهزيلتين ، وفى يده خرقة بالية ينظف بها أرضية السجن ، لا يمكن التفريق بينها وبين ما يرتديه ، كان جسده هزيلًا" جدًا" ورأسه ، أصلع لا توجد به شعرة واحدة ، اقترب منه أحد الجنود وبجواره شخص آخر يحمل خبزًا" جافًا" ، ركله الجندى وهو يضع له إناءًا" قذرًا" به سائل مجهول الهوية ، أطلق عليه لفظ طعام

- الطعام ، أيتها القذرة – نعم إنها هى (سيلا) ، التى لم يتبقى من ملامحها سوى زوج من العيون الخضراء ، اقترب (موسى) الخباز منها ، بعدما أعطى ظهره للجندى وأعطاها الخبز ودس بيدها ، قطعه من الحرير الأحمر بها ثلاث تفاحات حمراء ،

- ضعى هذا فى ملابسك ، والرسالة فى الخبز ، قالها هامسًا" ، جرت إلى سريرها ، وأخفت الأشياء بعناية ، ثم عادت وأخرجت قطعة الحرير والتفاحات ، فعاد الأمل إليها

- يا إلهى كيف؟؟ --- إنها منه ، إنه حى !! ، هى ذاتها القطعة الحريرية التى أهدته إياها ،أخرجت الورقة بيدٍ مرتعشة لتجد بها أجمل كلمة ردت لها الحياة

- حبيبتى سيلا – اصمدى – سنلتقى قريبًا" بإذن الله ، كادت تموت من الفرحة ، أخفت قطعة الحرير ، وابتلعت الورقة كما علمها موسى حتى لا ينكشف أمرهم

وبعد أيام جلس مجدون والعابد يتسامران ، قال مجدون

- لقد أوصل موسى الرسالة ، وكم طارت سيلا من الفرحة ، هى الآن بخير وتنتظر الخلاص ، قالها والدموع فى عينيه ، لكن العابد يواسيه

- لا تحزن يا أخى فان الله سينصرنا بإذنه، وأنا هنا من أجل ذلك ، سأله مجدون

- لكن أين كنت طيلة الثلاث أعوام؟؟ لقد حزنت سيلا حتى كادت أن تموت عندما أشاع ميطرون نبأ وفاتك فى المقاطعة ، كما حزنت أنا بالطبع ، تنهد العابدُ قائلًا"

- إنها قصةَ طويلة ---- لكن سأحكيها لك وظل يحكى له قصته فى أرض السباع حتى لاحت تباشير الصباح فنام العابد من التعب ، بينما خرج (مجدون) فى الصباح الباكر إلى رزقه بالرغم أنه لم يتذوق طعم النوم ، نام العابد فى فراش مجدون ومن شدة تعبه ، لم يشعر بالجنود الذين اقتحموا المكان ، وكمموه وحملوه فى عربة مغلقة إلى مكان مجهول ، يغلب إبراهيم النعاس من فرط التعب والإثارة ، نام وهو يشعر بسعادة ورضى ، لقد شعر أنه ينتمى إلى أسرة لها تاريخ عريق فى الشرف والبطولة ، نام وفى رأسه عشرات الأسئلة ماذا حدث لجده العابد ؟؟؟، وكيف انتهى الصراع بينه وبين ميطرون ؟؟ وهل سيلا الجميلة بائعة التفاح جدته أم أنها إمرأة أخرى ، وماهو مصير مجدون الحداد ؟؟؟ نام إبراهيم مُمنيًا" نفسه بالإجابة على كل تلك الأسئلة فى الصباح الباكر.

***

obeikandl.com

(24)

استيقظ إبراهيم مُبكرًا" ليكمل القراءة ، لقد قض الشغف مضجعه ،وأرقه الفضول ، فتناول كتاب (أرض السباع) وأبحر مرةً أخرى بين ضفافه المثيرة .

اقترب أحد الحراس من مضجع ميطرون ، مُترددًا" فى إيقاظه خشية أن يصب جام غضبه عليه

- سيدى ------ سيدى ميطرون ، يزمجر ميطرن فى غضب كأسدٍ هربت منه فريسته ،

- ماذا تريد أيها الأحمق --- لماذا توقظنى الآن --- بالتأكيد أنت لا تريد لرقبتك أن تطير فى مثل هذا الموقف ، إزدرد الجندى المسكين لعابه فى رعب وهو يقول

- لقد أمرنى (قائد الحرس) بإيقاظك لأمرٍ هام ينظر له فى ضجر

- اللعنة عليك وعلى قائد الحرس فى يومٍ واحد --- أدخله ، يخرج الجندى ليدخل قائد الحرس ، وعلى وجهه علامات الجدية والإهتمام

سيدى ميطرون – أعتذر لإيقاظك لكن الموضوع جَدُّ خطير . يرد ميطرون فى ضجر

- ماذا هنالك يا قائد الحرس ،

لقد قبض رجالى على شخص صباح اليوم - أعتقد أنه يهمك أمرة !! نظر له ميطرون شذرًا"

تعتقد !!، توقظنى فى الصباح الباكر لتعتقد --- هات ما عندك بسرعة ---- من يكون ذلك الشخص ، قالها بلهجة آمرة جعلت قائد الحرس أكثر دقة فى انتقاء كلماته

إنه الرجل الملقب بالعابد المنفى إلى أرض السباع ، انتبهت كل حواس ميطرون بعد هذا التقرير القنبلة وبدت علامات الغضب العارم على وجهه ، قدمت له (راما) كأسًا" من النبيذ ، فتناوله على جرعةٍ واحدة ، ثم طوحه بسرعة فى اتجاه قائد الحرس الذى تفاداه بحركة رشيقة وهو يصرخ

- أيها الجنود الفشلة --- سأقطع رقابكم جميعًا" ، ألم تأتونى بملابسه الدامية ؟؟ ثم أخبرتمونى بأنه قد لقى حتفه وأن السباع قد أجهزت عليه .

- سيدى لقد خدعنا جميعًا" ، لكننا رصدنا حركته ، وهو يندس بين الناس ويحرضهم على الثوره ضدك ، بل ونجح فى تجنيد بعض الشباب ، منهم (مجدون) الحداد شقيق (سيلا) اللعينة ، المسجونة فى القلعة ، ولقد ذهبنا صباحًا" للقبض عليه فى منزله خارج البلدة وكانت المفاجأة أن العابد هو الذى ينام مكانه فى

الفراش ، لكننا سنقبض عليه لاحقًا" . أنصت ميطرون فى هدوء وشرد ببصره بعيدًا" وكأنه يفكر بعمق ، ثم اتخذ قراره بسرعة وهو ينهض من مجلسه

- أريد أن أذهب إليه حالًا" ينحنى قائد الحرس فى خضوع راجعًا" خطوتين إلى الوراء ، تابعًا" سيده .

- أين هو الآن ؟

- مسجون فى القلعة الحصينة يا سيدى ، تحرك موكب ميطرون إلى القلعة الحصينة التى يربط بينها وبين قصره ، جسر خشبى يفتح بطريقة ميكانيكية . إلى أن وصل داخل سجن العابد ، ففتح له الحراس الأبواب ، سمع العابد صلصلة السلاسل التى تفتح الأبواب وصوت الأحذية الثقيلة للجنود ، فأدرك أن شخصًا" ذا شأنٍ سوف يدخل عليه ، كان العابد مقيدًا" بالأغلال من يديه وقدميه وقد تم تعذيبه وسالت الدماء من وجهه ويده وقدميه ، لكنه كان هادئًا" رابط الجأش ، ذاكرًا" لله . مما أنزل على قلبه السكينة ، كان جزءًا" خفيًا" من قلبه يشعر بسعادةٍ غامضة رغم التعذيب والألم ، لمجرد أنه علم أنه قريب منها وأنها مسجونةٌ بالقرب منه ، ليته يلمح طيفها ، لكن أمنيته قد جاءت بالعكس ، فلقد رأت عيناه آخر شخصٍ فى العالم يتمنى رؤيته ---- ميطرون الشيطان ، لم يُبد اهتمامًا" بل رفع رأسه فى شموخ ، ناظرًا" بتحدٍ

واضح فى عين ميطرون المخيفة ، الذى ابتسم فى سخرية واحتقار قائلًا"

- لازلت مُصِرًا على محاربة أسيادك – لا أدرى من أين يأتى قزمٌ مثلك بكل هذه القوه ؟؟يبتسم العابد بدوره ساخرًا" ومتغلبًا" على آلامه ،ويرد بسرعة

- قوتى أستمدها من الله ، تُزمجر مجموعة المسوخ المحيطة بميطرون ، وتظهر رؤوس الأفاعى الثنائيه بدلًا" من رؤوسها البشرية ، اذًا لقد وصلت إلى قمة الغضب ، فبينهم ثأرٌ قديم ، كما تحول رأس ميطرون إلى أفعى ثنائية الرأس ضخمة ، وهو يطلق فحيحًا" مخيفًا" ، محاولًا" نهش العابد ، لكنه تفادى العضة بصعوبة ، وفزع العابد من تلك الأفاعى ، فاستمر فى قراءة القرآن ، مما زاد من جنون ميطرون وأعوانه من المسوخ ، لقد كشف العابد أمرهم ، وعرف أنه لا يحارب ملكًا" ظالما" وحسب بل إنه يحارب الشيطان ، زمجر ميطرون وهو يستل سيفه الضخم من غمده

- الآن سوف أقتلك وبيدى قبل أن تكشف أمرنا ، قالها وهو يهم بغرز نصل سيفه فى جسد العابد ، إلا أنه قد سمع جلبة قادمه من خارج السجن ، كانت تبدو كأصوات معركة بها صلصلة السيوف ، وأصوات صيحات ، يتخللها زئيرٌ" مرعب" ، تجمدت الدماء فى عروق ميطرون ومن معه من المسوخ ، يبدو أن هناك معركة بالخارج ، نظر من نوافذ القلعه ، ليشاهد جيشه من

المسوخ وهم يحاربون شبابًا" أقويًاء بدوا له من أبناء البلدة بقيادة ، (مجدون) الحداد ، كان الشباب يحملون دروعًا" عليها نقشًا" لأسدٍ قوى ، كما لفت نظره هذا العدد الضخم من الأسود التى تجرى فى أنحاء أرض الفقراء وتنهش جنوده فى وحشية يصرخ فى غضب موجهًا" كلامه العابد

- هؤلاء أعوانك إذًا --- تلك الأسود اللعينة تحاربنى من جديد ، أنت من جندها هذه المرة بعدما كانت على الحياد لكننى سأقتلك وسأظل الملك ، لكنه قبل أن يحاول للمرة الثانية ، إذا بموسى الخباز يفتح أبواب السجن للمظلومين ، ويمدهم بالأسلحة ،ليهجموا على ميطرون وإذا بعددٍ كبير من المقاتلين يحطمون الباب الكبير للسجن

اشتبك المساجين مع المسوخ بينما ، امتدت يد معروقة لشخصٍ هزيل أصلع لتفك ، قيد العابد ، وتعطيه سلاحًا" وسط المعركة هَمَّ العابد أن يشكره ، عندما ، تلاقت عيناهما ، يالله – إنها هى ، لقد حولها ميطرون إلى شبح ، زاد ذلك من عزيمته فى الإنتقام ، وأخذ يقاتل بشراسة وهى بجواره وانضم أهل البلدة بقيادة مجدون إلى القتال

دار قتال مرير بين ميطرون وجنوده من المسوخ وبين القائد الهصور وأعوانه من جهةٍ أخرى ، نجح العابد وجنوده فى السيطرة على المعركة ، كما قتلت الأسود عددًا" رهيبًا" من المسوخ ، واستمر

القتال المحتدم بين العابد وميطرون حتى سقط السيف من يده وعاجله العابد بطعنة نجلاء فى منتصف الرقبة ، لتنفجر الدماء من رقبته فيترنح ، ثم يعود ليقف بقوة أمام (القائد الهصور) وكأنه كملك يرفض الهزيمة ، نظر له فى تحدٍ قائلًا" بصوت متحشرج

- لا تظن أن المعركة قد انتهت ، بل إنها قد بدأت وعندى من سيأخذ بثأرى يومًا" ما ،يقف العابد متحفزًا" شاهرًا" سيفه فى منتصف وجه ميطرون قائلًا"

- لقد انتهى أمرك أيها الشيطان ، لكن ميطرون يباغته بضربة من سيفه شجت جبينه من فوق عينه اليسرى ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة

- إن أبنائى و أحفادى سوف يكملون المعركة وسيسحقونكم فى يومٍ ما، ثم سقط بعدها ميطرون الأكبر صريعًا"، خرج(القائد الهصور) مُنتصرًا" من قلعة ميطرون ومعه جنوده من أبناء البلدة ، ومعه مجدون الحداد وموسى الخباز الذى وفى يده سيلا التى تزوجها أمام الناس فى احتفالٍ عظيم ، أمام قصر ميطرون ، لقد نَصَّبَ العابد أو القائد الهصور، (مجدون) ملكًا" على أرض الفقراء وعَيَّنَ موسى كبير الوزراء و أوصاهم بهم خيرًا" ، وقرر الرحيل هو وزوجته سيلا إلى مصر بدت النهاية سعيده ، لكنها ليست نهاية ، إنها البداية .

ملحوظة

الصراع بين ميطرون وأحفاده والقائد الهصور وأحفاده لم ولن ينتهى -----أغلق إبراهيم ،آخر صفحه فى كتاب أرض السباع ، وهو يشعر بسعاده ، لكن آخر سطر جعل القشعريرة تسرى فى جسده ، هذا يعنى أنه على موعد مع أحد أحفاد ميطرون فى صراع دموى مرير فيجب أن يستعد له جيدًا" ، لكن – كيف ؟؟ تذكر أن هناك ،رساله قديمة كُتِبَتْ بالمداد الأحمر على قطعة من جلد البقر قد وجدها فى الصندوق مع كتاب (أرض السباع) ، فتح خزانته ليجدها ، ففتحها فى شغف ، كان فحوى الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز الوهاب الذي أنزل على عبده ورسوله محمد الكتاب، هدىٍ وذكرى لأولي الألباب، وأودع فيه من العلوم النافعة والبراهين القاطعة والدلائل الجلية والأحكام الشرعية، وصلى الله وسلم وبارك على محمد المصطفى من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب الذي أيده ربه بالمعجزات الباهرات وعلى آله وصحبه الأكرمين خير أهل وأصحاب الذين وعدهم ربهم ،

سبحانه - بالنصر والتمكين و أورثهم الجنة وحسن المآب.

أما بعد

فهذا كتابى أنا الفقير ابن الفقير العابد الملقب (بالقائد الهصور) ، وهو يعنى الأسد الذى يسحق أعدائه ، وجهته إلى خُلَفَائِى من بعدى وكل من سيحملون راية الحق فى صراعهم الأبدى مع ميطرون وكل من سيأتى من بعده ، ولا أجد أفضل ما أبدأ به سوى حديث مولاى وشفيعى رسول الله صلى الله عليه وسلم

تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي ، فلا جدوى لما سأقول إذا أغفلنا الأصل (القرآن) و(السنة)

- إنها الحرب الأزلية بين الشيطان والإنسان وتكون الغلبة فيها للعابد الذاكر المستغفر المحتفظ بحبل الله المتين

- من عاش لرب الناس أخضع له الناس وكفاه همّ الدنيا

- كلما تخلص العابد من ذنوبه واقترب ، تبدَّلَ قلبه الخائف بقلب (الهصور)

- الوشم الذى يظهر على يد العابد ، يعنى أنه القائد الهصور الجديد وهى علامه على إكتمال العهد ، واختياره للمعركة القادمة التى يشارك فيها عباد الله الأتقياء وجنود الله السباع ضد ميطرون اللعين وأحفاده وأتباعه من المسوخ أعداء السباع التقليديين كما يستخدمها القائد الهصور فى استدعاء جيش السباع عند نقطة المعركة الحاسمة وهى علامة لا تظهر سوى للقائد الهصور ونائبه فقط

- لا يكون العابد (هصورًا") جاهزًا" للقتال إلا عندما يُصَفّى قلبه ونيته ويزداد علمه ، وعندها يتحول ذلك الحائط الأصم الأسود تدريجيًا" إلى اللون الأخضر ينقله إلى أرض السباع حتى يخوض معركته

- كلما زاد العابد من الاستغفار والذكر والصلاة على النبى ، زادت المساحة الخضراء فى الحائط الأسود ويقل سمكه حتى يصبح رقيقًا" كالورقة فينقل العابد إلى المعركة الفاصلة

- القائد المنتصر يعود إلى أهله ، أما المهزوم فيعيش وحيدًا" فى المنفى أو فى الحصن ، يتفهم إبراهيم سر وحدة وعزلة جده لقد كانت إجبارية ويستطرد فى القراءة ، ويستمر القائد الجديد فى العزلة حتى ينتصر ، ويمكنه بعدها أن يعود ، يندهش إبراهيم ويتفهم تلك القوة الخفية التى دفعته لترك أسرته ، لقد وقع الاختيار عليه

- تتجدد المعركة كل أربعين عاما" وعلى القائد الجديد أن يصبح مستعدا" عندما يبلغ أشده ، ومن يتخلف عن حربه ،فإنى أحذركم لأن جيشه يتضاعف ، وتكون فرصة هزيمته أصعب . يتذكر إبراهيم والده (خليل الدهل) الذى تقاعس عن القتال واستسلم لشهواته ، مما سبب حُزنًا" عميقًا" لجده الشيخ سيد ، لكن هذا يعنى أن جيش ميطرون قد تضاعف وأنه قد وقع فى تحدٍ رهيب

- لا أحد يدخل حصن الهصور (القصر الذى على شكل أسد) ، إلا من وقع عليه الاختيار ، أو باذن من الملك الهصور شخصيًا" ، ومن

يدخله غير ذلك يتعرض للعنة ومن يكشف السر يصاب بلعنة ، يتذكر والده المسكين الذى مات بعد كشفه السر

- من يدخل الحصن عنوة يمزقه أبناء الهصور (الأسود) ،يتذكر شوق السريح وعونى الشيطان ومن ينجو من مخالبهم يصاب بالمس (الجنون) ، يتذكر صراخ أمه سميرة ، وتلك الأخاديد التى كانت على ظهرها

- يعيش (القائد الهصور) عابدًا " طبيبًا" للقلوب والأجساد ، معتمدًا" على ما تركه الأجداد من خبرات عظيمة ، وهنا يفهم إبراهيم لماذ كان جده يعمل بتلك المهنة وها هو الآن يعمل بها ،

-كُل ما يحتاجه (القائد الهصور) للصراع موجود فى ثلاثة أماكن ذكرتها (القرآن) والسنه وكتابى هذا ,

والله الموفق

جدكم العابد الملقب (بالقائد الهصور قاهر ميطرون الشيطان)

لم يصدق إبراهيم عينيه فلقد كانت تلك الرسالة من جده الأكبر له ولكل خلفائه لقهر ذلك الشيطان ، ولم يتبقى له سوى شىء واحد هو العمل بالوصية ، والاستعداد لمحاربة ميطرون ، لقد بدأ ضباب الغموض الكثيف ، ينقشع تدريجيًا" من عقل إبراهيم ، وبدأت الحقيقة تنجلى مع كل ورقه كان يقرأها ، لقد فهم أن ميطرون اللعين ظل يرسل أحفاده واحدًا" تلو الآخر لقتال العابد وأحفاده

واحدًا" تلو الآخر انتقامًا" لهزيمته على يد االعابد الأكبر الملقب (بالقائد الهصور قاهر ميطرون الشيطان) ، لكن جده الأخير الشيخ(سيد) على الرغم من قوته وعلمه إلا أنه قد هزم فى آخر معركة ، بسبب ضعف جنوده وتآمرهم ، وعاش منفيًا" فى الحصن ، وزاد من الأمر تعقيدًا" أن والده (خليل الدهل) كان ضعيفًا" ولم يقوى على تحمل تلك الأمانة ، ولم يقاتل ، فكان على إبراهيم المسكين أن يحارب جيش ميطرون الذى تضاعف بقيادة أحد أحفاده ، هكذا تقول الرسالة ،

- ياالله – ساعدنى ، قالها إبراهيم وهو ساجدٌ يبكى فى خلوته ، ولا أحد يشعر به فى ذلك الليل الحالك سوى من لا يغفل ولا ينام

***

obeikandl.com

(25)

خمسة أعوام كاملة

زحامٌ شديد على متجر (عطارة العابد) ، وهو يقع فى الناحية الخلفية من القصر ، وإذا اقتربنا أكثر سنجد أن إبراهيم يجلس داخل المتجر ، على مكتب قديم الطراز ، ويبدو أنه أحد مقتنيات جده الشيخ ، وحوله الكثير من اللفائف و الوصفات التى أعدها لزبائنه ، لقد ذاع صيته ، وصارت الناس تأتى له من كل مكان ، بينما يقف مساعد أمين بين الناس مُلبيًا" احتياجاتهم ، لقد صار عابدًا" بالفعل ، لا يحتاج من الدنيا ، إلا القليل ، يعبد الله فى صمت ، وينفع الناس بعلمه ، لقد صار يشبه جده كثيرًا" ، بوجهه الأحمر ولحيته التى بدت تكسوها بعض الشعرات البيضاء ، نفس النظرات القوية الواثقة ، لم يعد يكترث كثيرًا" لأمر تلك الدنيا الهلوك لقد كان هناك شيئًا" آخر يشغله .

فليتك تحلو والحياة مريرة ** وليتك ترضى والأنام غضاب**
وليت الذي بيني وبينك عامر** وبيني وبين العالمين خراب**

إذا صح منك الود فالكل هين* وكل الذي فوق التراب تراب.**

وبينما هو منهمك فى القراءة ، وجد أمامه سيدة عجوز شمطاء تجلس ،على الكرسى المقابل لمكتبه ، وتتكئ على عصى أبنوسية سوداء اللون ، تنتهى برأس أفعى من نوع (الكوبرا) ، كان النحت رائعًا" لدرجة أنك قد تُصدق أن الأفعى حقيقية ، انتفض إبراهيم فى فزع ، فهو لم يشعر بها أبدًا" ، كيف اخترقت هذا الزحام الشديد ، وتخطت أمين المنهمك فى البيع ، ووصلت إليه فى لمح البصر ، على الرغم من سنوات عمرها التى تدُل على أنها قد جاوزت السبعين بقليل ، لقد كان شكل العجوز غريبًا" كما أن شكل عصاتها (الكوبرا) أغرب ، كانت تجلس على الكرسى مُطْرِقَةً ولا تتحرك ، فسألها إبراهيم

- هل يمكننى مساعدتك يا خالة ؟؟ ظلت ناظرة إلى الأرض ولم تُعقب ، فظن أن هُناكَ مكروهًا قد أصابها فنهض بسرعة من فوق مكتبه وجلس على الكرسى المقابل لها ، مُكررًا" سؤاله مرة" أخرى

- هل يمكننى مساعدتك ؟ لكنها رفعت رأسها أمام وجهه ، لتكشف عن زوج من العيون الحمراء ، وفى لمح البصر ، تحولت رأس العصا الأبنوسية إلى ثُعبان كوبرا ضخم الحجم ، غرس أنيابه فى ذراع إبراهيم ، بينما يخرج صوت العجوز فى حشرجة وحشية ، متحدثة إليه

- نسيت أن أهنئك بالمنصب الجديد أيها القائد ، يبدو أن المعركة قد اقتربت ، ويبدو أنك تتدرب لها جيدًا" ، لكن للأسف سوف تُهزَم

مثل جدك الفاشل ، جحظت عينا إبراهيم فى ألم ، وصرخ من شدة العضة ، وقال فى ألم

- من أنت ؟؟ ترُد فى فحيح ِ مُخيف وهى تبرز أنيابها

- أنا رسول ٍ من عند الملك (أوفارا) ---- احفظ ذلك الإسم جيدًا" ، ولقد أرسلنى لك بهذه الهدية --- السم الذى بجسدك الآن هو سُم ألف ثعبان كوبرا للأسف ، لن تُكمل المعركة ، فأنت الآن تموت ، يحاول إبراهيم الإنقضاض عليها ، لكنها تختفى ،وتظلم الدنيا فى عينيه من جديد

***

obeikandl.com

(26)

- انهض يا إبراهيم لاتخف – فأنت حى -- انهض يإبراهيم ، يسمع صوتًا" خفيضًا" يأتيه من أعماقٍ سحيقة لكنه صوتٌ قوى ومحبب لنفسه ، نعم إنه هو صوت جده الحبيب ، الذى يكلمه

- لم يؤثر ذلك السم فيك فأنت مُحصن ، لقد سقيتك الترياق منذ زمنٍ فلا تخف ، أنت تنجح وتقترب من المعركة ، وهذا أمر يقلق ملكهم اللعين ، لذلك حاول قتلك ، انهض يا إبراهيم وحاربهم --- انهض وحاربهم ، يفتح إبراهيم عينيه ، ليجد نفسه نائمًا" فى غرفته وحوله ، أمين وبعض عمال المحل ، اطمأن أمين قائلًا"

- حمدًا" لله على سلامتك ، يندهش إبراهيم قليلًا"

- ماذا حدث ؟؟يصف بعض العمال ذلك الوقت العصيب

- لقيناك فجأة وقعت على الأرض وصرخت صرخة عالية ، وبعدين أغمى عليك ولقينا دراعك فيه دم ، ومانعرفش جه منين ، صمت إبراهيم فهو يعرف . بدا جيدًا" متعافى ، فتركه الرجال وانصرفوا ، بينما قرر هو أن ينزل إلى السرداب ليتأكد من شيءٍ ما وبالفعل هبط إبراهيم وخلفه أمين حاملًا" موقد الكيروسين فى الظلام الدامس ، واقتربا من الحائط الأسود وسرعان ما تحول لون

وجهيهما إلى الشحوب فبديا كزوج من الجثث المحنطة داخل مقبرة فرعونية ،

- ما هذا --- لقد اقتربنا جدًا" ، كان الجدَّار قد تحول تدريجيًا" إلى اللون الأخضر ولم يتبقى منه سوى مساحة صغيرة لا تتجاوز قبضة اليد ، وذلك يدل على أن المعركة قد باتت وشيكة ، كيف سيحارب بمفرده ؟ لايدرى لكنه يتذكر كلمات الجد فى الحلم

- عندما تستعد ---ستجد أعوانك جاهزون للقتال . هم موجودون لكنك لازلت لا تراهم

استقر إبراهيم فى الخلوه ككل ليله ، هادئًا" مطمئنًا" ، كان يصلى ومعه أمين فى خشوع ، وبعد دقائق ، أحسا بزلزالٍ يأتى من أسفل المنزل ، زلزال جعلهما يشعران بالقلق ، لكن الأغرب هو صوت نفير قوى وعميق يأتى من بعيد ، يهتف أمين

- إنها هى --- إنها الحرب ، يشعر إبراهيم بوجلٍ حقيقى وبدقات قلبه تتسارع ، لكنه توضأ وهبط بسرعة ، إلى السرداب ، وارتدى ملابس السلطان ، ومعه (أمين) ، وقفا أمام الحائط الذى كان أسود اللون وتحول إلى الأخضر ، لمعت عيناه فى قوه ، وكأن الشرر يتطاير منهما ، ثم سحب سيفه من غمده ورفعه إلى أعلى ، وأطلق زئيرًا" رهيبًا" تقشعر له الأبدان وكأنه لعشرة أسود ، وتحولت الأرض التى يقفان فوقها ، إلى أرضية زلقة ، تدفعهم بسرعة رهيبة ، ليخترقا الجدار الأخضر ، الذى صار هَشًّا" ، ووجدًا نفسيهما فى

أرضٍ شاسعة وخلفهما، جيشٌ جرار ،أطلق نفير الترحيب بقائده ، تحرك إبراهيم بثقة قائد عظيم له صولات وجولات ، إنها ثقة من تدرب جيدًا" على كل خطوة ، فتوسط الجيش ممتطيًا" (جواده الأبيض) القوى ، لقد كان إبراهيم يقود جيشًا" قويًا" أمام(أوفارا الشيطان) ، أحد أحفاد ميطرون ، نظر إلى فارس الميمنة وأصابه الذهول ، لقد كان هو جده الشيخ سيد العابد بهيئته المهيبة ، وإن بدا مفتول العضلات ، وأصابه ذهول أكبر عندما رأى فارس الميمنة ، إنه هو ذلك الرجل (المستشار محمود السوهاجى) الذى أنقذه من براثن الناس ، ليلة السرقة ، واندهش إبراهيم أكثر ، عندما وجد وشم الهصور فوق يديه ، إنه ذلك الطفل (ابن وكيل النيابة) ولقبه هو (الموشوم مُنذُ أن كان طفلًا")، ذلك الطفل الذى عاد من الموت موشومًا" بوشم الهصور ، لا أحد يوشم بهذا الوشم سوى القائد ومساعده ، إذا" فهو مساعد القائد الهصور ، يساعدهم قائد مهزوم وهو جد إبراهيم ، و يبدو أن المعركة لن تكون سهلة ، هدأ الجيش استعدادًا" للحظةِ الحاسمة ، وإبراهيم يتمتم بآيات الله طالبًا" من الله النصر على (أوفارا الشيطان) ، ولا تسمع سوى طقطقات أقدام الخيل المُتململِة من حرارة الشمس ، أو بعض القعقعات الخفيفة لأدوات الحرب التى يتم تجريبها ، لحظات وبدأت عاصفة ترابية تجتاح منطقة خلف الجبال ، يتبعها زلزلة رهيبة للأرض التى يقف عليها الجيش ، يغمغم إبراهيم فى قلق

- يالله – إنه جيشٌ رهيب ، يبدو أضعاف جيشنا ، لكننا مع الحق – ثنثبت باذن الله،يقترب جيش المسوخ بقيادة(أوفارا الشيطان) ويقف على مسافة من جيش(الهصور).كان المسوخ أقويًاء الجسد مفتولى العضلات ، يزيد حجمهم عن الرجل العادى مرة ونصف ، كانوا بأجساد بشريه ورؤوس أفاعى ، ويحملون فى أيديهم كراتٌ شوكية سامة كبيرة الحجم ، لقد شعر إبراهيم بعجز الخائف ، نظر إلى جده قائد الميمنة ليجد (عم رجب) بجواره ، كما أن أمين ابنه بجواره ،وسأله إبراهيم

- كيف سأحارب جيش المسوخ ، لقد شعر إبراهيم ببعض القلق ، لكن كعادة الشيخ الجد ، دائمًا" ما يساعد إبراهيم

- أنت أقدر شخص على محاربة المسوخ!! ، يقولها الشيخ بثقة ، يرد إبراهيم فى توتر واندهاش

- لماذا ؟؟

- لأنك كنت منهم فى يومٍ ما ، وتعرف نقاط قوتهم وضعفهم ، انطلق نفير الحرب الثانى بصوتٍ أقوى وأعلى ، تبعته حشرجة مخيفة من (أوفارا)

- تقدم أيها الطفل – وأرنى مالديك ، كان إبراهيم خائفًا" فى البداية لكنه اقترب من أوفارا ، ليكتشف أنه يشبه شخصًا" يعرفه ،لقد كان يشبه (عز بك) صاحب المصنع الذى طرده بالشارع ، وأنثى

المسخ التى بجواره ، تشبه سكرتيرته الحسناء (لارا) ، لاحظ أن وجوه الأفاعى تشبه ملامح بشرية يعرفها هو جيدًا" ،(سامى)رئيس الوردية الفاسد ، وسرعان ما تألم عندما وجد أمه (سميرة) وزوجها (عونى الشيطان) بين المسوخ ، و (أبوريه) اللص الذى علَّمَهُ السرقة ، ومرزوق وخليل صديقا والده ، وهذه أم نبيل المرابية ، التى تُقْرِضُ الحى كله بالربا ، وها هو (مجدى التمساح) أول من علمه تدخين الحشيش فى وكالة الليمون ، ثُم (نادر حركات) بلطجى الانتخابات ، وغيرهم آلاف من المسوخ الذين تعامل معهم، طوال فترة حياته البائسة ، لقد اكتشف أنه يعرف جيش(أوفارا) جيدًا" ، لأنه كان واحدًا" منهم بالفعل ،شعر بفورة الغضب تنتابه ، فكل هؤلاء المسوخ دمَّروا حياته ، سرقوا براءته ثم تركوه كحيوان برى هائم فى الدنيا يعيش بغريزته فقط ، ويسير فيها ضائعًا" لايلوى على شىء ، شعُرَ بقبضته تقوى على السيف مع صرخة أوفارا الثانية ، وأشار بسيفه فى اتجاه جيش أوفارا وانطلق بسرعة رهيبة يتبعه جيشه الكبير ، أطلق أوفارا وجنوده فحيحًا" مُرعبًا" ، تراجعت الخيل قليلًا" من الخوف ، لكن (إبراهيم) الملك الهصور لكز فرسه بقوة وهو يطلق صيحة قوية ، أعادت الثبات إلى نفوس الجيش ، وهجموا هجومًا" خاطفًا" على جيش (أوفارا) ، كانت المعركة دامية ، لكنها فقط كانت تبدأ ، فلقد انقضَّت المسوخ على جنود الهصور ، تقاتلهم بالسيوف وبعضاتها السامة القاتلة ، كانت المسوخ ذات رؤوس الأفاعى تلتف وتعض الجندى فيقع

صريعًا" متأثرًا" بالسم ، ازداد الصراخ فى أرض المعركة ، وبدأ الضعف يدُبُ فى جيش الهصور ، لكنه كان صامدًا" ، اقترب أوفارا من القائد الهصور (إبراهيم) ، مُطلقًا كرة شوكية سامة ، لكن هناك ذراعًا" أخرى قوية تحمل وشم أسد اعترضتها ، وجُرِحَت جُرحًا" غائرًا" ، لقد كانت يد (محمود السوهاجى) ابن وكيل النيابة أو (الموشوم طفلا") والذى أنقذه يوم السرقة ، اشتبك محمود مع أوفارا وتدخل القائد الهصور ، وبدت المعركة صعبة على أوفارا فتراجع محتميًا" ببعض جنوده من المسوخ ، ابتسم إبراهيم إلى محمود إبتسامة شكر ، لكنه فوجئ بمن يطلق حَرْبَة فى اتجاهه ، تصدى لها بالدرع ، كان جنود إبراهيم يقطعون رأس الأفعى فلايموت المسخ وتظل رأسه الأخرى تقاتل ، فأشار الجد إلى إبراهيم ، أن قلب المسخ بين رأسيه ، فيصوب الجميع فى القلب ، يهتف إبراهيم فى جيشه

- صوبوا على قلب المسخ ، ولا تقطعوا رأسه ، إقترب منه أحد المسوخ محاولًا" غرز نابه السام فى رقبته ،إلا أنه تراجع عدة خطوات إلى الوراء ، وطعنه فى قلبه ، لتصدر من المسخ حشرجة مزعجة ، يسقط على إثرها صريعًا" ، تزداد الحماسة فى جيش الهصور ومساعده محمود إلا أن العدد كان يقل ، ولا تزال الغلبة العددية لجيش المسوخ الذى كان مُضاعفًا" ، كان إبراهيم يعرف من الكتاب أن هناك لحظة فارقة يجب أن يستغلها بحكمه ، نظر إلى جده فوجده يرفع أمام وجهه وشم الأسد ، ويعطيه الراية ،

ليجرى إبراهيم ومعه محمود (الموشوم طفلًا") ومعهم عدد من الجنود ، إلى ربوة عالية ، كان إبراهيم يرفع الراية الخضراء الضخمه المكتوب عليها لا إله إلا الله و المرسوم تحتها صورة الأسد الهصور ، غرزها فوق الربوة ، ورفع وجهه إلى السماء صارخًا" فى قوة

- النصر من عندك يار ب ---- القوة من عندك يارب -- أيدنا بجنودك يارب ، ينتفخ صدر إبراهيم رافعًا" رأسه كأسدٍ فى البَرِيَّة صارخًا" ولكن تلك المرة يخرج من حلقه ، زئيرًا" مُرعبًا" ، حاول رُماة أوفارا قتله بالحراب إلا أن جنوده تصدوا لهم ، ليسمع بعدها ، زئيرًا" هادرًا" لأكثر من ألفى أسد قادمين من الوادى ، نظر لهم فى سعادة بينما وقفوا يصطفون ، كالجنود وتقدم قائدهم وربض أمامه ، محييًا" الملك الهصور ، فاستدار إبراهيم ، وعاد بهم إلى ساحة المعركة ، يهبطون من فوق الربوة كالشلال الهادر ، وزئيرهم المرعب يكاد يُصِمُّ الآذان ، يتراجع على إثر هذا المشهد جنود جيش إبراهيم ، مفسحين لهم مجالًا" للانطلاق ، تتقافز الأسود بشراسة فوق المسوخ ، لتلطمها بمخالبها الرهيبة ، يتراجع جيش أوفارا فى فزع حيث ظهر أعدائهم جميعًا" واكتملت بتلك الأسود القادمة من وادى السباع ، يهتف (أوفارا) فى حنقٍ ويزمجر

- اللعنه على تلك الأسود ،قالها وهو يمتطى أحد الأسود من ظهره ، مستلًا" خنجره المعقوف ، ليغرزه فى عنق الأسد من الخلف ، يزأر الأسد فى ألمٍ ويترنح محاولًا" إسقاط(أوفارا) من فوق ظهره

لينهشه ، إلا أن أوفارا كان قويًا" ، وتشبث به حتى خر الأسد صريعًا" لكن هذا الأمر لم يعجب باقى قطيع الأسود فزادت شراستها وانطلقوا خلف أوفارا ، الذى تجمع عد كبير من الجيش لحمايته وكانت هذه فرصة جيدة للأسود ولجيش إبراهيم فلقد انقضت على المسوخ ، تبقر بطونها وتلتهمها ، بينما تحاول المسوخ غرز السُم فى أجساد الأسود ، بينما يطعنهم جنود إبراهيم فى القلب ، وفى الناحيه الأخرى ، تفرغ إبراهيم وجده ومحمود (الموشوم طفلًا") فى قتال عونى الشيطان و(سميرة الحلوة)

لقد تحولوا إلى مسوخًا" بشعة ، تبث السم ، فى كل من يقترب ، حاول عونى الإنقضاض على إبراهيم إلا أنه طعنه فى قلبه بينما كان الجد يحاول التخلص من مسخ سميرة التى عضته فى يده ، إلا أنه عاد إلى الخلف ، وطعنها فى منتصف رقبتها فسقطت صريعة بجوار عونى مرة أخرى ، تحولت ساحة المعركة إلى برك من الدماء ، وبدأت الكفة تميل إلى جيش الملك الهصور إبراهيم وأعوانه من الجنود المخلصين وجنود الله (الأسود) ، لكن المسوخ كانوا صامدين ويقاتلون ببراعة لمح إبراهيم أوفارا منفردًا" ، يشير الشيخ إلى إبراهيم ،هذه فرصتك اذهب واقتله ، يجرى إبراهيم إلى أوفارا المثخن بالطعنات ، لكنه ظل ثابتًا" حاول إبراهيم أن يجرى بقوة ، لكنه اكتشف أنه مصابٌ هو الآخر ، لكنه شحذ عزيمته واستمر فى الركض حتى وصل إليه شاهرًا" سيفه ، بينما أوفارا يحمل سلسلة

حديدية ، ينتهى طرفها بكرة شوكية سامة ، ينادى إبراهيم على أوفارا الذى كان موليًا" ظهره

- انتهى أمرك يا أوفارا ، ضحك أوفارا فى عصبي ثم استدار بسرعةٍ خاطفة ، وهو يطوح بالكرة الشوكية فى وجه إبراهيم ، فأصابت عينه اليسرى مباشرة ، أطلق إبراهيم صرخة ، ثم سقط بعدها فى ألم بينما سالت الدماء من عينه اليسرى ، شعر إبراهيم بالسم الزُعاف يسرى فى عروقه ، وأن عينه اليسرى قد أغلقت تمامًا" ، كان إبراهيم نائمًا" على وجهه فى ألم معطيًا" ظهره لأوفارا ، بينما ضحك أوفارا ساخرًا"

- لافائده من المحاولة – لا أحد يتعلم من أخطاءه ، سأظل باقيًا" فى الأرض . لقد هُزم جدك ، وها أنت الآن تُهزم ، وسأقتلك ،كان إبراهيم لايزال نائمًا" على الأرض من عنف الضربة لكن عقله كان يعمل جيدًا" وشعر أن أوفار سيقتله ، لقد سمع صوت خنجره المعقوف وهو يسحب من غمده ، فزحف ببطء دون أن يلحظه، ذلك المغرور الذى تملكت منه شهوة الكلام ، متفاخرًا" بنفسه وبأجدًاده ، وقبض على حَرْبَةٍ كانت قد سقطت من أحد الجنود ، وبينما أوفارا يميل إلى الأمام ليغرز نصله فى رقبة إبراهيم من الخلف كما فعل مع الأسد ، إذا بالملك الهصور إبراهيم ينقلب على ظهره سريعًا " مواجهًا" أوفارا وهو نائم على الأرض ، مُسددًا" الحربه إلى قلبه مباشرة" ، لينغرز نصفها فى قلبه ، فيصدر بعدها زمجرة وفحيحًا" مزعجًا" ، وانفجرت الدماء السوداء من جسده ،

بينما هو يجثو على ركبتيه أمام إبراهيم ، الذى وقف على قدميه على الرغم من الدماء التى كانت تسيل من عينه اليسرى ،وجسده الواهن الذى الذى يسرى فيه سُم الكرة الشوكية ، ينظر أوفارا له فى ألم ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة

- المعركة لم تنته بعد ، لقد جهزت ابنى (دراك الشيطان) للمعركة القادمة وهو يستعد لها جيدًا" ، ينظر القائد الهصور لأوفارا نظرة ارتياح لأول مرة -- إن كلامه يعنى أنه قد اعترف بالهزيمة ، فرد عليه فى ثقة

- نحن أيضا" سنستعد يا أوفار ، لن يتكرر الخطأ مرة أخرى أولادنا وأحفادنا سيستعدون لكم ولأعوانكم جيدًا"

يبتسم أوفارا فى ألم ثم يسقط صريعًا" ، بينما إبراهيم لم يصدق أن المعركة قد انتهت بالنصر ، إلا عندما وجد جنوده ، يهللون ويكبرون ومعهم (الموشوم طفلًا") بينما اختفى جده ، شكر إبراهيم ربه لكنه شعر بعدها بضيق فى التنفس وبرغبة شديدة فى النوم ، تلقاه كالعادة (أمين) ، بينما هو ينزف دمًا" ثم سقط فاقد الوعى ، ليفيق بعدها ليجد نفسه فوق سريره ، فى الخلوة ، وأمامه رجل يضمد جراحه وبجواره أمين ، كان الضوء الأخضر قد بدأ ينبعث فى القصر من جديد

***

(27)

خمسة اعوام كاملة ولم يظهر، بحثت عنه فى كل مكان ، حتى عند القصر القديم لكن لم يدُلها أحد على شىء ، لقد أعيتها الحيلة وتعبت من انتظاره ،وسأمت من نظرات الإتهام فى أعين الجيران ، لقد صارت فى نظرهم تلك السيدة التى (طفش) منها زوجها ، بعدما تعافى من مرضه، ليته مات فى تلك الليلة الغريبة واستراح وأراحها ، من قال أن وقوع البلاء أفضل من انتظاره ، لم يُخطئ كثيرًا" ، فهى الآن تعيش طريدة لنظرات أبنائها المُتسائلة ، ونظرات الحارة الفضولية والحاقدة والشامتة وأحيانًا" الطامعة . لقد قررت ترك الحارة . لتبدأ فى مكان لايسألها أحد ذلك السؤال السخيف الذى تضطر للإجابة عليه يوميًا" ،

-مفيش أخبار عن إبراهيم؟! تنتبه لطرقات على الباب ، تجد طفلًا" صغيرا" يقذف لها بمظروف أبيض كبير ، ثم يركض ويختفى ، تتذكر أن اليوم هو أول يومٍ فى الشهر، لقد اعتادت على زيارة ذلك الطفل الشهرى ، الذى عادة" ما يتغير ، وإن كانت الطريقة واحدة ، يلقى بالمظروف ثم يختفى دون كلمة لكن المظروف كبير الحجم هذه المرة ويبدو أنه يحوى أوراقًا" ، تفتح المظروف فى ملل ، لكن هذه المرة لم تجد نقودًا" بل وجدت ما هو أهم

- ماهذا ، إنها مجموعة من الأوراق ، نظرت إلى الأوراق فى سعادة

- ايه ده ماشاء الله --- ده كأنه سامعنى ، عقد تمليك شقة فى ضاحية العجمى ، وعقد تمليك مشغل الملابس بنفس العقار – ، تتعثر يدها فى جسم صلب داخل الأوراق ، -- ماهذا سلسة بها مفتاحين ، مفتاح المنزل ومفتاح المشغل إنه لايزال يفكر بها وبأبنائها ، شعرت بسعادة وأمل لم تشعر بهما منذ زمنٍ طويل ، لقد اتخذت قرارها فى الرحيل من ذلك الحى وترك عنوانها الجديد لعله يبحث عنها وعن أبناءه فى يومٍ من الأيام

وبالفعل استيقظت فى اليوم التالى فى السادسة صباحًا" قبل أن يستيقظ ضجيج الحارة ، ووضعت طفلها داخل سيارة (نصف نقل) ومعهم ماخف حمله وغلا ثمنه من منقولاتها البسيطة ، طرقت باب (أم أشرف) جارتها الحبيبة كاتمة السر ، ردت أم أشرف بصوتٍ ممطوط قادم من أعماق السرير

- مييييييين؟؟؟ تهمس تحيه خشية أن يفتضح أمرها

- أنا يا سيده --- افتحى ، لكن أم أشرف تكمل نومها فتطرق ، توحه الباب بقوة أكبر هذه المرة ، فيعود صوت أم أشرف القادم من أعماق السرير مرة أخرى كغفير نظامى نام أثناء ورديته

-- أيوه مييييين ، تقولها فى بلاهة ، فيزداد توتر توحه ويرتفع صوتها قليلًا"

- ياوليه افتحى --- فضحتينا ، تفتح أم أشرف شعثاء الشعر منتفخة الوجه ، كأنثى الغوريلا فى حديقة الحيوان ، كانت تحيه حزينة لكنها تراجعت من الفزع خطوتين ، ثم انتابتها هستيريا ضحك على الرغم من مشاكلها ، دخلت وأغلقت الباب ثم قالت لها

- يالهوى!! --- والنبى دا أبو أشرف ليه الجنة ، انتى بتصحى قدامه كده كل يوم ، يضحكان ضحكة خافتة ، فترد هى

- لا هو النهارده عنده نقلة أسيوط ، يتسم وجه أم أشرف بالجدية عندما تلاحظ أنها ترتدى ملابسها استعدادًا" للخروج

- خير يا توحه --- رايحه فين ياختى ؟؟؟ ، ترد توحه

- خلاص أنا هاعزِل ، تشعر أم أشرف بالأسى لفراق عشرة عمرها وتعرف أنها تنوى ذلك منذ مدة لكنها تقول

-هتروحى فين ، سألتها أم أشرف فى أسى

- دفعت مقدمًا" لشقة بالعجمى وهروح أعيش أنا والولاد هناك وكمان هفتح المشغل اللى كنت بحلم بيه ، ساعدتها الظروف لأنها كانت بالفعل تبحث عن سكن بالعجمى ، تغمغم (أم أشرف) فى أسى

- كان نفسى ما نسيبش بعض لكن – تصمت ، ربنا يوفقك ، تحتضنان بعضهما وتبكيان بمرارة ، لكن الأخرى تُهون عليها بالكلام التقليدى الذى لن يحدث أبدًا"

- يعنى هوأنا هروح فين ، أنا هزورك وتزورينى على طول ، تبتسم الجارة الطيبة من بين دموعها ، بينما تعطيها تحيه العنوان الجديد قائلة ،

لو فى حد سأل علينا (ضرورى) ابقى اديله العنوان ، وبالطبع أوصتها ألا تذيع أخبارها فى الحارة ، لأنها تريد أن تنسى الناس وينساها الناس ، وافقت أم أشرف وقَبّلت تحيه التى هبطت مهرولة على السلم ، بينما استعدت السيارة للانطلاق

- اطلع على العجمى ياسطى ، قالتها للسائق وهى تركب بجوار طفلها داخل كابينة السائق ، كانت رياح التغيير قد هبَّت عليها وشحذت همتها ، لقد أعطت تلك الحارة ظهرها وقررت بعدها ، أن تنتقل إلى حياة أخرى ، حياة أرقى، تحلم ببيت كبير بحديقة ، فيلا أو قصر ،ولمَ لا ؟؟، تحلم بأن تمتلك مشغلًا" للملابس ، بل مصنعًا" كبيرًا" لأرقى أزياء السيدات والأطفال ، إنها ترى شكل الفيلا ، بل ترى شكل المصنع ، نعم ستتعب بل سيقهرها التعب ، لكنها قررت أن تصبح إنسانًا" اخر ، لايعرف للضعف سبيلًا .

تَمُرْ بعدها خمسة أعوام كاملة من الكفاح المرير فالسكن فى شقة متواضعة بالعجمى ، والعمل فى مشغلها الصغير القابع فى (بدروم)

نفس المسكن ، خمسة أعوام وهى تصل الليل بالنهار وتكافح من أجل حياة كريمة ، وفى كل شهرٍ كان موعدها مع المبلغ الشهرى والكلمات المقتضبة

ورويدًا"رويدًا" يتبدل الحال وتتحول توحه إلى سيدة أعمال وصاحبة مصنع ومحلات (تاتى موود) للملابس ، تحول المشغل إلى مصنع كبير والشقة الصغيرة إلى فيلا كبيرة بالعجمى ، بداخلها سيارة (مرسيدس) من ذوات النجمة الثلاثية ، تستيقظ توحه فى السابعه ليأتى لها السائق فى الساعة الثامنة ليقلها بسيارتها ، إلى المصنع الجديد فى المنطقة الصناعية . تدخل السيارة إلى المصنع فى تمام الساعة التاسعة ، تقترب من عنبر الملابس ، لتجد إحدى الفتيات وقد تمددت على الأرض مغشيًا" عليها وحولها العديد من الفتيات يحاولن إسعافها ، فتقترب منهن

- فيه إيه يا بنات ، يرد البنات فى هرج

- أبدًا" يا حاجة ، ده البت منى وقعت على الأرض -- الحمل تاعبها ، تساعدها توحه فى اهتمام ومعها رئيسة العمال ، وتنقلها إلى مكتبها فى الدور الثانى ، تدخل الفتاة منى وتنام على الأريكة الموجودا بالمكتب ، وتفك لها غطاء الرأس حتى تتنفس بسهولا ، تطلب تحيه من الساعى (على) أن يقدم لها ينسون

- لكن منى تمد يدها المرتعشة فى حقيبتها ، وتُخرج (شنطة) بلاستيكية صغيرة مكتوب عليها باللون الأخضر ، عطارة العابد وتقول لتوحه

- ممكن يغلى لى شويه من الأعشاب دى ، أصلى تعبانه من الحمل ، تمسك توحه الكيس بيدها ويصدمها الاسم ، إنها أسرة إبراهيم ، والعنوان قريب من القصر القديم كما أنه قال لها قديمًا" أنه لم يبق من تلك الأسرة سواه يحمل ذلك الإسم بعد وفاة جده ووالده ورحيل عماته ، لقد كان آخر حَبَّة فى عنقود تلك الأسرة ، إذًا فمن المحتمل أن يكون هو ، لكنها بحثت هناك ولم يدلها أحد عليه ، كالعادة الغموض يكتنف كُلُ شىء فسئمت من البحث ، لكنها قررت أن تبحث عنه فى ذلك العنوان من جديد ، ولا تعود دون أمل ، تسأل منى التى لازالت مُمَدة على الأريكة

- هو فين عطارة (العابد) دى يا منى ؟؟ ترد منى فى وهن

- فى محطة الرمل ، قربه من الشلالات يا حاجة ، ترتعد تحيه ويخفق قلبها ,وتخرج من المصنع بسيارتها ، لتتجه إلى قصر العابد القديم ، تسير السيارة فى الشوارع القريبة من القصر حتى يشير السائق بيده

- لقينا المحل يا حاجة ، لقد كان المتجر فى الشارع الخلفى للقصر الكبير ، لم تنتبه له عندما كانت تبحث فى المرة الأولى ، تنزل من باب السيارة متلهفة لتدخل المتجر الملاصق للقصر من الخلف ، لقد كان القصر مهيبًا" بالفعل وكم حدثها هو عنه وعن ذكرياته وهو صغير ، هل كان يسكن بالقصر طوال تلك المدة ، لا لقد كان القصر مهجورًا" ولا يزال ، لم يلتفت لها أحد من العمال وهى تدلف إلى المتجر ، تقترب من أحد العمال وتسأل عن صاحب

المحل ، فيشير لذلك الرجل الأسمر الجالس على مكتب عتيق الطراز ، مشغولًا" بالكتابة فى أحد الدفاتر تقترب منه وتسلم ، فيُسلم عليها بحذر ، تندهش تحيه وتعرف أنها صارت قريبة من إبراهيم أكثر مما تتخيل ، لقد عرفت ذلك الرجل ، إنه الرجل الأسمر الذى ينتظر الطفل الشهرى الذى يأتى لها بالنقود ، ثُم يحمله بعيدًا" ويرحل ، لقد عرفته من تكرار الموقف ، رغم أنه يقف بعيدًا" ، كُلُ خطوة تؤكد أنها قريبة جدًا" من إبراهيم . تقترب توحه من مكتب الرجل الأسمر

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،يرفع امين رأسه من على الورق ، وينظر لها بطرف عينين يملأهما التساؤل ، ويرد فى تحفظ وابتسامة دبلوماسية على وجهه

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، يشير لها بالجلوس ، فتبدأ هى بالكلام

- أنا الحاجة (تحيه عبد المجيد البيلى) صاحبة مصنع ومعارض (تاتى موود) ، كان إلإسم قد ذاع صيته فى الاسكندرية كلها ، لكن أمين شعر بتوتر ، لقد عرفها جيدًا" ، فهو الذى كان يرسل النقود لها وينتظر الطفل الشهرى بعيدًا" ، تمالك أمين نفسه وازدرد لعابه ثُمَ رَدَ عليها فى هدوء

-أهلًا" وسهلًا" ---تشرفنا ثم ردَ عليها فى برود رجل مخابرات

- أنا أمين صاحب الوكالة -- أى خدمة ، تشعر تحيه أن (أمين) لن يكون صيدًا" سهلًا" ، وأنه كجبل الجليد ، يُخفى أكثر مما يُظهر ، فقررت أن تكشف أوراقها أمامه وتضغط عليه ،بخبرة سيدةَ أعمال تمَرَسَت فى السوق

- فين إبراهيم ؟؟ يصمت (أمين) تمامًا" ، يكسب قدرًا" من الوقت ليرد عليها ، من الواضح أنها قد سارت وراء خيطٍ ما ، فهى متأكدة لكنها شعرت أنه يستعد ليُراوغ ، فعاجلته بسرعة

- أنا شوفتك من ورا الشباك كام مرة ،وانت بتستنى العيل الصغير كُلْ شهر --- إنت اللى كُنْت بتبعت الفلوس ، إنت عارف كُل حاجة ،عندما تُحاصرك إحدى بنات حواء بالأسئله ، فتأكد أنك فى موقف لا تُحسَدْ عليه ، قررت أن تغير تكتيكاتها عندما وجدته لا يزال صامتًا" ، واستخدمت ذلك السلاح اللعين الذى تجيده الأنثى جيدًا" ---- الدموع ، تسأله مرة أُخرى باكية

- فين إبراهيم يا حاج أمين ؟؟ أرجوك أنا تعبت جدًا" ، وليه سابنا طول المدة دى ؟؟ طيب هو عايش ولا ميت ؟؟؟ طيب إنت بتدفع لينا الفلوس كُلْ شهر ليه؟ ، تتسلل مشاعر الإشفاق إلى قلب أمين ، خاصة بعد كل هذا الإلحاح ، على كُل حال لقد انتهت المعركة بالنصر وسيعود العابد إلى منزله قريبًا" باذن الله ، ولذلك قرر أن يُخبرها

- إبراهيم --- سافر إلى الحج ، تصمت فى صدمة وتترك ملابسه التى كانت تجذبها بعنف ، وتجلس على الكرسى باكية ، وتنظر له غير مصدقة

- يعنى هو سافر فعلًا" فهز أمين رأسه فى اطمئنان ، لكنها شعرت بخيبة أمل

- طيب هيرجع إمتى ؟؟ يرد فى حيرة

- الله أعلم ، تستمر فى إطلاق أسئلتها اللعينة

- طيب ليه سابنا ، إحنا كُنا محتاجينه ، يرد فى ضجر على أمل أن يكون هذا هو آخر سؤال

- عمل كده علشان بيحبكم ، طيب ما هو كان موجود معاكم – لكن وجوده ضركم ، فكان لازم ينصلح حاله علشان ينصلح حالكم ، كان عليه مسئولية كبيرة وأمانة ربنا اعطاها له ، وكان لازم يكون قدها ، والحمدلله هو أداها على أكمل وجه وفى نفس الوقت إتطمن عليكم ، وحالكم بسم الله ماشاء الله أفضل وربنا فتح عليكم ورزقكم من فضله ، تخرج تحيه وهى هادئة قليلًا" وتفكر فى ذلك الكلام الموزون ، نعم فحالهم الآن أفضل ، قد يكون قد ضحى بنفسه وبوجوده بينهم من أجل حياة أفضل ، تركب سيارتها وتنظر إلى الأشجار النائمة فى حضن السور العريق ، تلفحها نسمة رقيقة ، فتشعر بالأمل والحياة من جديد

***

(28)

المكان : الحَرَمْ المكّى

الزمان : بعد انقضاء موسم الحج

يجلس رجلٌ مفتولُ العضلات ، أحمر البشرة جميل الوجه ، به إصابة بالغة فى عينه اليسرى ، يرتدى جلبابًا" أنيقًا" وفى جيبه قلم (مونبلون) فاخر وفى معصمه ساعة سويسرية راقية ، كان الرجل يجلس مستندًا" على أحد أعمدة الحرم الرخامية الباردة بعد صلاة الفجر وهو يتلو القرآن بصوت عذبٍ رقراق وبجواره سبحة عاجية ، وفى أثناء انهماكه فى القراءة إذا بيدٍ بيضاء قوية تمتد له لتسلم ، كان وشم الأسد الهصور ظاهرًا" وفوقه عشرات الجروح الغريبه التى تشبه الثقوب المحترقة ، تبدو وكأن صاحبها قد أصيب بعشرات الخناجر المشتعلة ، لقد كان ذلك من أثر كرة أوفارا الشوكية توقف إبراهيم عن التلاوة مُندهشًا" رافعًا" وجهه للشخص الواقف أمامه ، ليجد وجهًا" مُبتسمًا" يا الله – إنه هو الرجل الذى أنقذه مرة من ضربًات الناس عندما كان لصًا" وأنقذه مرة أخرى من أوفارا وتلقى الضربة مكانه إنه محمود أو (الموشوم طفلًا") ، فتح محمود ذراعيه فى احترام بينما نهض إبراهيم فى سعادة من لقى شقيقه مُحتضنًا" إياه ، يهمس محمود فى أذنه

- سعدت بلقاءك مجددًا" أيها (القائد الهصور) ، يبتسم إبراهيم قائلًا"

- حمدًا لله لقد سعدت بلقائك يا أخى ،يرد (الموشوم طفلًا")

- اللقاء نصيب ، يشرد إبراهيم ، فعًلا" فلقد التقى به فى أكثر من مُناسبة وفى أماكن مختلفة ، مرة عندما كان لصًا" ومرة فى المعركة ، وهاهى الثالثة ، يبتسم (الموشوم طفلًا") قائلًا"

- لقد أبليت بلاءًا" حسنًا" فى المعركة أيها (القائد الهصور) ، والحمدلله على النصر ، يغمغم إبراهيم

- الحمدلله ---- لقد أبليت بلاءًا" حسنًا" أنت الآخر ، أنت رجل عظيم وشجاع ، يمد يده بمسبحته العاجية ويضعها فى يد محمود

- خذها لتتذكرنى ، فأنا ممتن لك ، يأخذها محمود فى ودٍ شاكرًا" سائلًا" إياه

- هل سنتقابل مرة" أخرى ؟؟ يهز إبراهيم رأسه ويرفع سبابته إلى السماء

- الله أعلم – اللقاء نصيب كما تعرف ، يسلم (الموشوم طفلًا") على (الهصور) بحرارة ويتركه ويرحل بينما يجلس الهصور ليكمل تلاوة القرآن بصوته العذب الرخيم و بلهجته المصرية المُحببة ، وانتهى من التلاوة ليجد نفسه مُحاطًا" بعددٍ كبيرٍ من الناس ، يُثنونَ عليه

- فتح الله عليك يا شيخ ؟؟ أمصريٌ أنت ياشيخ ؟؟ نُريدَ أن تقرأ علينا مرة" أُخرى ، --- يا الله -- ما أعظمك ، لقد تجمعوا عليه هذه المرة ليسمعوا تلاوته ،شرد ببصره بعيدًا مُحدثًا" نفسه

- يا الله يا ستَّار ، لن يصل فى مخيلة أحدهم أن ذلك الشيخ الجليل الحافظ لكتاب الله بقراءاته السبع والذى يرتدى جلبابًا" فاخرًا" ، وبجيبه القلم (المونبلون) وفى معصمه الساعة الروليكس ، ورائحة المسك المنبعثة من جسده , هو نفسه ذلك اللص البائس الذى كاد الناس يفتكون به ضربًا" ، على الكورنيش بالاسكندرية فى ليلةٍ حزينة ، ياالله --ما أعظمك ، أنت من تهدى العاصى ، و تُعطى السائل ، وتكشف السوء ، هى بركتك وبركة هدايتك ، فعلًا" أطِعِ الله يُطعك كُلُ شىء ، غريبة تلك الدنيا ، إنها كالبغِّى الهلوك ، فعندما كنت هائمًا" بها ، مُرتميًا" على أعتابها ، أذلتنى وأهانتنى وذقت منها ومن أهلها الأمَرَّين ،وجعلت مصيرى فى يد ذلك الثرى الذى تعامل معى برحمة عملاق ، يترفع عن سحق حشرة ، وعندما زهدتها ورحلت عنها وصرت عابدًا" لخالقها ، الرحمن الرحيم ، جاءنى الثرى جُنديًا" فى جيشى ، وجاءتنى الدُنيا جاثية " ، تطمع فى رضائى، نحن من نُفقر أنفسنا بالمعصية وإتِّبَاعِ الشيطان(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) صدق الله العظيم ، لقد تيقنت أن الله يرسل لعباده آلاف الرسائل ، تساعدهم

وتحميهم من الزلل وترشدهم إلى الصراط المستقيم ، لكن تلك الرسائل الخاصة جدًا" تحتاج إلى أجهزة استقبال غاية فى النقاء ، تحتاج إلى قلوبٍ عامرة بالحب ، ذاكرة لله صافية من الحقد والحسد. أما تلك القلوب التى تملأها الأهواء ، وتُسَيِّرُهَا الشهوات ، وتُشَوِّشُ عليها التفاهات ، فهى قلوب مسكينة ، تلهو بها الشياطين و ليس لها نصيب من تلك النفحات الربانية ، حتى تعود إلى فطرتها السليمة ، كما عاد قلبى، الحمدلله قبل كُل شىء وعلى كل شىء وبعد كُلُ شىء. قام من مكانه ليصلى ركعتين شُكرًا" لله ، وفى نهاية السجدة الأخيرة يُغمض عينيه ، ليرى وجهًا" مُنيرًا" لم يَرَ أجمل منه قط ، يبتسم له ، فيبتسم إبراهيم

***

obeikandl.com

(29)

تقف سيارة أُجرة أمام فيلا (تاتى) بالعجمى ، ينزل منها أمين مُساعد إبراهيم ، ومعه صُندوقٌ صغير ، وحقيبة جلدية تبدو أنها تحوى أوراقًا" ، يضغط الجرس الخارجى ، فيقترب منه رجل الأمن مُستعلمًا" عن هويته ، يفتح له الباب بعد عدة اتصالات ، ليسير عبر ممر الحديقة ثُمَ يجلس على كرسى خشبى ومنضدة ، مُنتظرًا" صاحبة المنزل ، كانت (توحه) قد انتهت من توزيع اللحوم على فقراء عزبة الصيادين وعاملات المصنع ، وكانت تستعد للنوم ، إلا أنها أسرعت وبَدَّلَت ملابسها ، بمجرد أن أخبرها الأمن بهوية الضيف وسبب الزيارة

- الحاج أمين من طرف الشيخ (إبراهيم العابد) – كانت تلك هى المرة الأولى التى تسمع لقب (شيخًا") على زوجها إبراهيم ، فاندهشت قليلًا" ، نزلت مسرعة لتجد ،أمين منتظرًا" فى الحديقة ، يشرب فنجانًا" من القهوة ، وأمامه الصندوق ، و حقيبة الأوراق ، فتُسلِم عليه بطريقة رسمية

- أهلًا" وسهلًا" ، كُل سنه وأنت طيب . يرُدْ والحزن يكسو وجهه والحيرة تبدو على ملامحه .

- وأنتم طيبين ، يستطرد بسؤالٍ عاجل

- فين الأولاد ؟؟ تندهش لسؤاله – ولكنها تَرد بتلقائية

- كريم الكبير بيسلم طلبية فى المصنع ، و(سيد) فى الساحل الشمإلى مع أصدقائه --- الولد ده طايش ومدوخنى ، ده محتاج أبوه ، يصمت (أمين) مُطرقًا" برأسه إلى الأرض وتكاد دموعه تسقط بعد هذه الجملة الأخيرة ،لكن الفضول يقتلها فتسأله فى قلق

- خير!! – وايه الحاجات اللى معاك دى؟! ، يضع يده فى جيبه ويخرج ورقة صغيرة ، يسلمها لها بيد مُرتعشة

- بصراحة البرقيه دى جت الصبح النهارده ، من أحد أصدقاء الشيخ فى السعودية ، تتناول الورقة فى وجل ، وتقرأ

(نُشاطركم الأحزان فى وفاة المغفور له الشيخ إبراهيم بن خليل بن سيد العابد ،حيث لقى ربه ساجدًا" بالأمس فى الحرم المكى ، وقد أوصانى بدفنه فى البقيع وقد نفذت الوصية رحم الله الشيخ ،ولأهله الصبر والسلوان)

الشيخ أبو يزيد الحضرمى----- ، انهت البرقية والدموع تنهمر من عينها ،بينما يسلمها الصندوق والحقيبة

- هذا الصندوق به ، أوراق الملكية لتجارة الشيخ وحسابات فى البنوك ، بينما الحقيبه تحوى أوراقًا" شخصيه بها خطابات

وأوراق شخصية ،قد تشرح ما حدث ، أخذت منه الأوراق والحقيبة وهى لا تشعر بشىء ، وقبل أن يهم بالنهوض ، قال لها

- بقى شىء واحد ، يجب أن أخبرك به ، نظرت له فى صمت فقال لها

- لايوجد ورق ملكية ولا مفتاح للقصر ، تنظر له فى اندهاش

- كيف ذلك ؟!، فرد عليها بإجابة غامضة

- القصر سينادى ساكنه ، فلا تشغلى بالك به ، وقبل أن ينهض ، يزعق بوق سيارة بشكلٍ مُزعج ، ثم تدخل سيارة بى ام دبليو حديثة بسرعة مُحدثة عاصفة تُرابية ، فتنتفض الأم ، لقد كان ابنها الأكبر كريم ، يدخل عليهم بسرعة ، لم يلتفت إلى الرجل الواقف فى ذعر ولا للصندوق والأوراق جرى فى اتجاه توحه وجذبها من يدها قائلًا"

- يلا بينا على المستشفى ، يهبط قلبها فى قدميها ، فتهتف

_ خير يابنى ؟؟!! فيه ايه ؟؟!! يرد فى اقتضاب وتوتر

- (سيد) عمل حادثة والعربية انقلبت بيه !! ، يكاد قلبها أن يقف ، فتركب السيارة ناسيه كُل شىء حتى ضيفها أمين الواقف فى حديقة الفيلا فى ذهول

- يقف كريم وتحيه ، أمام غرفة العمليات وهى تقرأ القرآن ، لقد تمزق قلبها منذ ساعة وها هو الآن يزداد حُزنًا" على فلذة كبدها الذى بين الحياة والموت ، يقترب ضابط برتبة نقيب من (كريم)

- أستاذ كريم لو سمحت عاوزك دقيقة ، ينتحى به جانبًا"

- خير يا فندم ؟

- للأسف العربية التانية ، كل اللى فيها ماتوا ، لايفهم كريم علاقته بالموضوع ، لكن الضابط يشرح له

- للأسف أخوك وأصحابه ، كانوا مخمورين ، واحنا عملنا محضر ، وأخوك مُدان لأنه كان سايق العربية فى حالة سُكر ، يجلس كريم من الصدمة ،وهو يقول للضابط المتعجل ،

- عُمومًا" هو بين إيدين ربنا دلوقتى ، لما يفوق يبقى نشوف ، يهز الضابط رأسه موافقًا" ، و إن بدا غير مُتعاطف

- باذن الله – بس فى أرواح ناس ضاعت ولازم كل واحد ياخد حقه ، يتركه ، بينما ، يفتح باب غرفة العمليات ، ليخرج (سيد) مُحاطًا بطاقم التمريض ، وتتابعه أمه فى حُزن ، وهم ينقلونه إلى غرفة العناية المُركَزة يقترب كريم منها فتسأله

- كان عاوزك فى ايه الظابط ؟– أكيد مصيبة ، يصمت كريم ، لكنها تعود وتُلح عليه ، فيخبرها بما حدث ، فتجلس أمامه مُنهارة ، نفس

الموقف يتكرر ، تجلس بجواره كما جلست بجوار أبيه ، تغفو على الكرسى كما كانت تفعل مع أبيه ، تصحو على صوت صافرة جهاز القلب ، فترتعد ، ويهرع الجميع ، وكما حدث بالماضى ، يقف طبيب الطوارئ أمام سيد المُسجى أمامه ممسكًا" بجهاز الصدمات فى عناد وقوة ، وكأنه فى صراعٍ مع الزمن

- واحد ،اثنان، ثلاثة –صدمة ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، تبدأ الصافرة تعود بشكل طبيعى ، وتستقر الحالة ، تنام على الكرسى المقابل له ، لتستيقظ فى الصباح ، على يدٍ توقظها بوهن

- أمى --- أمى ، تستيقظ وهى غير مُصدقة ، حمدًا" لله أنه حى ، تحتضنه فى رفقٍ باكية ،

- الحمدلله ، ليه عملت فى نفسك كده يابنى ، ينظر لها فى خجل ، تمد يدها لتمسك يده اليسرى فى حنان ، لكنها تجده هناك ، تصعقها الصدمة للمرة الثانية ، لقد ظهر وشم الأسد الهصور مرسوم بعناية على يد (سيد) ، ابتسمت له فى فزع ، وتذكرت كلمة (أمين)

- القصر سيختار ساكنه ، لقد كانت على ميعاد آخر مع الهصور الجديد

تمت بحمد الله

obeikandl.com

شكر خاص

شكرًا" للمراجعه المتميزه والمناقشه

م\ عمرو بسيونى **أ\ داليا الشيخ**

د\ أحمد مهدى **أ\ سناء عبد الرشيد**

شكر خاص للمشاركة فى صياغة كلمات الخلفية

م - عمرو بسيونى

أ - داليا الشيخ

شكر خاص لفريق دارن للنشر

أ - حسام حسين

أ - هيثم حسن

obeikandl.com

للتواصل مع الكاتب

Email : ehab.esmat@gmail.com

Facebook: https://www.facebook.com/ehab.esmat.142

https://www.facebook.com/ehabesmatt

obeikandl.com

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Noon_publishing@yahoo.com
ت -02 35860372- 011-27772007

obeikandl.com